

مفتتح

جمال ناجي
سيرةٌ عبِقةٌ
بالثَّقافة الأَصيلة

كأنَّما قرّر سرًّا أن يلحق بشخوصه الخياليّين في جوْف الكتابة؛ غاب فجأةً لنبقى في صدمة الرَّحيل، ودوّامة من الأسئلة الجارحة عن الاختباء، عن لغز الحياة، جمال ناجي كان صديقًا ودودًا، عرفتُه مبكرًا، واكتشفتُ فيه مبدعًا صادقًا، ونقابيًا غيورًا على المصالح العامّة لا المصالح الذاتيّة الضيّقة، وكلّما حاورتُه في الهموم العامّة وقضايا الأدب والفكر، وجدتُه شجاعًا، عميقًا، يملك وعيًا وحساسيّة إبداعيّة عالية، وهكذا هُم الكبار، مدارس في الفكر والسُّلوك يتعلّم منهم المرء، ربّما يذبلون في دواخلهم من أجل إزهار الوجود، والدِّفاع عن الحقّ والحريّة والكرامة، كأنّما يدفعون الثّمن ولا يعيشون طويلًا.

رَحَلَ جمال ناجي كغيره من النّاس، ولكنّ أعماله خالدة، سواء في حقل الرِّواية أو القصّة القصيرة، أو المقالة

الأدبيّة والسياسيّة، تؤشّر إلى عذاباته، مواقفه من المجتمع والحياة، أشواقه نحو التّغيير، ونقْد التصلُّب في الرّأي، والتطرُّف بأشكاله، ترصد تحوُّلات المجتمع اقتصاديًّا وسياسيًّا، ربَّما بحكم خبرته المصرفيّة والاقتصاديّة أثناء عمله في هذا المجال، وارتكازًا إلى موهبته الإبداعيّة العالية في الكتابة التفكيكيّة والتّفكير النّاقد.

جمال ناجي -رحمه الله- كان ذا سيرة عبقة بالثّقافة الأصيلة، ومن المثقّفين الغيورين والمتحمِّسين للعمل النقابيّ والانخراط عن وعْي في الإدارة الثقافيّة، وكان على تماس مع وزارة الثقافة، تعاونًا وتشاركًا وإبداء رأي، سواء في اللِّجان العاملة فيها أو من خلال ترؤسِه لتحرير مجلة "أفكار" الصّادرة عن الوزارة منذ ستينيّات القرن الماضي، ولأكثر من دوْرة، وقد أضفى عليها مؤخّرًا مسحة أدبيّة وفكرية جديدة، من جوانب اعتماد مفهوم الدولة المدنيّة شعارًا لها، والإعلاء من شأن المُواطنة وقِيَم الانتماء الوطنيّ، وفتْح النّوافذ على كلّ الأطياف، ونشر الموضوعات الفريدة التي تزيد من وعي المتلقّي وتسمو بالذّائقة نحو الحريّة والجمال، وتجعل من شرط الإبداع شرطًا للاكتمال.

إنَّ رحيله على المستوى الشخصيّ والجمعيّ، خسارة فادحة ومرثيّة حزينة الإيقاع، تحفِّزنا على الوفاء لكلِّ المبدعين الحقيقيّين، من خلال نشر أعمالهم والتّعريف بهم، وتقديم كلّ أوجه الدّعم لهم، للنّهوض بالحركة الإبداعيّة على مدار الوطن، ومواصلة العمل الجادّ لإضاءة الوجدان الجمعيّ بكلِّ العبقريّات الأدبيّة والفكريّة والتصدّي للإبداع الرّديء والقشور الفكريّة، وما لا ينفع النّاس.

في سيرة المرحوم ناجي ما يحفِّزنا للقول: مرحى للكبار في أقلامِهم وأحلامِهم، وطوبى لإصرارِهِم وكفاحِهِم، لوعيِهِم المستنير، وإخلاصِهِم للقِيَم الكبرى، والضّمير النقيّ، لأنَّ الوطن تمتدُّ أفراحه ويعبُر جسر المسرّات حينما يظهر محروسًا بالإنجاز والكفاح، بالتّسامي عن أنانيّة ضيِّقة، بالإبداع الغيور على الفكرة والكلمة النّاجزة التي تبني وتؤسِّس للنِّظام لا للفوضى، وللازدهار لا للنُّكوص.

سنظلُّ الأوفياء لجمال ناجي، بالالتفات لأعماله، ونشر ما ترك من مخطوطات إبداعيّة، وإقامة حفل تأبين في قادم الأيّام يليق بقامته الأدبيّة ومسيرته المتميِّزة، والإعداد للعديد من النّدوات والتّظاهرات حول منجزه الإبداعيّ نقدًا وتحليلًا، ويأتي هذا الملفّ في مجلة أفكار قطرة وفاء أولى، من رحم غيمة الوفاء المكتنزة بتفاصيل الجمال في مسيرة مبدع كبير، من مؤسِّسي الحركة السرديّة المحليّة والعربيّة منذ منتصف السبعينيّات، وما يزال على الرّغم من رحيله دونما وداع، أو تلويحة يد، علامةً فارقة ■

نبيه جميل شقم

وزير الثقافة

الرّوائي جمال ناجي



مقدّمة:

جمال ناجي
أيقونة في المشهد الثقافي العربي

عندما اجتمع الأستاذ هزاع البراري أمين عام وزارة الثقافة بـ"هيئة تحرير مجلة أفكار" بعد رحيل رئيس التحرير الرّوائي جمال ناجي ببضعة أيام، دعانا إلى إعداد ملف في المجلة يليق بقامة الرّاحل، فكان التفكير مشتركًا، حيث كنا نفكر بالأمر نفسه في محادثاتنا قبيل الاجتماع. وبادَرَت الهيئة بوضع الخطوط العريضة لمحاور الملف، واقتراح أسماء المشاركين، إلا أنّ الواقع أنتج موادَّ تغطي العدد بأكمله، ليصبح الملف عددًا خاصًّا عن الراحل جمال ناجي.

وفي محاولة للإلمام بمُنجَز جمال ناجي ودراسته ومزيد من التّعريف به، تنوّعت محاور الملف لتشمل مجالات عديدة؛ الرّواية والقصّة القصيرة والفنّ التشكيلي، ونشاطاته في الجانبين الثّقافي والمجتمع المدني.

ثمّة فرضيّة تمّ تداولها في الأوساط النقديّة من أنّ الرّوائي يكتب في حياته رواية واحدة ويظلّ يدور في فلكها، لكن أعمال ناجي تخالف هذه الفرضيّة؛ حيث رفد المكتبة الروائيّة العربيّة بعدد من الرّوايات اللافتة بموضوعاتها وتقنياتها ونسيجها الفنّي واللّغوي، وأعاد -كما يقول د.شكري ماضي- للرّواية الواقعيّة ألقها. تضمّن هذا العدد دراسات ثريّة حول روايات جمال ناجي، وفيه إضاءة مهمّة قدّمها الزميل د.خلدون امنيعم حول رواية جمال ناجي المخطوطة "ثلوج الليلة الأخيرة"، التي ستصدر قريبًا. ولم تغفل الدّراسات جانب القصّة

القصيرة التي أصدر فيها ناجي أربع مجموعات قصصيّة.

لم يكتفِ جمال ناجي بالرِّواية والقصّة أداتين للتَّعبير، فكان شغفه واهتمامه بالفنّ منذ بواكير شبابه، ودفعه إلى دخول معهد الفنون. وفي هذا الجانب قدَّم الزَّميل د.خالد الحمزة دراسة حول "التنوُّع الثريّ في لوحات جمال ناجي الفنيّة" يقول فيها: "إنّ التنوُّع في أعمال ناجي الفنيّة سمة واضحة تُناظر التنوُّع في أماكن وأزمان رواياته، وتعكس كذلك تعدُّد الوجوه والأصوات فيها كما رصدها بعض النقّاد".

أوْلى جمال ناجي عناية خاصة بموضوع الثقافة المدنيّة وبناء المجتمع المدنيّ، وبذل في ذلك جهودًا ملموسة لم تقتصر على أدائه المؤسسيّ والوظيفيّ، بل كان صاحب رسالة تحمل مضامين فكريّة وأخلاقيّة وإنسانيّة أصيلة كانت هاجسًا له في أيّ موقعٍ شغله، ومنها عمله رئيس تحرير مجلة "أفكار"، حيث بادر باقتراح إضافة باب ثابت في المجلة عن "الثقافة المدنيّة". عن هذا المحور شاركتنا د. نادية سعد الدين بدراسة عن مشروع جمال ناجي الثقافي التَّنويري المتعلق بالثقافة المدنيّة.

وعلى الصَّعيد النقابيّ تتبَّع محمد المشايخ مسيرة جمال ناجي النقابيّة من خلال رئاسته لرابطة الكتاب الأردنيين وعمله مع الهيئة الإدارية في أكثر من دوْرة، وكذلك نشاطه النقابيّ المصرفيّ، ليقدِّم لنا سيرة ثريّة عن جمال ناجي القائد النقابيّ، الذي ترك بصمات مهمّة في هذا المجال.

ولأنّ جمال ناجي شخصية عامّة، لم نكتفِ بإدراج شهاداتٍ للمقرّبين من أصدقائه وشهادة من كريمته "رماح"، بل أشركنا أكبر عدد ممكن -تتيحه صفحات المجلة- في استطلاع حمل عنوان "جمال ناجي في عيون الكتاب والمبدعين" للاستفادة من إضافاتهم التي تسهم في رسْم تفاصيل مهمّة ومتنوِّعة عن ناجي.

تضمَّن العدد قراءة راصدة لـِ"ببليوجرافيا" الكاتب الرّاحل جمال ناجي، قام بإعدادها الناقد المصري شوقي بدر يوسف، يرصد فيها أعمال جمال ناجي، وما كُتِب عنه في الدوريّات والكتب، ويرى أنّ هذا العرض التحليلي لمحاولة وضع ببليوجرافيا الكاتب الراحل جمال ناجى قد أوضح إلى حدّ ما رؤية ذاتيّة لما يحتويه هذا العالم من قضايا شائكة ومعقدة وأعمال سوف تضع هذا الكاتب في قلب خريطة السَّرد العربيّ كعلامة وأيقونة مهمّة.

لقد تضافرت جهود الزملاء في هيئة التحرير من أجل إنجاز هذا العدد، في محاولة لإيفاء الزميل الرِّوائي جمال ناجي شيئًا من حقه، وليكون بمثابة دعوة للاهتمام بمنجز جمال الإبداعيّ، حتى إنَّ بعض المشاركين ظهرت عندهم نواة لمشروع كتاب حول ثيمة أو أخرى في إبداع جمال ناجي. فمنجز جمال ناجي الإبداعيّ الثريّ ما زال بحاجة إلى الكثير من الدِّراسات الرَّصينة مستقبلًا، فالمبدعون الحقيقيّون يظلّون أحياء بإبداعاتهم ■

مجدولين أبو الرُّب

مديرة التحرير

جمال ناجي والمنظور الفنيّ الاجتماعيّ

د. شكري عزيز ماضي / الأردن

تتميّز روايات جمال ناجي بتجسيدها منظورًا فنيًّا اجتماعيًّا، إذ تنطلق من مفهوم خاص للرّواية والأدب عامة. فالرّواية -التي تستحقّ هذه التّسمية- هي الرّواية التي تجسّد حقائق نوعيّة جديدة، وتكشف خفايا العلاقات الاجتماعيّة، وتثير أسئلة وتساؤلات متنوّعة.

وهو منظور يفرض معالجة المشكلات الجوهريّة التي تمسّ مصير أكبر عدد ممكن من الناس وترتبط -بالتحليل الأخير- بقيَم الحريّة والعدالة والمساواة. كما يتطلّب -لتحقيق أهدافه- تصوير العلاقات من داخلها، والظّواهر من جذورها، لإبراز القوانين التي تحكم هذه وتلك أو تحكم حركة الواقع برمّتها.

ولا شكّ أنّ تصوير الظّواهر والعلاقات من داخلها والغوص إلى جذورها يتضمّن التّعليل الفنّي للظّواهر المصوّرة، وهو أمر مهمّ إذ يبعد النص عن التصنّع والتكلّف ويحقق له قدرًا من التلقائيّة والجاذبيّة والتّماسك. كما يبعد النص عن الغنائيّة والذاتيّة والعاطفيّة ويعمل على تقديم المادة الروائيّة بموضوعيّة أكبر.

وكلّ هذه السّمات والخصائص تتغيّا تفسير العالم وفهمه، وتزويدنا بخبرات جديدة عن أنفسنا وعن الآخرين. ولهذا تطمح التجربة الروائيّة إلى تجسيد موقف أدبي (والمواقف الأدبيّة والمعاني الأدبيّة لها خصوصيّتها) من الإنسان والتاريخ والمرأة والثقافة والأزمان الثلاثة والمال والإعلام واللغة والعالم، وإلى مخاطبة القارئ بأساليب وتقنيات تدفعه نحو إعمال العقل (بدلًا من دغدغة عواطفه) والتأمُّل ببناء النص وأسئلته وربما -تدفعه إلى- إثارة أسئلة جديدة أخرى تتّصل بالواقع المعيش وظواهره. وإذا ما تحقّق هذا الطموح فإنه يعني الوصول

إلى لحظة الحوار الخلّاق بين النص/ والقارئ، وهو ما يؤكد نجاح التَّجربة التي تسعى -أيًا يكن منطلقها وهدفها- إلى تحقيق شرط التَّواصل مع القرّاء.

ويمكن الوقوف -في هذا الحيِّز المُعطى- عند روايتين من روايات جمال ناجي لتأكيد كلّ السمات والخصائص السابقة.

"الحياة على ذمّة الموت" (1993)

ينقسم العالم الرِّوائي في رواية "الحياة على ذمّة الموت" لجمال ناجي إلى عالمين محدَّدين ومتصارعين ومتناقضين تناقض الموت والحياة. يمثِّل العالم الأوَّل -وهو المسيطر على العالم الرِّوائي من البداية وحتى النِّهاية- الرأسماليّة الوسيطة ويمثلها في الرِّواية "نوفل" و"عزت" وغيرهما. وتنظر هذه الشريحة الاجتماعيّة إلى المال على أنه الهدف الأسمى في الحياة، وإلى النُّفوذ على أنّه الغاية، والمرأة –عندها- مجرَّد جسد أو خادمة "المهم أنّني همتُ بذلك الجسد، فتزوَّجت صاحبته"(ص73)، والحريّة تتجسّد لديها من خلال التفرُّد والعزلة وإذلال الآخرين، والوطن هو المال والمزيد من المال "خُذ منّي، إحساس الإنسان بالحياة يتحقَّق عبْر ما يمتلكه من وسائل تحقِّق له النُّفوذ، والمال وحده كفيل بتحقيق ذلك، لأنه قادر على أن يصنع من فنلندا، أو جزر الواق واق وطنًا"(ص62).

ويرى السَّرد أنَّ رؤية هذه الشريحة للعالم والحياة تفقدها إنسانيّتها وتتحوّل إلى منبع للفساد والأوبئة الاجتماعيّة. فهي تتوسَّل بالدّين وتجعل رجاله مجرَّد أبواق وخدم لمصالحها وكذا الصَّحافة والإعلام والثقافة... كما تحتقر المعرفة والأخلاق العامة. ومن خلال تصوير علاقاتها من الداخل تبدو حياتها جافّة وقاسية وموحشة وعقيمة على الرّغم من امتلاكها "للأشياء" ونفوذها الواسع. فهي تعيش على ذمّة الموت أو قُل إنَّ حياتها أشبه بالموت. ولهذا يرتجف "نوفل" من الموت ويعيش كوابيس حادّة.

أمّا العالم الثاني، فيمثِّله الناس في تنوُّعهم وصخبهم وحيويّتهم وتخبُّطهم وأحلامهم وسعيهم الدائم المتعثِّر نحو عالم أفضل، وهؤلاء يقفون على الطرف النّقيض في رؤيتهم للمال والمرأة والحريّة والمعرفة والدّين والثقافة والوطن. وهم في الرِّواية -ربّما كما هو شأنهم في الحياة- هامشيّون ولهذا نسمع عنهم ولا نسمعهم:

"سيِّدي، في البلاد أناس يعيشون حياة مختلفة، إنهم يقضون أوقاتهم في الاستماع إلى النّدوات والمحاضرات! ويجتمعون في البيوت والنّقابات ودور العبادة والأندية، يتحدّثون في السياسة وفي شؤون العيش، يتحدّثون بتفاؤل وزهو عن أولئك الأطفال الذين يقذفون الحجارة في الضفّة والقطاع! أجل سيِّدي! إنهم يصنعون عالمًا آخر لهم! لا يبحثون عن المال، إنَّما عن متعهم التي يحقِّقونها في المكاسب الصغيرة التي لا تعني لهم الكثير فيما أرى. ويتناقشون في كلّ شيء، بل إنني أحسستُ أثناء جولاتي، أنّ عالمهم ذاك

مغلق علينا، على الرّغم من أنه مفتوح للجميع! إنهم يستخدمون لغة خاصة ملأى بالكلمات التي تختلف عن تلك التي نتداولها! يا سيِّدي، تخيَّل أنهم يتعرّضون للمضايقات في أكثر الأحيان، وتُمنع ندواتهم ونشاطاتهم، ويتمّ استدعاء بعضهم إلى الدوائر الأمنيّة، لكنّهم يستمرّون! كأنّهم يزحفون! حتى النساء، النساء يا سيّدي يسهمن في هذا الذي يجري! ويتحدثون عنّا سيّدي! يقولون بأنّ التجار وأصحاب الشركات والصرّافين والأغنياء عمومًا، يستغلّون الناس، يسرقونهم بدءًا بارتفاع أسعار ملح الطعام/ وعيدان الثقاب، والبندورة وسائر أنواع الخضار والمحروقات، وانتهاء برسوم الجامعات وانخفاض قيمة الدينار. تخيَّل! نحن مسؤولون عن الخراب وفوضى الاقتصاد..."، (ص122،121).

إنَّ رؤية الرِّواية تتَّصف بنوع من العمق والشُّمول وبنوع من التَّوازن بين ضرورة الفن والضرورة الاجتماعيّة. ولهذا فإنّها تصوِّر العلاقات من الداخل، وترى أنَّ التفاؤل والتشاؤم مرتبطان بنوع الحياة وبالمستقبل لا بالحاضر الراهن وقواه المهيمنة. فالعالم الأوّل (نوفل وعزت..) يشعر بالتشاؤم والانقباض كلّما نظر إلى المستقبل، والعالم الثاني (الناس) يشعر بالحياة الحقيقيّة وبالتفاؤل على الرّغم من شظف العيش وقسوة الحياة وتهميش قيمه البازغة.

وكل هذا وسم البناء الرِّوائي بالتّماسك، هذا البناء الذي ينهض من خلال تعدُّد الصُّوَر السرديّة وتنوُّع الصُّوَر الحواريّة، ومن خلال توظيف تقنيات التذكُّر والاسترجاع والحوار الداخلي والأحلام والكوابيس بصورة متقنة في كثير من المواضع، ومن خلال اللغة الفصيحة الموحية سردًا وحوارًا.

"موسم الحوريّات" (2015)

تبدأ الرِّواية بتصوير احتفال مهيب في منزل أشبه بقصر، بمناسبة بلوغ صاحبه رجل المال والأعمال "فواز باشا" الستين من العمر. ويحضر الحفل كبار رجال المال والأعمال والسّاسة... الذين يتحاورون حول "الرَّبيع العربيّ" والأحداث في سورية (=الإطار الزَّماني المباشر للرِّواية). وتُلقي العرّافة المغربيّة "عروب" مفاجأة كبرى، إذ تُعلم "فواز باشا" بأنّ تاريخ ميلاده وبرجه ليسا دقيقين، وإنّ له ابنًا، وإنّ منيّته ستكون على يدي ذلك الابن (يذكِّر جزء من النبوءة بأوديب ملكًا).

ونعرف أنَّ "فواز باشا" -وقد بلغ الستين- ليس له أبناء، إذ لم ينجب من زوجته "سماح شحادة" (ستصبح راوية من رواة الرِّواية المتعدِّدين) ابنة "نايف شحادة" الرجل المتنفِّذ والشخصيّة الاقتصاديّة العالميّة..

ويعود "فواز باشا" إلى الوراء، فيتذكَّر مضاجعته -قبل ثلاثين عامًا- لموظّفة من موظفات إحدى الشركات التي يمتلكها. ويعتريه الشكّ ومن ثم الخوف من تحقُّق نبوءة العرّافة "عروب". ويكلِّف مدير أعماله "ساري أبو أمينة" (وهو راوٍ من رواة النص) بالتحقُّق من وجود امرأة اسمها "منتهى

الراية" -ستصبح راوية من رواة النص أيضًا- وفي ما إذا كان لها ابن؟! وبعد بحثٍ مضنٍ يتمّ التوصُّل إلى حقيقة وجود المرأة والابن.. وأنَّ الابن "وليد" أو "الوليد" -سيصبح اسمه شرحبيل بعد انضمامه للجهاديّين- هو الابن البيولوجي لفواز باشا. وعندها يزداد قلق الباشا وتستفحل مخاوفه وهواجسه، فيقرِّر ضرورة قتل الابن والتخلُّص منه. لكنَّ الابن ينضمّ إلى الجهاديّين في أفغانستان، ثم ينقله الفصيل الذي ينتمي إليه إلى سورية.

ويحاول الباشا -عن طريق مدير أعماله- التخلُّص من الوليد/ شرحبيل، لكن كل محاولاته تبوء بالفشل. وتنتهي الرِّواية بقيام شرحبيل بعملية عسكريّة في سورية كانت أقرب إلى الانتحار، وتفجير سيارة "فواز الباشا" ومعه مدير أعماله "ساري أبو أمينة" -في عمّان- من قِبَل عميل مزدوج هو "ضرار الغوري" (راوٍ من رواة النص). وينتقل الباشا إلى باريس لإتمام علاجه، ويرقد مدير أعماله في مشفى في عمّان بعد أن بُترت ساقه وأصيبت أطرافه الأخرى!!

تعالج الرِّواية موضوعًا راهنًا هو التديُّن أو ظاهرة التطرُّف الديني. ويحتمل النص تأويلات متعدِّدة استنادًا إلى الانتقاء المدروس للأحداث والشخصيّات والجزئيّات والخاتمة. فهل تودّ الرِّواية أن تقول إنَّ ظاهرة التطرُّف الدّيني (الجهاد) هو الابن الشَّرعي لفساد الطبقة البرجوازيّة المتنفِّذة وانحرافاتها؟! وتبعًا لذلك هو الابن غير الشرعي" للدُّعاة والأئمّة المتطرِّفين؟! أم أنَّ هذه الظاهرة (التي يمثلها في النص) الوليد/ شرحبيل هي نتاج لتحالف خفي بين الطّرفين!!

الحق أنَّ المرء لا يستطيع أن يرجِّح هذا أو ذاك استنادًا إلى معطيات النص وخاتمته مرَّة أخرى.

ولهذا، يمكن وضع فرضيّة أخرى تتمثَّل في وجود قوى خفيّة مهيمنة وملمّة -وربّما متحكِّمة- بكلّ صغيرة وكبيرة (قد يمثِّلها في النصّ الأب نايف شحادة: انظر الصفحات الأخيرة من النص) وهذه القوى أشبه "بالتُّروس الهائلة في آلة القدر".

تتكوَّن بنية الرِّواية من مشاهد عديدة -أكثر من ستين مشهدًا- ويتصدَّر المَشاهد أسماء الشخصيّات التي يقوم كلّ منها بالسَّرد بضمير المتكلِّم، فنحن نقرأ مثلًا: "ساري أبو أمينة"، "سماح شحادة"، و"منتهى الراية"، ثم "سماح"، ثم "ساري"، ثم "أبو حذيفة"، و"ضرار الغوري"... وهكذا. ويسمح هذا التَّشكيل بتعدُّد الرُّواة وربَّما بتقديم وجهات نظر متباينة، وهو أمر يضفي الحيويّة والتَّشويق على البنية السرديّة.

وتبدو الحبكة في هذا النص متماسكة، فالأحداث متتابعة ومتلاحمة ومتضافرة، وتفاعل الشخصيّات مع الأحداث جاء خصبًا ومقنعًا، كما أدّى إلى نموّ الصُّوَر السرديّة والوصفيّة والحواريّة وتضافرها.

وجاءت أحداث الرِّواية في مستويين متداخلين من حيث الزَّمان والمكان. فهناك أحداث مباشرة تدور في الزَّمن الحاضر، وأحداث غير مباشرة تدور في الزَّمن الماضي.

والأحداث المباشرة تدور في الأردن وأفغانستان

وسورية في زمن "الرّبيع العربي"، أمّا الأحداث غير المباشرة فتدور في باريس والأردن وتمتدّ إلى ثلاثين عامًا إلى الوراء حيث العلاقة -غير الشرعيّة- بين "فواز باشا" و"منتهى الراية".

ومن المهمّ الإشارة إلى تداخل المستويين وتدرُّجهما وتكاملهما، وهو ما أدّى إلى تلاحم الماضي والحاضر أو جعل الماضي حاضرًا والحاضر ماضيًا، وهو ما يؤكّد تماسك البنية السرديّة وحبكتها

ويوحي عنوان الرّواية "موسم الحوريّات" بسِمَة من سمات الزّمن الرّاهن حيث يكثر الحديث عن: الجهاد والجنّة والحوريّات.. لكن النص يورد صورة وصفيّة في المشهد الأوّل تتضمّن الإشارة إلى الحوريّات -في منزل فواز باشا- حيث نقرأ أنّ مقعد العزّافة "عروب" جاء "..وراء نافورة المياه التي تعتليها ثلّة متحاضنة من الحوريّات ذوات الأجساد الكريستاليّة، يسكبن المياه بأكفهنّ الشفّافة في الحوض المائي الواسع المستدير"(ص6). كما يذكّر أحد القادة في أفغانستان عناصر الجهاديّين بحوريّات الجنّة. فهل ثمّة علاقة خفيّة بين الحوريّات (في منزل فواز باشا الباذخ) والحلم بحوريّات الجنّة؟!

واللافت في النصّ المستويات المتعدِّدة للُّغة: فلغة الخطاب الديني جاءت معبِّرة عن طبيعة الشخصيّات "الجهاديّة" وتفكيرها ونهجها، من خلال المفردات والتّراكيب والحماسة والانفعال الصّادق، ومعبِّرة -في الوقت نفسه- عن موقف النص من خلال الشُّخرية المبطّنة من هذا الخطاب.



رحم الله جمال ناجي الذي تمكن -باقتدار- من رفد المكتبة الروائيّة العربيّة بعدد من الرّوايات اللافتة بموضوعاتها وتقنياتها ونسيجها الفنّي واللّغوي، كما أعاد للرّواية الواقعيّة ألقها، وأكّد -من خلال الممارسة- أنّ التّجديد الأصيل هو ذاك التّجديد الذي يأتي نتيجة تطوُّر فنّي طبيعي؛ أي تلبية لإملاءات فنيّة وسياقيّة محليّة، أمّا التّجديدات المُصطنعة أو "المُستعارة" التي تأتي مُسايرة للدُّرجة السّائدة فسرعان ما يطويها الزّمن ■

سؤال الهويّة في رواية "غريب النهر" للرّوائي جمال ناجي

د. إبراهيم السعافين/ الأردن

يتجلّى سؤال الهويّة في رواية "غريب النّهر"، على ضوء حركة المكان والتّاريخ في ظلّ التحوّلات التي شهدتها المنطقة على مدى متطاولٍ من الزّمن، شهدَ أفول الحكم العثماني، ورسوخ الاحتلال الاستعماري المتمثّل بالانتداب البريطاني على فلسطين، وتهيئة السّاحة للعنصريّة الصّهيونيّة من خلال وعد بلفور الذي صاغه حاييم وايزمان وعتاة الحركة الصهيونية لإقامة وطن قوميّ لليهود في فلسطين والتنكُّر لكل ما قطعه الحلفاء للعرب من وعود كاذبة، لم يستفد العرب كثيراً من دروسها التي غابت بعيدًا دون أن تعيها أذن واعية.

تدور رواية "غريب النّهر" في أماكن متعدّدة، تؤرّخ لأسرة عبدالجبّار أبو حلة الذي هُجّر بالقوّة من بيته وبيّارته من قرية العبّاسية على الساحل الفلسطيني قرب يافا عروس السّاحل السّوري إلى الشّتات ليستقرّ ابنه عمّر إسمعين "إسماعيل" أخيراً في بيّارة استصلحها هو وزوجته فخريّة في الشّونة الجنوبيّة قريبًا من الضفّة الشرقيّة لنهر الأردن. وتتعرّف على كلب الحراسة صبّار الكذّاب نموذجًا حيوانيًا له وجود لافت في الرّواية، وله حضور أقرب إلى حضور الإنسان في عائلة عمّر إسمعين.

لعبدالجبّار أبو حلة إلى جانب ابنه عمّر إسمعين ولدان أحدهما مصطفى فُقد في حرب السفر برلك وانقطعت أخباره تمامًا، وأصبح في نظر أخيه عمّر إسمعين في عداد الأموات، وحمدان الذي يصغر عمّر إسمعين. هذا الرّجل الذي نجح في تجارة بيع الحُصُر وافتتح معرضًا في اللُّد، وشغّل عددًا من رجال القرية وشبابها في مهام حصد غلالات القشّ من مستنقعات وبرك طبريّا ونهر الأردن ووادي الموجب والأزرق وتحميلها

في العربات إلى بيوت العاملات في الحُصُر. ولكنّنا نعرف في ما بعد أنّ عبدالجبّار كان مع الثّوار، ما قاد إلى إعدامه شهيدًا على أيدي قوات الانتداب البريطاني الذي كان يميّز بين أصحاب الأرض والمهاجرين اليهود:

"ففي أحد الأصباح أفاق النّاس على مشهد ثلاث سيارات عسكريّة إنجليزية تجوب القرية وتتوقّف أمام عدد من بيوتها، كما سمعوا لغطًا وضجيجًا أمام بيت عبدالجبّار أبو حلّة، ورأوا سيارة لاندروفر عسكريّة إنجليزيّة تقف عند بابه، يتقدّمها اثنا عشر جنديًّا وضابطان، اقتادا عبدالجبّار مصفّدًا من بيته، بينما تمّ إخراج ثلاث عشرة بندقيّة وثلاثة صناديق من الرصاص من مستودع القش والحصر أسفل بيته" ، لقد كان يجمع الأسلحة والذخيرة ليوزّعها على الشباب من قريته ومن مجاهدي بيت دجن وسَلَمة للوقوف ضدّ اعتداءات العصابات الصّهيونيّة، ولكن السلطات البريطانية نفّذت فيه، كعادتها، حكم الإعدام وتسلّم أهالي القرية الغاضبون جثمان عبدالجبّار أبو حلّة من سجن الرّملة.

أمّا أبناء عمّ إسمعين من فخريّة فهم شعبان الذي تزوّج في عمّان من شهلا المبذّرة التي أتت على كل ما لديه من مال؛ فهي تبدّل قطع الأثاث في مرّات متقاربة ولا تلبث أن تشتري ما يلزمها من ملابس وغيرها دون حساب، وابنه رزّاق دائم التّرحال والسّفر، وأمّا ابنه الثالث والأخير جهاد، فقد عاد مع السلطة الفلسطينيّة إلى رام الله.

وكغيره من الفلسطينيين الذين شُرّدوا من ديارهم ظلّت قريته العبّاسيّة هاجسه الكبير، ولعلّ إقامة بيّارة في أراضي الشّونة الجنوبية بمحاذاة الضفّة الشرقيّة لنهر الأردن هي الصّورة المتخيّلة المستدعاة لبيّارة العباسيّة التي هُجِّر منها قسّرًا، وعاثت العصابات الصهيونيّة بالقرية هدمًا وتدميرًا.

وقد بَدَت الصّورة الأخرى في الرِّواية وهي البحث عن اللّقى في أماكن مختلفة تعبيرًا عن وحدة المكان سواء أكان هذا المكان هو المفرق أم قصر هشام بن عبدالملك في أريحا، أم بيّارة العبّاسيّة التي تقترب من سكة الحديد التي تمر بالسّاحل السّوري.

وتبدو قضيّة الهويّة من أهم القضايا في رواية "غريب النّهر"، فنرى ثمّة إلحاحًا على بيان جذور عائلة عمي إسمعين في ما يتّصل بـ"حكاية الإنطاء" وجذور العائلة، إذ يقول عمي إسمعين: "ولدتُ في قرية العبّاسيّة بعد سبعة أعوام من انتهاء الحرب العالميّة الأولى، لأبوين عربيّين هما عبدالجبّار بن إسماعيل بن فاروق أبو حلّة، والسيّدة عائشة بنت رشيد بن إسماعيل بن فاروق أبو حلّة، اللذان يتحدّران من إحدى حمائل بني تميم من بني عبدالدّار، رهط الصّحابي الجليل تميم الدّاري المتحدّر من قبيلة عربيّة اسمها لخم، أقامت في فلسطين قبل ألف وثمانمائة عام من ميلاد السيّد المسيح، ثم انتشرت عائلاتها بعد الفتوحات الإسلاميّة في مناطق الخليل والسّاحل الفلسطيني ونابلس والسلط والكرك وسواها".

ويورد قصّة الإنطاء بعد أن أسلم القوم وذهب تميم بن أوس الداري وأخوه نعيم في نفر من قومه إلى المدينة المنوّرة لاعتناق الإسلام أمام الرسول عليه السلام الذي أقطعهم ديارهم "مدينة الخليل التي كان اسمها حبرون، والمرطوم وبيت عانون وبيت إبراهيم"، وقد ورد نص الإنطاء في كتاب مجير الدين الحنبلي "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل". وقد شهد على هذا النص الخلفاء الأربعة.

وبدا الإلحاح على الهويّة في المقتنيات التي كان يمتلكها أهل العبّاسيّة أيام الحرب العالميّة الأولى، حين سرت شائعات بأنّ العساكر سيستولون على المقتنيات الذهبيّة والفضيّة والنحاسيّة والبرونزيّة والخزفيّة وكلّ التحف والأثريّات والنفائس في البلاد، من أجل شحنها إلى متاحف الآستانة. فقد أثمرت هذه الشائعات بيْع النّاس مقتنياتهم التي تشير إلى عراقة أهل فلسطين وامتدادهم في التاريخ من العهود العمونيّة والبيزنطيّة والسلجوقيّة والممالك العربيّة القديمة ومن الرومان والفرس والعرب المسلمين.

هذه المقتنيات التي تعرّفنا على شخصيّة مهمّة في الرّواية هي شخصيّة مصطفى الابن الأكبر لعبدالجبار شقيق عمّر إسمعين والشّهيد حمدان الذي استشهد في معركة الكرامة عام 1968 مع الجيش الأردني والفدائيين. كان مصطفى قائد إحدى الشاحنات مع الجيش العثماني في منطقة المفرق، وذهب مع صديقه العريف طلعت آتاش إلى إستنبول ليتعرَّف على أسرة طلعت ويتزوّج أخته وينجب منها ولديه شوكت وألماز، ومصطفى هو الذي احتفظ بخرائط اللُّقى التي جاءت بشوكت بن مصطفى للبحث عنها في المفرق وأريحا والعبّاسيّة، ونرى علاقات متشابكة تنحلّ خيوطها في ما بعد، حين نعرف أنَّ رزّاق الذي لا يقيم على حال دائم السّفر والتنقّل من بلد إلى بلد على علاقة مريبة تقترب من تخوم الحبّ مع خالته سفر، وسفر هذه شخصيّة محيّرة لها من اسمها نصيب، ونتبيّن العلاقة في أنَّ سفر على علاقة بالفدائيّين في بيروت والجنوب، وأنّها التي تمكّنت من إنقاذ حياة ياسر عرفات من محاولة اغتيال، وأنّها التي زكّت رزّاق لدى القائد ياسر عرفات لإدارة أموال المنظمة في عدد من البلدان الإفريقيّة والآسيويّة، إلى جانب تأسيس مصنع للملابس في إستانبول بالشّراكة مع ابن عمّه شوكت، حيث يتعرَّف على الحدود بالصُّدفة على ابن عمِّه شوكت الذي ظهر أنّه يعرف كلّ شيء عن تاريخ العائلة.

وعلى الرّغم من أنّ مصطفى قد جاوز المائة، فإنّ إحساسه بالهويّة الأصليّة لم يغادره أبدًا، كوَّن أسرةً وأصهارًا في إستنبول، ولكنَّ جذوره ظلّت حيّة في ذاكرته، فقد أوصى حين حضرته الوفاة أن يُدفن في العبّاسيّة، وكيف له أن يُدفن في العباسيّة وهي القرية المهجّرة المدمّرة الواقعة تحت الاحتلال الصّهيوني، وكيف يمكن له أن يُدفن والاحتلال يحرّم على الفلسطينيين العودة سواء أكانوا أحياءً أم أمواتًا، لقد تدخّل السفير

التركي بما لتركيا من دالة لدى إسرائيل في ذلك الوقت، وتدخّل السّفير الأردني، وتدخّل جهاد لدى بعض المسؤولين في السُّلطة ممّن تربطهم علاقة بإسرائيل دون جدوى؛ فسياسة إسرائيل حاسمة في هذا الصّدد، ليس من المسموح لأيّ فلسطيني العودة إلى أرضه حيًّا أو ميتًا.

ثمّة موقفان يتناقضان؛ موقف عمّي إسمعين الذي لا يعترف إلّا بفلسطين كاملة غير مجزّأة ويرفض فكرة أن يذهب شوكت إلى بلاده "بموجب تصريح توافق عليه سلطات الاحتلال، لأنه لا يعرف إلّا فلسطين التي في ذاكرته، لا تلك التي عرّفتها الاتفاقيّات. لذا تنهّد قائلًا لشوكت:

- تتحدّث حينما تعود من إسطنبول".

عمي إسمعين الذي يرفض كل الحلول الواقعيّة والاتفاقيّات، ويرى أنّ الكل مجانين وأن لا فائدة من السُّلطة والدولة الفلسطينيّة للاجئين الذين هم أغلبيّة الفلسطينيين "وهذا الحلّ سيحرمنا من بلادنا، وسنكون مثل مصيّفي الغور، بلا فائدة حتى لو رجعت الضفّة الغربيّة كلّها(...)".

وأمّا الموقف الصّهيوني، فهو حاسم لا يقبل النّقاش، فكل المحاولات التي بذلتها السُّلطة بدفع من رزاق وجهاد وزوجته سهير ومعارفهما قوبل بالرّفض الذي استند إلى عبارة إسرائيليّة حاسمة وقاسية: "ماذا لو أوصى كلّ الفلسطينيين في العالم بأن يُدفنوا في إسرائيل أو في أراضي السّلطة الفلسطينيّة؟"، ولكم هي مفارقة قاسية ذات دلالة ألّا يجد الفلسطيني الذي طُرد من بيته وبيّارته ووطنه وذاكرته مساحة قبر لجثمانه



والمحتلّ المتغطرس يحتلّ كل شيء؛ التاريخ والذاكرة والجغرافية!

كان يمكن أن تُحلّ القضيّة بدفن جثمان أخيه مصطفى إلى جوار قبر أخيه الشهيد حمدان وقبر أمه عائشة أرملة الشهيد عبدالجبار أبو حلّة قرب مقام أبي عبيدة عامر بن الجراح، ولكن ثمّة إصرار من ابنه شوكت بتنفيذ وصيّته، ولم يكن بدّ بعد استنفاد المحاولات في دفنه في العباسيّة أو في فلسطين من التفكير في دفنه غرب النّهر، حتى ولو على الضفّة الغربيّة مباشرة، لقد بذل الكل جهدًا كبيرًا في سبيل تنفيذ هذه الوصيّة، على الرّغم من كل المحاذير والمخاطر والاحتمالات.

تمّ تنفيذ الخطة في نقل الجنازة عبْر النّهر في جوّ ملحميّ، التحم فيه الوصف مع الإخبار مع الحدث وتفصيلات المكان ورمزيّة الفضاء كلّه، تجسّدت فيه خبرة عمّ إسمعين بالمكان ونباتاته وأشجاره ومجرى النّهر، فها هو الرّاوي يصف المكان:

"كان الظّلام دامسًا كثيفًا، والنُّجوم تتوارى خلف الغيوم التي تجمّعت في السّماء منذ ما بعد الظهيرة، وقد عمَّ المكان مزيج من عزيف قريب لرياحٍ أحسّها عمي إسمعين مشبعة بالحنين إلى ماضيه، وهشيش لأشجار متقاربة، وخرير حائر لمياه جارية، ونعيق متقطّع مباغت لغربانٍ ليلية أربكها وجود الرّجلين في ذلك المكان".

لقد احتفَت الرّواية بالبطولة والشهادة وتمجيد التمسُّك بالهويّة؛ فعائلة عبدالجبّار أبو حلّة قدّمت الشهداء والمناضلين من عبدالجبار نفسه الذي أعدمه المستعمرون الإنجليز إلى ابنه الشهيد حمدان الذي استشهد في معركة الكرامة إلى حفيديه رزّاق وجهاد الذين انضمّا إلى المقاومة إلى سهير وسمر وآخرين. وقد بدا الاحتفاء بالشُّخوص والمكان في جوّ ملحمي تتبدّى فيه الغرائبيّة والعجائبيّة، وتنتشر فيه الطقوس والمعتقدات الشعبيّة، ونضرب مثلًا على ذلك في الإشارات التي تراءت للناس بعد إعدام عبدالجبّار:

"غير أنّ ما أذهل أهل القرية هو ما قيل من أنّ عددًا من الرّجال والنّساء رأوا كراتٍ من اللهب تنطلق من قبر عبدالجبار في الليلة الأولى لدفنه، كرات تشبه تلك التي ينفخها من فمه في ليالي الوقفات والأعياد، حتى إنّ ثلاثة من الرجال وامرأة أقسموا، أمام حشد من أهل القرية عند باب المسجد، على أنهم شاهدوا تلك الكرات النّاريّة وهي تنبعث من القبر ليلًا".

إلى جانب اعتقاد راسخ يمسك بتلابيب الرِّواية حول شهور الموت؛ وهما شباط وآذار من كلّ سنة، ما سبَّب هاجسًا لازم عمّي إسمعين والأسرة في لعبة التحوّلات التي طرأت على العائلة في زمان الشّتات، حتى وعمّي إسمعين يستبدل بيّارةً ببيارة، ويتزوّج من نجود زوجة ابنة أخته الفقيد وحيد الحنش، وينجب فتاة تصبح أثيرة لديه اسمها خلود، ولكن استمتاعه بزواجه من نجود التي تغيَّر وضعها بعد ان تملَّكتها حالة من التديُّن المفاجئ لم يدُم طويلًا، وعاد إلى حياته المعتادة مع زوجته فخريّة التي استقبلت خلود بعطف كبير ■

المكان في روايات جمال ناجي

مُقاربة أوّليّة

د. نبيل حداد/ الأردن

إنّ نظرة سريعة للعناوين التي تحملها روايات جمال ناجي عبْر مسيرته التي امتدّت ما يزيد على خمسة وثلاثين عامًا، توحي بأنّ المكان، رُكن أساسي مشترَك في كلّ روايات ناجي الثماني. بدايةً؛ فإنّ المفهوم المتّفق عليه لبيئة العمل الأدبيّ هو المنظومة الثنائيّة التي تحوي الحقيقتين الزمانيّة والمكانيّة للعمل، ومن هذا المنطوق نرى الإيماء للمكان واضحًا في عنوانات جمال كلها: "الطريق إلى بلحارث"(1982)، وهي كذلك واضحة في الرُّكن الثاني للبيئة، أي الزّمن، في عمله الثاني: "وقت"(1984)، والبعدان الزّمني والمكاني واضحان في عنوان الرّواية الثالثة: "مخلفات الزوابع الأخيرة" 1988، أمّا "الحياة على ذمّة الموت"(1993)، فلعلّها تنطوي على الإشارة الأوسع للمدى البيئي المتمثّل بالزّمن، ونأتي إلى "ليلة الريش"(2004) والإشارة الظرفيّة متوهِّجة في هذا العنوان، وكذلك الأمر في "عندما تشيخ الذئاب"(2006)، و"غريب النهر"(2011)، والنهر مكان وأيّ مكان، ثم أخيرًا "موسم الحوريات". إشارات ظرفيّة في تلك العنوانات كلّها تحيل إلى المكوّن البيئيّ، زمانًا أو مكانًا أو كليهما.

من ناحية أخرى؛ فإنّ موضوع البيئة/ المكان عند جمال ناجي ظلّ موضع عناية عند عدد كبير من النقّاد والباحثين، وها هو اليوم يدعوني لأن أدلي دلوي بدراسة متكاملة حول هذا المكوّن، صحيح أنه ما من دراسة أنجزتُها عن جمال ناجي إلّا كان للمكان الرّوائي في أعماله حضور بصورة أو بأخرى، ولكنّ إملاءات النّشر في هذا الملفّ تفرض عليّ أن أكتفي بالتعرُّض لثلاثة أعمال فحسب من علامات الرِّحلة الجليلة، مستعينًا بجهودي السابقة حول أعمال هذا

الكاتب الفذّ، ولتكن أعماله الثلاثة الأولى، على أن تُستكمل الدراسة في مرحلة تالية الطّواف على باقي الأعمال.

* * *

يأخذ المكان في "الطريق إلى بلحارث" ثلاثة أبعاد بيئيّة -إن جاز التَّعبير- والعامل الأساسي في تأطير كل بُعد منها هو المرتكز الفضائي الثاني، أي الزمن. إنّ الفضاء المكاني الأول، هو بيئة "الحدث الروائي" أي البيئة السعودية إذ تشغل اللحظة الراهنة للحدث الأساسي. وهناك بيئة الماضي القريب وفضاؤها المكاني هو المخيَّم الفلسطيني في الأردن، أمّا البيئة الثالثة، فإنّ فضاءها المكاني هو الوطن السليب، ويافا تحديدًا، التي تحضر بانعكاس برتقالها شكلًا ورائحة على وجه الحبيبة.

ويتعامل المتلقي مع البيئة الرئيسة، أي بيئة الزمن الحاضر، مباشرة؛ إذ يمارس السارد دوْره في القصّ وتحريك المَشاهد وتصوير الأحداث، أمّا بيئة الماضي القريب، فإنّ الاشتباك معها يتمّ من خلال الحوار بين الشخصيّات، ويتمّ التّعامل مع بيئة الماضي البعيد من خلال الذكريات والذكريات عن الذكريات، أي من خلال ذكريات البطل في غربته عمّا كانت تحكيه له أمه من ذكريات عن الوطن السّليب.

يلاحق حصار الغربة عمادًا بطل الرِّواية في أكثر من مظهر، منذ أن قرّر السفر إلى السعودية لتحسين وضع أسرته المالي. ومنذ البداية تجبهه رموز الغربة بمفردات مكانيّة؛ قاعة المطار، وهي بيئة مؤقَّتة شأنها في هذا شأن المخيَّم الذي يعيش فيه في عمّان. الفندق المتواضع الذي يحلّ فيه في جدّة، والفندق بيئة عابرة مؤقتة تومئ إلى الغربة المكانيّة وعدم الاستقرار معًا. ويتعمَّق الإحساس بالغربة بشريك الغرفة في الفندق الذي يصدر عنه كل ما من شأنه أن يشعر عمادًا بأنه شخص غير مرغوب في وجوده معه في المكان نفسه. والمقهى -بدوْره- تجمُّع مؤقَّت للغرباء، ولكنه -للمفارقة- يبثّ إحساسًا مشتركًا بين مرتاديه، إحساسًا بأنهم كلهم غرباء؛ ممّا يوفر قدرًا من التآلف يزيح -بدوْره- قدرًا من الإحساس بالغربة، لا سيّما أنّ في المقهى مذياعًا يبثُّ بعض الأخبار العامة التي عادة ما تشدّ اهتمام المستمعين بصرف النَّظر عن تنوُّعاتهم.

ويعيش عماد إذن الاغتراب بمستوييه: المادي والمعنوي (النَّفسي). في حين نلاحظ أنَّ رفيقه منصور يتخطّى مظاهر الاغتراب النَّفسي ويعيش متصالحًا مع المكان الجديد ومعطياته البيئيّة المُضنية.

لكنَّ عناصر الاغتراب تظلّ تلحّ على عماد من خلال الذكريات، وفي الذكرى انسلاخ للشخصيّة عن واقعها الرّاهن. يتذكَّر عماد محبوبته نادية وهي في عمّان تلازم والدته التي يستعيد "ذكرياتها عن ذكرياتها" في يافا؛ فالأم بهذه الذكريات ترى الوطن السَّليب منعكسًا بألوانه على الوجوه. يسأل عماد أمه (ويحضر السؤال بالذِّكرى) كيف عرفت أنَّ نادية "يافاويّة"؟ فتردّ الأم: "مش قلت لونها زهري فاتح؟ وإنها مدنيّة

مِش فلّاحة؟"(ص10).

* * *

يختار جمال ناجي "المخيَّم" بيئة حصريّة للأحداث الأساسيّة لعمله الثاني "وقت"(1983) ويكاد المُعطى المكاني هنا أن يحدِّد مسار الأحداث ويرسم خصائص الشُّخوص، وأحيانًا نرى المكان وقد تحكَّم في مصائر الناس... بل يصنع ظروف حياتهم ويتسبَّب في موتهم.

والمخيَّم، كما ذكرنا، يظلّ بالنِّسبة لقاطنيه بيئة مؤقَّتة، أقلّ الأبعاد الزمنيّة فيه أهميّة هو الحاضر، بل إنَّ هذا الحاضر خصم ينبغي استبعاده ما أمكن، لأنه يحجب الشخصيّة عن ماضيها التّليد، ومستقبلها المأمول بالعودة إلى الوطن السَّليب. وفي المخيَّم يلحّ الماضي البعيد ويلج القريب. حيث يتحدَّث الكبار للصغار عن المجد القديم: الشاطر حسن، والمهلهل، وأبي زيد، ثم عن حمادة العتيق وعن الدروب التي تذهب بالأبطال ولا تعيدهم إلى ديارهم(وقت، ص11).

وفي المكان المؤقَّت تكثر، حتى بين أهالي المخيّم أنفسهم، ألفاظ النَّبذ من قبيل: تجهنم "أي اذهب إلى الجحيم"(ص 40)، و"انقلِع"(ص107)، و"انسلخ"(ص60)... إلخ. وفكرة النَّفي والمُطاردة واللااستقرار تنسحب لتشمل سبيل العيش الذي اختاره والد البطل من خلال مهنة البناء؛ فهي لا تضمن للعائلة استقرارًا مريحًا. يقول الأب عن هذه المهنة: "مثل الصيد، يوم تصيب وعشرة تخيب"(ص17).

وتكتسب الأمكنة في المخيَّم أهميَّتها من دوْرها الحاسم -في كثير من الأحيان- في حياة الشخصيّات، بل وفي تحديد مصيرها؛ ففي الحفرة التي تتوسّط المخيّم تتجمَّع عناصر المأساة: الوحل والماء الآسن ومكب النفايات ثم الغرق. وفي قاع الحفرة (البركة) يبذر منير الكسار وأولاد الحارة شقاءهم وأحلامهم. هكذا يروي البطل كيف غرقت أم فتحية، جارته، ووالدة الفتاة التي طالما أحبَّها بكلّ ما يمتلك من مشاعر: "حين انزلَقَت قدمك في الوحل، سقطَت الصّفيحة عن رأسك، انسكب ماؤها في الحفرة، وأنت تأرجحت عند الحافة إذ ذأتك الريح، ثم وقعت في الوحل، تشبثتِ في الطين، ركضنا إليك، صحت بذعر، لكنك انزلقت في الحفرة، كجسم ألقى في مجرى مقصلة، وجاهدت الماء بيديك لثوان، وإذ أخفقت اختفيت في عباب الماء والعكر"(ص94).

ولئن جمع المكان الحفرة، والنفايات الماديّة الصمّاء؛ فإنه يستقطب كذلك النفايات البشريّة؛ فنبيل الجسر -النموذج المضاد- يفرغ شهواته في قاع الحفرة مع إحدى البائسات، وتحديدًا في المكان الذي تتجمّع فيه النفايات.

وعلى حافة البركة غرقت أم فتحية، السيدة الحامل، وهي تحمل على رأسها إناء الماء الذي تنقله إلى منزلها من الصَّنابير العامّة. هنا يربط السارد -من خلال المكان- بين جميع أوجه المأساة؛ فما يفعله الجسر لا ينفصل عن السبب الذي أدّى لمصرع أم فتحية(وقت، 174).

في بيئة المخيَّم تنعقد العلاقات الإنسانيّة بسهولة ويسر ووضوح. إنَّ جميع الأبواب مشرعة، باستثناء بيت آل الجسر المشتبه بتواطئهم مع العدو، وفي جوّ مجالس السَّمَر ينشأ "منير الكسار"، شخصيّة ضعيفة فيها الكثير من عناصر الإحباط والتردُّد والعجز عن المواجهة. هذا العجز كان يواكبه وعي من نوع ما، ولكن الإحساس بهذا الوعي ينمو ببطء شديد؛ فكلما اشتدَّت على منير وطأة إهانات "نبيل الجسر"، كان السَّعي للصُّمود يخذله؛ حاول أن يواجه نبيلًا وأخفق، وحاول أن ينقذ أم فتحية من الغرق وأخفق، وفي نقاشه مع الكبار كان يشعر بمرارة النقص، وسعى للبوح إلى فتحية مباشرة بمشاعره ولكنه لم يفلح. واقتنع وجدانياً بدعوة صديقه الثوري شهاب له للانضمام إلى التنظيم لكنه تردَّد ولم يقدم...

بيد أنَّ الوعي إذا اقترن بالإحساس الحاد بالذات والإرادة الصادقة لاتِّخاذ الموقف الإيجابي، لا بدّ أن يقود إلى مرحلة الفعل الإيجابيّ؛ فتتحرَّك نوازع مقاومة العجز، وهي نوازع كامنة في أعماق شخصيّة منير. هنا استطاع جمال ناجي أن يربط ما يجري في شخصيّة بطله، بإيقاع ما كان يجري على الساحة العربيّة؛ ففي الوقت الذي كان فيه منير يترقَّب الفرصة للانقضاض على خصمه من آل الجسر، كانت الأمّة العربيّة كلها تترقَّب منذ سنين هذا اليوم الذي تنقضّ فيه الجيوش العربيّة على الكيان المزعوم. كان ذلك تحديدًا أوائل حزيران 1976... يعترض منير سبيل نبيل الجسر ويوسعه ضربًا أمام أهالي الحارة... في الوقت الذي تهدِّد فيه الإذاعات العربيّة -بحسب ادِّعاء السّارد(ص157)- بشعارات من قبيل: "احفروا قبوركم بأيديكم أيها الإسرائيليون". وكانت النتيجة الكارثة المحقّقة التي ما زلنا نعيش تبعاتها إلى اليوم.

هكذا ينجح التحدّي الفردي؛ إذ يفرّ آل الجسر من المخيَّم بعد سلسلة من المُواجهات. وبذلك تذهب الرِّواية إلى أنَّ الإنسان العربي قادر -على الصَّعيد الفردي- على المُواجهة والخروج من القوقعة في حين يعجز النظام العربي عن التصدّي؛ فتخرج الأمّة جريحة مهزومة... نعم تنجح بيئة المخيَّم البائس، فيما تعجز عنه أعتى العواصم.

* * *

من الواضح في الرِّوايتين السابقتين أنَّ العلاقة بالمكان، تأخذ -في الأغلب الأعمّ- اتِّجاهًا أحاديًّا، أو شبه أحادي؛ إذ يؤثِّر المكان في الإنسان بأكثر ممّا يؤثِّر الإنسان في المكان، والمسألة على أيّ حال إشكاليّة تقوم على أساس افتراضيّ لا أكثر.

بيد أنَّ الاتِّجاه ينعكس في الرِّواية الثالثة لجمال ناجي "مخلفات الزَّوابع الأخيرة"(1988) حين تنجز شخصيّات العمل منظومة مكانيّة متكاملة بأبعادها الإنسانيّة والاجتماعيّة والقيميّة، وبأيدي أناس جاءوا من خارج المكان ليتعمَّق الاتِّجاه المعاكس (أثر الإنسان في المكان) عمق الوادي المتخيّل وحيواته، كما صاغها قلم ناجي. وتتأسَّس صورة الوادي المُنجز بالصّيغة التي

تتّخذها العلاقة مع المدينة... تلك المدينة التي لا تذكرها الرِّواية بالاسم حرصًا -على ما يبدو- على تحقيق أكبر مدى ممكن من الاستبعاد المكاني أو التَّجريد الفلسفي للمكان. وهذا ما يحقِّق أقصى مدى ممكن من حريّة الحركة أمام السّارد.

بدا واضحًا -بالنِّسبة لي على الأقلّ- تأثُّر جمال ناجي بما كان يرمي إليه نجيب محفوظ في "زقاق المدق"، ويسعى -فنيًّا- إلى إيصاله. إنّ كلًّا من الروائيّيْن قد أنجز "مكانه" المعيش الخاص به، صحيح أنّ لزقاق المدق وجودًا متحققًّا ومعروفًا بالاسم، لدى القاصي والدّاني، ولكنّ الزقاق خارج الرِّواية هو قطعًا غيره داخلها. وبهذا القانون فإنَّ من الضروري أن ينعكس هذا التأثُّر عند جمال في طغيان عنصر المكان ممزوجًا بمعطيات المرحلة وعلى جوّ الرِّواية وتأثيره الظاهر وغير الظاهر في صنع تفصيلات الحياة.

بل إنَّ بعض شخصيّات ناجي ليست بعيدة عن نماذج الزِّقاق. إنّ هاجار الغجريّة تقترب كثيرًا من حميدة بطلة الزقاق؛ فهاجار هذه -حتى بمقاييسنا القيميّة- تكاد تجسِّد نموذج العاهرة بالفطرة، والتَّعبير لنجيب محفوظ عن حميدة، إنّها تكاد تهب نفسها لكلّ عابر منتاب؛ ووراء ذلك، كما الأمر لدى حميدة، تطلُّعات شرهة لمباهج الحياة. ولعلَّ من الإنصاف أن ننبِّه إلى أنَّ تداعي ابنة الزقاق الذي شاده نجيب محفوظ، كان تداعيًا في القِيَم التي نشأت عليها وعاشت في ظلِّها إضافة إلى تكوينها الغريزيّ، في حين جاء سقوط هاجار، ابنة الوادي الذي شاده جمال ناجي نتيجة لقِيَم سلبيّة خاصّة ببيئتها الأسريّة المستمدّة من جماعة ضيِّقة (النور) لا تمثِّل مجتمعها الكبير؛ فهي ضحيّة زوج نذل لم تكن تعنيه معاني الشَّرَف بقدر ما كان يعنيه صعوده على سلّم الشُّهرة والثَّراء ولو تمّ له ذلك عن طريق جسدها. ومن هنا، فإنَّ رؤية جمال ناجي لا تذهب إلى درجة إدانة هاجار إدانة مطلقة، بخلاف رؤية نجيب محفوظ تجاه حميدة.

لقد سيطرت مفردات المكان على راوي جمال ناجي، وتحكَّم هذا الهاجس في عمليّة العزل والانتقاء سواء على مستوى الشخصيّات أو على مستوى المواقف، بل كاد هذا الهاجس يقود إلى ضرب من البطولة التجريديّة يُسبَغ على المكان، أي الوادي، ولا يحدّ من هذا التَّجريد سوى المعطيات التي طرحتها المرأة الغجريّة بخاصّة ودوْرها في "بناء المكان"، والحياة العامّة لأهل الوادي بخاصّة.

* * *

وبعد؛ فتلك جولة سريعة مع المكان المعيش في ثلاث من روايات جمال ناجي أمْلَتْها ظروف الإصدار الإعلامي، ولا أظنُّ أنَّ أبعاد الصورة يمكن أن تتَّضح أو تُستكمل دون وقفة تالية، وربّما وقفات أخرى أكثر تأنِّيًا عند هذا المكون الفنّي الأساسي في الأعمال الخمسة الأخرى التي أغنتنا بها مسيرة هذا الروائيّ الفذّ ■

"الطريق إلى بلحارث"
التمثّلات الثقافيّة... نتوءات ما وراء المعنى

د. رامي أبو شهاب/ الأردن

قَبْلَ أكثر من ثلاثة عقود، وبالتّحديد سنة 1982 أصدر جمال ناجي رواية "الطريق إلى بلحارث" التي ينظر لها بوصفها عملًا مفصليًا بوّأ الكاتب مكانة متميّزة في المشهد الرّوائي العربي، بالإضافة إلى عدد من الروايات التي شكّلت مشروعًا سرديًّا تميّز بقدرات حكائيّة ضمن وعيٍ فنيّ، حيث حرص ناجي كل الحرص على أن يخلق عالمه السرديّ متخفّفًا من الإضافات التي يسعى بعض الكُتّاب إلى إقحامها في الرّواية بهدف تمكين المكوّن السّردي الحكائي من منطلق الوعي بالصّنعة، ممّا تسبّب بنشازٍ سرديٍّ حيث يعلو صوت التّقنية القلقة على صوت الحكاية، غير أنّ رواية ناجي تجاوزت ذلك عبْر متتالية سرديّة تحتكم إلى عالم، أو مرجعيّات، تختصّ بوعيٍ ذاتيّ ممّا يفسّر نبض روايته، وحيويّتها حيث لا يمكن إنكار وقعها الإمتاعيّ على المتلقي الذي تتملّكه لذّة القراءة. لعلّ هذه اللذّة، أو ذلك الامتداد الذي يمكث عميقًا في وعي المتلقي، كان من الأسباب التي جعلت من رواية "الطريق إلى بلحارث" رواية كامنة في ذاكرة القُرّاء بوصفها صيغة جديدة من التّمكين السّرديّ بأقلّ قدر من الصّخب. هي الكتابة التي ترى بأنّ السّرد عالم ينهض كي يعيد صوغ الفعل، والرّؤية، والدّلالة مجتمعة.

مستويات الخطاب

تبدأ رواية جمال ناجي "الطّريق إلى بلحارث" بتلك الجثّة التي يسعى المدرّسون إلى تبريدها كي لا تتعفّن، هي مشهديّة تشي بثنائيّة أو قيمة تضاديّة أهمّ أركانها الحرارة، والثلج، بوصفهما عاملين يناقضان بعضهما بعضًا، هذا المشهد الافتتاحيّ الذي ينتج هذا العنف في التّكوين المبدئيّ للمكوّن الرّوائي، يعدُّ إحدى القدرات

السرديّة للانفتاح على إيقاع المتلقي الذي تشتبك ذاكرته مع العالم المتخيَّل في محاولة استجماع لتلك العناصر التي تتحدَّد بالقرية التي تقع على الأطراف... على هامش العالم، هكذا نسعى لأن نعيد تكوين الصّيغة، ونحاول أن ندرك مآلات هذه الافتتاحيّة بوصفها فخًّا سرديًّا، أو حيلة يتقنها صانع العمل.

لا شكَّ بأنَّ مقاربة "رواية الطريق إلى بلحارث" تحتمل أكثر من مستوى. فالتأمُّل يعدُّ أحد أدوات الناقد في محاولة لتخطّي حيرة المنظور، والمقاربة. ففي رواية جمال ناجي، نقرأ صيغًا سرديّة تمتلك بعض الخواص التي تجعلها في تقييم السّرد متقدّمة من ناحية الطّرائق، والتّقنيات، وبالتّحديد صيغة السّرد التي تنتظم ضمن إيقاعٍ سرديّ على مستوى الخطاب الذي يعلو على الإيقاعات الأخرى. فثمّة أكثر من دوائر إيقاعيّة تستند إلى تكوين الشّخصيّات، غير أنّها تشتغل بشكلٍ متوازٍ، ولكنّها تنتظم بشكلٍ نسقيّ؛ حيث تشكّل شخصية "عماد" العامل الغريماسي المهيمن، أو ذاك المتّجه إلى الهدف، وتحتها تنتظم صيغ أخرى، تعمل بوصفها عوامل مساندة ضمن آليّة متناغمة تنطوي على قدر كبير من القدرات الدلاليّة والثّقافيّة التي تعدُّ عميقة التّأثير. هذه المستويات تحدّد بشخصيات "منصور"، والأستاذ "علي"، والتي تتقاسم مجتمعة الصّيغ الدلاليّة التي تتواشج في إطار المنظور المعاين من قِبَل شخصيّة مركزيّة "عماد" الذي يعيد تفسير العالم السّردي من وجهة نظره، فهو يشهد، ويشارك، ويعلّق، في حين أنَّ كافّة المآلات السّردية تتناوبه، تأثيرًا، وتأثُّرًا، فيغدو تكوينًا أشبه بمرآة تنتهي إليه كافّة الصُّوَر والانعكاسات.

تتكوَّن الرِّواية من نسقيّة سرديّة ثقافيّة كامنة، يمكن تحديد معالمها من منظور تفعيل ضمير المتكلِّم بوصفه الشّاهد، أي عبْر شخصيّة "عماد"، وهكذا يمكّن فعل تجميع للعناصر الجزئيّة للنسق انطلاقًا من دلالة الهامشي، أو الصّيغة الطارئة لفعل الوجود الذي يجسّد استعاريًّا عبْر إحداثيّات سرديّة، تتناوب عليها كل من تمثيلات الإنسان والمكان والتاريخ، وجميعها تتشغّل بوصفها قيمة طارئة، غير مركزيّة. بيد أنَّ البُعد المكاني، يتقدّم للواجهة حيث تشكّل قرية "بلحارث" الصّيغة الجدليّة التي تشكّل فعل الجذب السّردي لكافة العناصر، أو لعلّها من منظور آخر فعل الجذب الوجوديّ لحيوات تائهة على هوامش العالم، كونها تنتمي إلى عالم الشّتات، ومن جهة أخرى قرية "بلحارث" هي المقصد، وهي الطارد، وهي الباعثة على الحياة، والأمل، وهي الخواء، والموت، وهي مع كل ذلك، ليست سوى الهامش الذي لا شيء بعده، أي أنّ القرية تشكّل قدرًا لا مجال للفرار منه، هي تلك الزائدة الدلاليّة التي تمتثل لهيمنة المراكز على الأطراف، وهذا يتبدّى خطابيًّا في هذه القرية، وما تنتجه من حمى، فما العالم سوى مجال من استعارات لغويّة كما يرى نيتشه.

المستوى السّردي الافتتاحي يحيل إلى جزئيّة

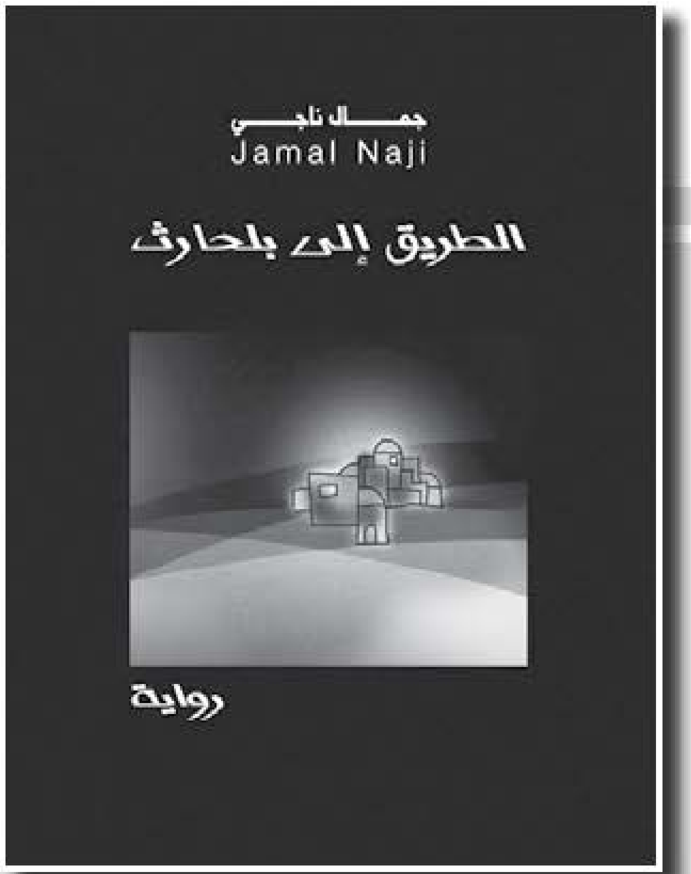
نسقيّة محوريّة تتمثَّل بشخصيّة "عماد" الشاب الذي ينتمي إلى مخيّمات الأردن بوصفه لاجئًا، وابن شهيد، ذاك الفقير الذي يسعى لتغيير عالمه، منطلقًا من رغبته بتخفيف العبء على الأم التي عملت بالخياطة لسنوات من أجل إعالة أبنائها، وثمّة الرّغبة بخطبة الحبيبة "نادية"، وأحلام أخرى... هذا الفيض الجمعيّ لعوالم "عماد" ما هو إلا تشخيص مجسّد لعالم المهمَّش، والمنفيّ، والمعدم... القائم على أطراف الأشياء، وليس في مركزها، شأنه في شأن صديقة "منصور" شقيق "نادية"، وصديقهما الأستاذ "علي"، وغيرهم من الباحثين عن عالم مختلف. هؤلاء الذين ينظرون إلى الاغتراب على أنه خلاص من هامشيّتهم، وفي طريقهم للتخلُّص من هذا القدر، يمضون إلى أقصى حدود النَّفي، إلى قدر آخر، نحو الاغتراب الذي يتحوَّل إلى جدليّة، مستمرّة لا متناهية، فأنتَ خارج الأشياء، وغير متموضع في مكان ما، كونكَ لاجئًا، وحين تعتقد بأنَّ ثمّة إمكانيّة ما لأن تستعيد تموضعكَ في الوجود، فإنَّكَ سرعان ما تعود للنَّفي أو الشتات مرّة أخرى، ولكن هذه المرّة إلى قرية نائية، تقع على أطراف الجزيرة العربيّة: "فتحتُ الباب، فوجدتُ سريرًا مرتَّبًا، يفتح ذراعيه بغبطة لاحتضان شتاتي" ، وهكذا تبدو صيغ الهامش جزءًا من الخطاب السّردي، حيث تتكرَّر كلمة «شتاتي» غير مرّة في الرِّواية. غير أنَّ هذا الإقصاء، يطال أيضًا القرية عينها، وهنا تكمن المفارقة في أقصى حدودها، بما في ذلك بعض الشّخصيّات المحليّة التي تقيم في القرية بوصفها جزءًا منها، أي غير طارئة، وهكذا نستعد التَّكوين النسقيّ لفعل الحياة باعتبارها خاضعة لتراتبيّة معيَّنة، فكما ثمّة مدن مركزيّة، ثمّة قرى نائية، ومنها قرية "بلحارث"، و"القنفذة"، كما "المخيَّم" من قبل، ونضيف إلى ذلك الإنسان كعماد، ومنصور، وعلي، وبوعايظ، وأخيرًا "ظفرة" الأفريقيّة التي تبرز في وسط الصحراء كنبع ماء، فهي الثائرة على تقاليد الهامش والمركز، هي تجسيد للانعتاق من كلّ شيء، فلا جرم أن يسعى "منصور" إلى أن يتمثّلها عبْر صِيَغ جنسيّة، تنطلق من تحميل محمولات الانعتاق والتحرُّر، فيغدو جسدها استعارة دلاليّة للحريّة بتكوينها الجسديّ المنفلت، والمتمرِّد على القِيَم، إذ تتبدّى "ظفرة" على أنَّها النَّقيض من هذا العالم، الجزء الآخر المقاوم لمعنى التراتبيّة التي أشغلت حدود الشّخصيّات، وجعلتها دومًا تتطلَّع إلى الانعتاق من قِيَمها.

"عماد" الذي يمتثل لصيغ الوجود الفلسطيني غير المعلن صراحة في الرِّواية، والذي لا يمتلك إلّا أن يقاوم واقعه، أو أن يتجاوز ماضيه، فيستسيغ هذا النَّفي المركّب، فلا جرم أن يُمرّر دلاليًّا جزءًا من مرجعيّته حيث يجلس في أول يوم في المقهى ليستمع إلى خبر اتفاقيّة توقيع سيناء. يأمل "عماد" بأن يعود بمالٍ كافٍ كي يتزوّج "نادية"، وينهي عذاب أمِّه، أو ربّما يشتري سيارة كي يتعرّف على عمّان التي لا يعرفها كما يقول في إشارة إلى هامشيّته، نموذج من تحقيق بعض

أحلام بسيطة، وهنا تتساوق الآمال لكسر حلقة المتعاليات الطبقيّة والمجتمعيّة التي تؤسّس عالمنا كما في جزئيّة الأستاذ "علي" وزوجته التي تضع طفلًا في الصحراء، يخلعون عليه اسم "فجر"، ولكن الفجر ضمن قراءة سيمائيّة يبدو حالة لا تكتمل، إذ يموت "فجر" بعد أيام، وهنا نصل إلى محوريّة "الإجهاض" التي تنتشر في المتن السرديّ، فالأستاذ "علي" يرغب في أن يجمع مبلغًا لشراء بيت، غير أنّ هذا المسعى لا يكتمل، كما هي كافّة المسارات السّردية في هذا العمل، فـ"عماد" تجهض أحلامه بوفاة صديقه منصور الذي أمسى جثة بعد أن داهمته الحمى، وهذا الأخير لا يكتمل حلمه بمعانقة "ظفرة" واكتساح جسدها، وهكذا تبدو عوالم اللااكتمال جزءًا من المقاصد الدلاليّة للرّواية.

التمثيلات الثقافيّة

إذا ما تأمّلنا المستويات السرديّة الدلاليّة في مجمل العمل، فسنجد أنّها تمتثل لتمثيلات ثقافيّة بهدف تمثيل العالم بكل ما يكتنفه



من تعقيد، إذ ينهض على استحالة أن يتمكَّن الضَّعيف "المهمَّش" من مقاومة القويّ، أو كما يقول في متن الرِّواية "الكف لا تقاوم المخرز". هذه العبارة بكل ما تحتمله من ذاكرة دلاليّة هي التَّشكيل الحقيقيّ لفعل الخطاب السرديّ، فهذا العالم يحتكم لمنطق المهيمِن، والمهيمَن عليه، أو ثنائيّة السيد والعبد، والقويّ والضعيف، والمركز والهامش تبعًا لمقولات "هيجل". هي ثنائيّات اشتغل عليها الخطاب ما بعد الكولونيالي كما أسَّسها "إدوارد سعيد"، ومن بعده "هومي بابا" و"أشكروفت"، و"سبيفاك"، وتشتغل بوصفها تحليلًا يطال كافّة المستويات التي تؤطِّر وجود الإنسان المرتحل، وهذا يشمل الجغرافيا والتاريخ. فكما نعلم بأنَّ قرية "بلحارث" ما هي إلا نتوء جغرافي منسي، ومع ذلك، فإنَّ هذا النتوء يخضع لمنطقة التراتبيّة، فالقرية لها منطقها المتمظهر في عدد من الشّخصيّات منها ما ينتمي إلى القوّة كمدير المدرسة "معيظ" الذي يسرق زوجة "بوعايظ" الذي ينتمي إلى الجانب المهمَّش كما "ظفرة" أيضًا، فالاثنان ينتميان إلى جغرافية أدنى، وإلى عرق مختلف كونهما من أصحاب البشرة السوداء "العبيد يتعاطفون مع بعضهم" ؛ ممّا يعني تمثيلًا عرقيًّا واضحًا يقع ضمن منطق التراتبيّة، ومن هنا، يمكن فهم التَّحالف الذي يتأسَّس بين الثلاثي "بوعايظ" و"ظفرة" و"منصور"، فهم يشتغلون بوصفهم متمرِّدين، كل بأسلوبه الخاص. فـ"ظفرة" المتحدِّية لقيميّة المجتمع: "ظفرة تضرب في عرض الحائط بكل تقاليد القنفذة" ، في حين "منصور" الساخر فلسفيًّا من العالم بالتَّواطؤ مع "بوعايظ" حيث يتفقان في تمرُّدهما على المجتمع عبْر صنع الخمر، وتعاطي الكيف "القات"، كما في تكوينهما الخارجيّ حيث يطيل كلاهما شعرَه إشارة إلى عالم الصَّعلكة. هذه المستويات تشتغل باعتبارها صيغًا رمزيّة لفعل التَّقويض لسلطة متعالية، تبدأ من مدير المدرسة، ولا تنتهي بالمجتمع، وخلف كلّ ذلك ثمّة خلفيّات سياسيّة صامتة، تعمل دون أن نسمع ضجيجًا أو صخبًا لها. هي الصِّيَغ التي تحدّثنا عنها بوصفها سياقات، أو برمجيّات الفعل الدّلالي الذي يعمل بصمت أو خلف كواليس الرِّواية، ومن ذلك قِيَم اللُّجوء الفلسطيني، والشتات، ومنه ضياع فلسطين حيث تُمرِّر بعض العبارات بين تضاعيف العمل: "أشوف عينك ما تفارق البحر يا أستاذ، ما في بحر ببلادكم؟ فيه بحر، لكن اليهود احتلّوه" . وهذا يأتي مع نقد التراتبيّة العرقيّة والثقافيّة والمجتمعيّة، فضلًا عن نقد ممارسات تبدِّد معنى الحريّة انطلاقًا من قِيَم بائدة. كلّ هذا الفيض دَفَعَ بهؤلاء المدرِّسين للبحث عن خلاص آخر، ولكن عبْر نفي آخر. هي الصِّيَغ المركّبة للتَّعامل مع الشّتات والنَّفي، ولكن هذا لم يكتمل، فجاءت الرِّواية محتفية بثيمة الإجهاض، أو عدم الاكتمال كما هي كافّة المسارات: موت الطفل "فجر"، موت "منصور"، ضياع "ظفرة"، فشل "عماد"، وكأنَّ معنى الخلاص بات في حالة إرجاء كما هي الطريق التي لا تنتهي! ■

جمال ناجي
راوي عمّان الذي رحل ليبقى

نزيه أبو نضال / الأردن

كانَ آخر لقاء لنا في مقرّ رابطة الكُتّاب الأردنيّين بعمّان.. حيث أقيم حفل تأبين أخيه وتوأم روحه "جمعة الناجي"، وجمعة بالنّسبة لي كان ممّن تبقّى لي من أصدقاء زمن الثّورة الجميل والفاجع.. كان جمال ناجي ليلتها حزينًا حتى الموت.. الموت الذي فاجأه بعد أيام بجلطة قاتلة لم تمهله حتى كي يقول لأسرته ولأحبّائه وداعًا، ولم تمهله أيضًا كي يقول وداعًا لعمّان التي أحبّها، وعاش فيها 50 عامًا متّصلة، من حزيران 1967 إلى أيار 2018، عمّان التي كتب فيها وعنها خمسًا من أجمل رواياته الثّمانية التي تكاد تشكّل سيرة شخصيّة لعالمه الجوّاني.. كما لحياته الاجتماعيّة ولرؤاه الفكريّة والسياسيّة التي عاشها، وتعايش مع ناسها، لتروي سيرة الأمكنة والأزمنة التي كان شاهدًا عليها.. فكانت وثيقة حياة ترصد بأدوات المؤرّخ ما رأى، والأهمّ أنّها ترصد بعين الرّائي أو الرّوائي سرّ الحركة، في نسغ الأشياء، وهي تمضي باتّجاه المستقبل.

ولم يكُن من عبث ما قاله فردريك أنجلز في هذا السياق: "لقد فهمتُ من روايات أونوريه دي بلزاك عن أسرار حركة المجتمع الفرنسي أكثر بكثير من كل ما فهمته من علماء التاريخ والاجتماع والنّفس معًا".

* * *

تكاد الرّواية، دون تعميم، أن تكون سيرة صاحبها، ولو رتّبنا سياقات حياة جمال ناجي وفق زمنها، وليس ضمن سياق صدور رواياته عنها، لوجدناه يبدأ بتجربة حياته في مخيّم عقبة جبر بأريحا.. حيث وُلد وعاش طفولته المبكرة، بين عامي 1954، وحزيران 1967، وقد سجّل مرحلة المخيّم هذه في روايته الثانية "وقت"(1984).. وكان على جمال ناجي، ابن مخيّم جبر، أن يعود إلى حضن

فلسطين مرّة ثانية، وبعد "وقت" طويل (27عامًا) حيث أصدر عام (2011) روايته السابعة "غريب النَّهر"، التي تغطّي مرحلة تمتدّ من بداية القرن العشرين وحتى العقد التاسع. والتاريخ هنا ليس سوى أداة يتمّ توظيفها في خدمة الحدث الرِّوائي ولرصد الانفجارات الفلسطينيّة وهو ما أسماه ناجي "النَّفير الفلسطيني" الذي ينزع عن القضيّة الفلسطينيّة سمات الاستعطاف الذي رافق كتابات الشّتات التقليديّة. والذِّهاب إلى "مرحلة البناء والانتشار وتحقيق الهوية والتَّسامي على الجراح"(من حوار أجراه معه وحيد تاجا، موقع مؤسسة فلسطين للثقافة، 29/7/2012).

بعد هزيمة حزيران 67 انتقل جمال مع عائلته من المخيَّم الفلسطيني إلى العاصمة عمّان، وعمره 13عامًا، حيث واصل تلقّي تعليمه فيها، ليحصل على دبلوم في الفنون التشكيليّة.

وكما يليق باللاجئ الفلسطيني راح يحفر بالصَّخر ليوفِّر لنفسه ولعائلته أسباب الحياة، فكان أن عمل في مجالات متعدِّدة، من بينها، التدريس في السعوديّة (1975-1977)، وكانت ثمرة تلك التجربة روايته الأولى "الطريق إلى بلحارث"(1982)، وتناول فيها يوميّات حياته الصحراويّة القاسية في السعودية، غير أنَّ روح الشاب المكافح جمال ناجي لم تحتمل حياة الصحراء هناك، فعاد إلى عمّان، حيث سجَّل عنها وثيقته الرَّمزيّة المهمّة والمدهشة عن بناء مدينة الغجر، في روايته "مخلفات الزَّوابع الأخيرة"(1988).

اشتغل كاتبنا بعد عودته إلى عمّان في العمل المصرفيّ، وتحديدًا في البنك العربي، (1978-1995)، ممّا ترك بصمات هذه التَّجربة الطويلة على العديد من أعماله، كان أوَّلها روايته الرّابعة "الحياة على ذمّة الموت"(1993). ومن ثم الدُّخول إلى عالم رجال المال والاقتصاد والأعمال وزمن العولمة، كما في روايته الخامسة "ليلة الريش"(2004).

وروايته السادسة "عندما تشيخ الذئاب"(2008) وعنها يقول: "هذه الرِّواية العمّانيّة الشخصيّات هي نتاج بيئات ارتبطت بالمناخات السياسيّة والاجتماعيّة التي رافقت تجاربها"، ويضيف: "إنَّ المجتمع العَمّاني يُعدُّ في طور التشكُّل المديني"، وهو يتناول هنا عمليّات استثمار الدّين ورصد التحوُّلات السياسيّة والفكريّة التي شكَّلت إرهاصات مرحلة الإرهاب والتطرُّف أو ما سمّي "ثورات الرَّبيع العربي" التي انطلقت من تونس (2010) ثم في ليبيا ومصر وسوريا (2011)، ثم العراق ومصر، وقد رصد ناجي كل ذلك في روايته الثامنة "موسم الحوريّات"(2015)، وتناول فيها موضوعات العنف والتطرُّف والمنظومات الاجتماعيّة والسياسيّة التي أفرزت هذه الظاهرات.

هذه الرحلة الروائيّة الطويلة (33 عامًا) استغرقت نصف عمر جمال ناجي، وسجَّل فيها سيرة حياته وحياة شعبه ومكابداته، وصولًا إلى مخلّفات زوابع الرَّبيع العربي إرهابًا وعنفًا ودمًا وموتًا. وهو يسجِّل هذا اليقين في حواره مع الكاتب "علي المقر" فيؤكِّد "الدَّوْر الكبير الذي لعبته تجربته

الشخصيّة في تشكيل رواياته، ويتابع: "نعم، كان للمخيّم الفلسطيني دوْر في تشكيل وعيي، وكان لمدينة عمّان دور أكبر في تطوير هذا الوعي، كذلك عملي في السعودية وفي المصارف والدِّراسات، كل هذه التجارب وسواها مثّلت البذور التي أنبتت أحداث رواياتي، هنالك علاقة ما بين تجربتي الحياتيّة وبين ما كتبتُ من روايات"(وردت في موقع كتابات 8/5/2018).

في هذه المساهمة، وفي حدود المساحة الممكنة، سنتوقف فقط عند روايتين لجمال ناجي؛ "مخلفات الزّوابع الأخيرة" وهي رواية عمّان المكان بامتياز، و"الحياة على ذمّة الموت" وهي رواية طبقة رجال المال والأعمال والكمبرادور المحلّي الهشّ!

"مخلفات الزوابع الأخيرة"

تبدو هذه الرِّواية وكأنّها، كما قال بعضهم، تتحدّث عن الغجر وحياتهم "بعيدًا عن الصورة النمطيّة لهم، وهي صورة الغجريّات اللواتي يرقصن ويرفّهن عن الآخرين"، وبأنّ جمال ناجي "يهمّش تلك الصورة المسطّحة ليغوص في ميثولوجيا الغجر ونشأتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأسباب تشتّتهم"، وهو ما يتمّ استحضاره خلال فترة انضمامهم إلى مدينة الوادي التي ساهموا بتشييدها كمدينة جديدة وحيث "اختلط فيها الغجر والفلاحون والبدو ليشكّلوا بمرور الزّمن مجتمعًا مدنيًّا قادرًا على التعايش رغم اختلاف الثقافات والمرجعيّات خصوصًا بين الغجر والآخرين".

إنّ هذه السّمات لمدينة وادي الغجر هي بالضّبط ما أكّدناه مرارًا بأنّ امتياز عمّان هو "توحيد المختلف وحماية التنوّع".

وقد أسهم في هذا الإيهام الرّمزي ما قام به الكاتب من غوص في تاريخ الغجر واستخدام أسماء غجريّة مثل "سلو" وابنته "هجير" وزوجته "بهاج" التي تُقتل بصورة بشعة.. فيقوم "سلو" بمطاردة القتلة للانتقام لزوجته الحبيبة "بهاج".

إنّ مثل هذه القراءات لم تلحظ أنّ جمال ناجي لا يتكلّم عن مدينة الغجر، وإنْ استخدَمَها رمزيًّا، بصورة باهرة، كما يليق بروائي كبير، وإنّما كان يتحدّث عن مدينته عمّان، وكيف أعيد بناؤها مع وصول المهاجرين الشّراكسة، أواخر القرن التاسع عشر، ومساهماتهم التأسيسيّة في عمليّة بناء مدينة عمّان بدايات القرن العشرين، وإليهم يُنسب اسم حيّ المهاجرين، وما أقاموه



على امتداد سيل عمّان من بيوت ومحال ودكاكين وحظائر وزراعات أوليّة، وتعاظم كل ذلك بانضمام السكّان المحليّين والبدو والفلسطينيين، خصوصًا بعد تشكيل إمارة شرق الأردن، بدايات العشرينيّات، ثم مع وصول موجات المهاجرين االفلسطينيين أواخر الأربعينيّات والستينيّات.. وهذه البديهيّات معروفة لكلّ مَن واكب وشاهد، مثل جيلنا، تطوُّرات الحياة في عمّان آنذاك، أو عرف ذلك وتابعه بعد حزيران 67 مثل جيل ناجي الذي لم يكن يتحدَّث عن مدينة افتراضيّة في وادٍ مجهول، وإنَّما هو يتحدَّث رمزيًّا عن بناء مدينة عمّان. إنَّ بناة المدينة الافتراضيّة ليسوا الغجر، فليس في تاريخهم استقرار في مدينة.. ليس سوى التّرحال، بل هم المهاجرون الشّراكسة ثم المهاجرون الفلسطينيون ومعهم سكان الأردن المحليّون والبدو...

وما فعله جمال أنه راح يبني، بقوة التَّخييل الرِّوائي، ومن الصِّفر، مدينة رمزية لعمّان بيوتها، شوارعها، أرصفتها، إنارتها، ومحالها التجاريّة وسكّانها وعلاقاتهم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والعاطفيّة... وما نشأ بين هؤلاء من علاقات وصراعات وانقسامات.. هذه المدينة التي تركها الكاتب بلا اسم، فيما هي وفق كلّ المقاييس والمعطيات المعماريّة والديموغرافيّة؛ مدينة عمّان.

وهذا ما اعترف به جمال ناجي لاحقًا: "حضَرَت عمّان، لكنَّها كانت أشبه بفتاة منقَّبة لم تعلن عن اسمها ولم تكشف عن سحر عينيها"(ورشة عمّان، مجلة عمّان، عدد 173، 2010).

كما اعترف في حوار لاحق مع إيناس محيسن: "إنَّ المدينة الأردنيّة لم تبرز في أدب القرن الماضي، ذلك أنّ تسمية المكان تحمل دلالات سياسيّة واجتماعيّة قد تتنافى مع المحاذير التقليديّة. إنَّ الكُتّاب اختزنوا عمّان في ذاكراتهم"(المصدر السابق).

"الحياة على ذمّة الموت"

الرِّواية الرابعة لجمال ناجي كانت "الحياة على ذمّة الموت".. وأمكنة الرِّواية هنا هي مدينة عمّان، وتحديدًا أحياؤها الرّاقية وأسواقها الماليّة (البنوك والشركات والمؤسسات المصرفيّة إلخ) ولكنّ جذور المكان تمتد إلى عمّان القديمة حيث البيت القديم لعائلة بطل الرِّواية "نوفل".

أمّا زمن الرِّواية، فيترافق مع الطفرة الاقتصاديّة الشكليّة التي شهدها الأردن في أواخر السبعينيّات وصولًا إلى استحقاقات الأزمة الاقتصاديّة في منتصف الثمانينيّات. ولكن أحداث الرِّواية تعود زمنيًا، وعلى طريقة (الفلاش باك)، لنتعرَّف من خلالها على البدايات والمكوّنات الأولى للأحداث والشخصيّات، وفي مقدّمتها والده "أبو نوفل" وسكرتيرته "هيفاء" وأحد أدواته الماليّة المعروف بـِ"الصيرفي".

بعد قراءتي لوقائع الرِّواية، وكيف تهاوت امبراطوريّة نوفل الماليّة، تذكَّرتُ تعبيرًا أو تعريفًا طريفًا للنظام الرأسماليّ يقول: "إنَّ الرأسماليّة مثل البلاستيك تبدو غير قابلة للكسر، ولكنّها

فجأة لا تلبث أن تتفتّت وتتكسّر". و"نوفل" هو هذه الرأسماليّة، ولكنّها ليست أيّ رأسماليّة، إنّها رأسماليّة العالم الثالث التابعة والمنحطّة التي تفتقر إلى الأصالة والإبداع والعمل المُنتج، إنّها رأسماليّة الكمبرادور؛ حيث الوساطات والبنوك والمؤسسات الماليّة، وحركة الأسهم والبورصة والشركات الوهميّة والمزيّفة، إنها مجرّد حركة (سمسرة) أنيقة، وليست بناءً اقتصاديًّا يعتمد على دوْرَة الإنتاج وملحقاتها الماليّة والتجاريّة وتراكماتها الجديدة التي لا تلبث أن تصبّ في حركة الإنتاج... ولأنّ "نوفل" هو بالضّبط الرّمز المباشر لهذه الرأسماليّة الزائفة والتافهة وغير المؤهّلة للحياة بفعل افتقادها للشروط الحقيقيّة للرأسماليّة المُنتِجة، فإنه يعالج هذا الموت الكامن في جوهر تكوينه بالمسكّنات والمهدّئات والمنشّطات، كي يبدو صحيحًا ومعافى، كما يبالغ بمظاهر البذخ والرفاهيّة، وكلها تعمل على أجهزة "الريموت"، تمامًا كما يتحكّم بالنّاس والأشياء وأسعار العملات والأسهم...

غير أنّ كلّ هذه المظاهر بالقوّة والدّيمومة لا تلبث أن تنهار حينما يبدأ دبيب الأزمة يفتك بهذه الهياكل الورقيّة، أمّا العنوان المباشر لهذه الأزمة فهو انتحار "الصيرفي" بعد إفلاسه في سوق المضاربات والشركات الوهميّة التي كان يقيمها مع "نوفل". لقد بات كل شيء حول "نوفل" هو "الحياة على ذمّة الموت".. فكان أن دخل عوالم الكوابيس والرّعب.

وهكذا، فإنّ الهشاشة الأخلاقيّة لأصحاب هذا البناء الاقتصاديّ التافه يحمل بداخله أسباب انهياره ودماره كذلك. فهو مجبول بلعنة المال الحرام.

لقد استفاد جمال ناجي من خبراته العمليّة الطويلة في البنوك ومن معرفته بالمؤسسات والشركات ومحلات الصيرفة والأسواق الماليّة، في رسم هذا العالم الداخليّ للطبقة التي تقف على رأس السلّم الاجتماعيّ في بلدنا، وهي البرجوازيّة الكومبرادوريّة. ومثل هذه المعرفة أكثر من ضروريّة لتقديم هذا العمل الفني بهذا المستوى من الإقناع والمعقوليّة.

لقد بدأ جمال ناجي رحلته الإبداعيّة مع مدن الملح في "بلحارث" وها هو هنا يصل إلى عمّان ومدن الأوراق الماليّة في "الحياة على ذمة الموت"، ثم لندخل مع رواياته الأخيرة "عندما تشيخ الذئاب"، و"موسم الحوريّات"، إلى زمن العولمة والإرهاب والخراب العميم، وربما لهذا ما نزال نواصل الانهزام.. فالمدن العربيّة الصّلبة والقويّة ما تزال في طور التّكوين ■



تمثيلات الموت لدى جمال ناجي

محمد سلام جميعان/ الأردن

يوقِظُ جمال ناجي في مشروعه الرّوائي (تسع روايات) حيواتٍ مختلفةً، تُقارِبُ الاغتراب ومعاناة المنفى في "الطريق إلى بلحارث" ومكائد الطبقة الوسطى في "وقت" وحياة الغجر في "مخلفات الزّوابع الأخيرة" وعالم المال والأعمال في روايته "الحياة على ذمة الموت"، وهي الرّوايات التي تنهض هذه الدراسة للكشف عن تمثُّلات الموت فيها.

ومع تنوُّع مصادر السّرد وطرائقه وموضوعاته، وكذلك تشكيل الشخصيّات، إلّا أنّ الثيمة الحاكمة لهذه الرّوايات الأربع تنبني على عوالم متوازية تكشف في مجملها العام عن التحوُّلات العميقة؛ السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تعصف بالمدينة وتحيلها إلى مجال للصِّراع والتّنافس العنيف والحادّ. وهو الأمر الذي يتّصل وثيقًا بحياة الرّوائي الشخصيّة وفقًا لناجي نفسه في أحاديثه العامة وتصريحاته الإعلاميّة: "سأكون دعيًّا إذا تنكّرت للدّوْر الكبير الذي لعبته تجربتي الشخصيّة في تشكيل رواياتي، نعم، كان للمخيّم الفلسطينيّ دوْر في تشكيل وعيي، وكان لمدينة عمّان دوْر أكبر في تطوير هذا الوعي، وكذلك عملي في السعودية وفي المصارف والدراسات، كلُّ هذه التجارب وسواها مثّلت البذور التي أنبتت أحداث رواياتي، هنالك علاقة ما بين تجربتي الحياتيّة وبين ما كتبتُ من روايات، ولكن كيف يمكن فهم هذه العلاقة وإعطائها أبعادًا فنيّة؟ معروف أنّ العقل الباطن عند أيّ كاتب يمارس دورًا فعّالًا في تسيير الأحداث الرّوائية، فهو يعكس حقيقة التجربة التي عاشها الكاتب، ومن الصعب أن يجازف الكاتب بتأليف رواية من دون تجربة مع المكان، ومن المستحيل أن يكتب رواية تدور أحداثها في موسكو مثلًا، من دون أن تكون هذه المدينة معروفة لديه، بشوارعها وبيوتها وفنادقها ومحالّها وسكانها ومجتمعها عمومًا. على

الكاتب أن يعيش أولًا، ثم يكتب ثانيًا".
ولمّا كانت البنية الشبكيّة للسّرد الرّوائي لدى ناجي ذات تماسّ مباشر بحياته، فإنَّ موت المؤلِّف، يغدو مقولة عبثيَّة يجازف بها مروِّجوها لتضليل القارئ والتَّعمية عليه بالتَّأويل المجّاني لِحَرْفِه عن صيد المعنى، وصولًا إلى موت الإله بحسب الفكرة النيتشويّة. ففي سياق الرّغبة في تحقيق حالة التَّخليق والإبداع يتوسّل السَّرد بالذَّرائع والدَّوافع والتَّبريرات لاستحضار موت الشخصيّة الرِّوائية بالتأشير على القيود المكبِّلة للفعل المتنافي مع الميْل الطبيعيّ للفرد، الذي يتجاوز المجتمع والقانون، لممارسة العنف والقتل وإراقة الدماء، معيدًا ترتيب هرم "ماسلو" في تلبية الحاجات، فيصير الدافع شذوذًا وجنوحًا نحو فعل الشَّرّ مغلّفًا بمشاعره الذاتيّة المحضة، وفي مقدِّمتها النزوع إلى الامتلاك والسيطرة والاستحواذ. فالصِّراع على السلطة والمال، والشعور بتحقيق الذات من خلاله، عنصر فاعل في تحريك البنية السرديّة في أعمال ناجي الرِّوائية، حتى إنَّنا لَنلحظ وحدةً مضمونيّة في بنائيّة فعل القتل على المستوى السَّردي، وفي سلوك الشخصيّات، وفي مصائرها. ومن جانب آخر نجد تصاديًا في البنية العامة للحدث الرِّوائي في جميع أعماله الرِّوائية، مع اختلاف في أسماء الشخصيات والأمكنة وجماليّات السرد، وهو ما يضفي مشروعيّة على تفرُّد كل رواية على حدة بنسقها المضمونيّ.
فعلى سبيل التَّمثيل يتصادى مرض "أبوسليمان" بعد تلقيه لصدمة صفقة الأرض، وترقُّب العائلة لموته، وسيطرة كابوس "معروف المعروف" على مخيَّلته، وتبرير أخطائه الحياتيّة للاطمئنان على آخرته كما في رواية "مخلفات الزوابع الأخيرة"(ص-129 132)، فهي تشبه إلى حدٍّ كبير لحظة تبرير "نوفل" في رواية "الحياة على ذمة الموت" اعتداءه على حقِّ أخواته.
ويبدو الموت والحياة متلازمان ومتكاملان في أعمال ناجي الرِّوائية، ولكنَّهما ليسا وليد رؤية وتأمُّل فلسفي يغوص في ما ورائيّات الموت بوصفه فاجعة إنسانيّة تستغرق البُعد الوجوديّ في الإنسان، وليس قلقًا معرفيًا في بنية الشخصيّات الرِّوائية، وإنَّما هو محصّلة لعوامل خارجيّة ليست غامضة بل مُعلَّلة بأسبابها وبواعثها: بسط القوة والسيطرة والاستحواذ، فالمال هو القضية المركّبة المرتبطة بالموت. ومن صور التلازم والتكامل بين الحياة والموت، موت "فجر" (وُلد فجر ومات في أقل من يوم بعد أن سافر آلاف الأميال في بطن أمه....281)/ وهو ما يذكِّرنا بموت الجنين في "مخلفات الزَّوابع الأخيرة"، ففي عراك الزَّوج "عرقي" مع زوجته "هاجار" حيث "آثر جنين هاجار التنازل عن هذه الحياة، فتحوَّل إلى دماء تسرَّبت من رحم أمِّه"(ص172)، فالتَّصادي بين الموتين هنا يؤشِّر على تفاهة الحياة والاحتجاج المُضمر على القيمة الدونيَّة التي تحملها الحياة الصراعيّة، ما يثمر أخيرًا أنَّ الأجنّة تدفع ثمن القسوة التي يمارسها الكبار في سبيل تحقيق ذواتهم. ومن هذا السبيل كذلك أنَّ "نوفل" في رواية "الحياة على ذمة الموت": يولد ولادة

عسيرة كادت تودي بحياة والدته "لقد خرجتُ من فم الموت"(ص508).

وفي "مخلفات الزّوابع" يختطف الموت "أبوبدر" بعد عام واحد من ارتحال أبنائه الثلاثة الذين انخرطوا في الجنديّة(ص30). ونجد "حامد" يرتدي ملابس والده بعد أن أحاط نفسه بإخوته الثلاثة لاستكمال دوْر والده المتوفى، في محاولة منه للاستقواء على الموت وتمثُّل قوة الحياة وديمومتها بالتسلُّح بإخوته.

في هذه الرّوايات الأربع ثمّة موت يداهم الشخصيّة من حيث لا تحتسب كغزو الأدواء والأمراض كما في حالة "أبوسليمان" و"منصور"، وثمّة موت إرادي كالموت انتحارًا بدافع الإفلاس والضيق والعار الاجتماعي كما في شخصيّة الصّيرفي الذي وضع لحياته حدًّا بالانتحار. وثمّة موت بدافع الحصول على الشّهوة وتحقيق البُعد الغرائزي كموت "بهّاج". ويبدو التكامل بين الموت والحياة في موت "فجر" في رواية "الطريق إلى بلحارث"، فموته حرّك في الشخصيّات الأخرى غريزة حبّ الحياة والبقاء، وشغّل الطاقات التخييليّة في الشخصيات تجاه المصير المجهول الذي ينتظرها، خاصة وأنّ الأسباب والشُّروط الباعثة على موتها قد أصبحت مهيّأة، ونجد هذا الإحساس ملازمًا للشخصيات في أكثر من موطن في الرّواية، وبتعبيرات متعدِّدة: "فهناك احتمال الموت جوعًا وعطشًا أو حتى ضياعًا..."(ص271)، "وُلد فجر ومات في أقلّ من يوم بعد أن سافر آلاف الأميال في بطن أمه"(ص281)، "أنا لا أبكي على فجر..."(ص282) ما يعني أنهم هم الآخرون مهدّدون بالموت، "لستُ مستعدًّا لفقدان فجر آخر..."(ص309)، "الواقع أنّ موت فجر هو الذي بعثني من القبر..."(ص311-309).

إنّ ثيمة الموت في هذه الرّواية تؤكّد موت الحلم والرّغبة وانهيار الأمل والطموح، وخسارة المال والذات في بحر من الرِّمال الصحراويّة، فحين يموت الفجر بما هو دالٌّ عن الولادة والانبثاق من العدم والفقر يتحطّم مركب الأمل الحياتي، وتأخذه عواصف الموت التي لا يجدي معها التسليم بقدر الذات الضيّقة أمام اتّساع الحلم، لأنّ الموت أسرع من الحياة "لو هرب والدي من الحرب لبقي حيًّا إلى الآن، لو هرب..."(ص292).

هنا يموت الأب ويموت الابن بداعي السلطة والمجد والمال. ولنا أنْ نستذكر التّصادي بين موت الأب في الحرب، وموت العتيق في رواية "وقت" وعودته في سيارة عسكريّة أحضرته من منطقة الحدود "جسدًا مثقّبًا بالرّصاص مضرّجًا



بالدم ووجهًا مشرقًا كالقمر..."(ص 395).
وناجي في رواياته الأربع هذه يعيش حالة تطبيعيّة مع الموت، فعبْر المعمار الرّوائي يحضر الموت بأشكال متعدِّدة؛ وكما يحضر الموت في ثنايا السَّرد الرّوائي، يحضر بوصفه نهاية حتميّة تنهي بها أحداث الرِّواية، فيبدو الموت حلًّا فنتازيًّا لإشكاليّة الصِّراع الحياتيّ، فكلّ رواية من هذه الروايات الأربع تنتهي بموت الشخصيّات المركزيّة فيها: ففي رواية "مخلفات الزّوابع الأخيرة" يموت كلٌّ من "سبلو" وابنته "هاجار"(ص248)، ولم يأتِ التَّعبير عن موتهما باللّفظ المباشر (الموت) أو مرادفاته اللغويّة: قتل، فناء، نهاية... بل من خلال وصف المآل الذي انتهيا إليه نتيجة القوّة والإغارة والعنف، والسيكلوجية التي ينطوي عليها القاتل، والإيحاءات الضمنيّة له بالاستحواذ على ممتلكات سبلو الغجريّ، وردّ فعل على عدم التمكُّن من الهيمنة الغريزيّة على جسد "هاجار".
وفي رواية "الطريق إلى بلحارث" تنهي الرِّواية في الصفحات 325- 328 بموت منصور، ما يعني موت الحلم بالثراء في مشهد فنتازي لمجيء طائرة الهليوكبتر بدا معها مشهد المغتربين وأهل القرية مثل نقاط باهتة وسط بحر من الرِّمال.
وفي رواية "وقت" نقرأ: "وكان صوت أبي عميقًا ومشحونًا حين نظر إلى أبي جامدتين ثم قال: لكن الجسر... الجسر مات"(ص497).
وتنتهي رواية "الحياة على ذمة الموت" بموت "نوفل" وموت الصيرفي وموت الكلب(ص609).
وفي هذه الرِّواية تغدو الحياة الذَّليلة المرعبة التي يحياها الشخص أقرب إلى الموت منها إلى الحياة الهشّة، ما دامت خسارةُ صفقة تجاريّة لا يمكن تعويضها خطوةً على طريق الموت، والموت نفسه خسارة لا يمكن تعويضها(ص506،508).
ويكشف ناجي عن قلق الموت الذي يحيط بالشخصيّات، فهي مأزومة بالموت، وتتطيّر منه بتأثير من الإشارات التي تبعثها الكائنات والأشياء، على نحو ما نجده في نبوءة العجوز والدة "بهّاج"، فقد ظلّت نبوءتها "وتموتان مقتولين"(ص18) تطارد "سبلو" الغجريّ "أوه يا عجوز صَدَفُك كلّه موت"(ص17)، وكذلك ما نجده من تشاؤم "نوفل" من أزهار الأقحوان، وأكاليل الأزهار الموضوعة على سيارة مراسم الجنازة وعلى قبر الصيرفي المنتحر، فيلجأ إلى تنظيم ساعات نومه بمساعدة تعاطي المهدئات "لأنَّ الصيّاد الحقيقي يفضِّل الموت على الألم، وكذلك الطريدة"(ص543). فساعات النوم في عُرْف "نوفل" هي ساعات موت مدفوعة مقدَّمًا كالفوائد البنكيَّة(ص514)، لهذا ظلَّ في حياته الذليلة الرّاكضة في دولاب المال موتًا مؤجّلًا يطارده في كلّ خطوة.
إنَّ استقصاء تمثيلات الموت في هذه الرِّوايات الأربع يظلُّ ناقصًا هنا، لأنَّ استيفاءه مشروط بحياة الكلمات على الورق، وهي حياة قصيرة، تشبه رحلة الجنين في رحم "هاجار"، وعسى أن يُسعف الوقت لرسمها مجدَّدًا على نحو ما رسم "سبلو" الغجريّ صورة "بهّاج" المقتولة على جدران كهفه ■

جمال ناجي:

الرّوائي في مواجهة مركزيات السُّلطة

عاصف الخالدي / الأردن

قُبيْل رحيله المفاجئ والمؤلم مؤخّرًا، ترك الرّوائي العربي والأردني جمال ناجي الساحة الأدبيّة العربيّة، وهي ما تزال تزخر بتساؤلات حول الثقافة والنص والكاتب، ولا يخفى على كثيرين، أنّ ما يسمّى "الرّبيع العربي"، خلق ما لا ينتهي من الحوارات والجَدَل، غير أنّه ظلّ عاجزًا ربّما عن تدمير أيٍّ من البنى القديمة لفكرة السُّلطة.

ومن الواضح، أنّ السياسة لم تأتِ بجديد، بينما عمل كُتّاب وروائيّون على تفكيك الحالة الثقافيّة بصورةٍ أكثر رويّةً وصبرًا، فلم يبتعد جمال ناجي عن ذلك؛ كونه أحد أبرز هؤلاء الذين عملوا طوال سنوات على مواجهة الأشكال المختلفة للسُّلطة بصورة أفقيّة، وروائيّة، ودونما تسرُّع، مستبقًا الأحداث الأخيرة، مكتسبًا ميزة عدم الاضطرار للكتابة عنها مباشرةً. وبالتالي؛ لم يقع في فخّ الرّكاكة الفنيّة ولا الفكريّة.

إنّ سيرة الكاتب ههنا غنيّة عن التّعريف، خصوصًا حين يتمّ ذكر روايته المعروفة "عندما تشيخ الذّئاب"، والتي ترشّحت للقائمة القصيرة لجائزة البوكر العربيّة في العام 2009.

هذه الرّواية، تمكّن من خلال أحداثها وأسلوب مؤلّفها، من تتبُّع علاقة المجتمع بمركزيّة السُّلطة فيه. ففي الرّواية، توجد الشخوص على اختلاف ثقافتها ورتبتها الماديّة والاجتماعيّة، وجنسها، فهناك المرأة، وهي مَن تتعرّض إلى الظُّلم لمجرّد كونها امرأة، تتحمّل مسؤوليّة أخطاء الرّجال في المجتمع، بصفتهم قياديّين في مجالات التديُّن والسُّلطة والقوانين والعائلة.

ومن جهة أخرى، يأتي رجل الدّين، متحكّمًا بالحركة الاجتماعيّة للناس، بفعل سطوته كوسيط "بين النّاس وربّهم"، هو مَن يحدّد إن كان أيّ فردٍ تقرّب من الله، أو ابتعد عنه، وعليه؛ يصعد

هو، ويترك الناس أسفله، بين مريدين ومطيعين، أو متساقطين منبوذين يحاكمهم بفعل السُّلطة التي تستتر خلف الدّين.

أيضًا، وحتى لا تكون هذه المقالة مجرّد عرضٍ للرِّواية، على الرّغم من أنّها تمثّل قمّة تجربة الرّاحل ناجي في التّجريب، وفي رواياته حول المجتمع والوطن والغربة والسياسة والعنف، فإنّ الأبرز في هذه الرِّواية، هو شخصيّة "عزمي"، الرّجل الذي لا يتحدّث عن نفسه أبدًا في الرِّواية، بل يتحدّث عنه الآخرون، رغم تشكُّله المعقّد كشخصيةٍ أبدع ناجي في جعلها رئيسة دون أن تُحدِث أيّ ضجيج، لماذا؟ لأنّ الإبداع يتأتّى كذلك كونَ عزمي هو السُّلطة بحدِّ ذاتها. وهي ما يتحدّث عنه الجميع، أو أنّ الجميع يلعبون دورًا في تشكُّلها من ذواتهم.

أمّا كيف يحدث ذلك، فهو تقريبًا مثلما يكون في المجال العام للمجتمع، الفقير يتنافس مع الحياة من أجل أن يعيش، الاستغلالي يفعل ذلك أيضًا، المرأة حين يتم تأطيرها كجسد، تستغلّ جسدها كسلطة للتحكُّم هي الأخرى، والشيخ يجلد الجميع بسوط أفكاره ضامنًا له مكانًا فوق الجميع، أمّا شخصيّة عزمي، المدني، الذي شكّل مزيجًا من كلِّ هؤلاء، فإنه خرج من الفقر والعنف والجنس وتهريب المخدرات بحسب الرِّواية، ليحصل على السُّلطة التي يوفِّرها له المال. وهو ليس نتاج طموحاته فقط، وليس نتاج الطُّرُق



الملتوية التي قادته إلى السُّلطة، بل هو نتاج كلّ شيء، التَّفاصيل الصغيرة اليوميّة، من الخطاب الديني والفقر والشَّهوة الجسديّة والانحراف النفسيّ والحرمان، وليس انتهاءً بمراجعة الذات والضَّمير، ليكتشف الفرد، أيًّا كان، أنه ما إن يحصل على السُّلطة، حتى يكون التخلّي عنها مستحيلًا.

إنَّ تقنية مؤلِّفنا، تمثَّلت في فكرة "تبادل السُّلطة بين الطبقات الاجتماعيّة إن صحَّ التَّعبير"، فمَن كان فقيرًا ومحرومًا، ثم جرَّب النِّضال بشتّى الطُّرُق من أجل كرامته وتقدُّمه، ما إن وصل إلى السُّلطة، حتى أصبح هو بحدِّ ذاته، الحاجز الذي يمنع آخرين من الوصول إلى طموحاتهم، والتخلُّص من فقرهم أو جهلهم أو أيّ شيء آخر. ويبدو من خلال الرِّواية، أنَّ الذِّئاب، هم أولئك المشغولون بنهش بعضهم بعضًا، لأنَّهم يرون أنَّ مركزيّة السُّلطة، لا تتحقَّق إلّا من خلال التوحُّش، حيث يرغب الواحد منهم ويطمح ويرجو، لكنَّ أحلامه وطموحاته ورغباته، ممنوعة عن الآخرين.

وبالعودة إلى السُّلطة، وعلاقتها بالكاتب، فإنَّ هنالك معضلتين لا بدَّ من التوقُّف عندهما، الأولى تتمثَّل بالزَّمن الرِّوائي، والثانية تتعلّق بالمكان.

في الأولى، يخرج الزَّمن الرِّوائي إلى مركزيّة السُّلطة بلا عودة، فهو ليس زمن التقدُّم في العمر، وليس زمن تبدُّل المكان والأحداث، إذ إنّ هذه كلها، يمكن تشكيلها داخل العمل الرِّوائي بمجرّد الوصف والإشارة والإخبار. غير أنّ جمال ناجي، قاس الزّمن بشخوصه، إنه مجرّد زمنٍ يُقاس بصفتين؛ إمّا رديء، أو قابلٌ للرَّداءة، أمّا كيف حصل ذلك، فمن خلال انتقال الشخوص من براءتها في بدايات وعيها بالحياة، ليتلوّث ذلك الوعي في ما بعد بقهر الحياة وقوانين المجتمع وسلطته، ليتمدَّد الزّمن الرّديء في وعيهم ومعرفتهم كالسرطان، وبالتالي، يصبحون ضحايا لسلطة الرّداءة هذه، وبالمقابل، يسعون ليكونوا جلّاديها وممثليها في ما بعد، وكأنَّ الإنسان في طيّات رواية "عندما تشيخ الذئاب"، مجرّد وعاءٍ تتشكّل السُّلطة فيه، أو أنه يقوم بإعادة تشكيلها بنفسه.

إذن، إنسان رواية ناجي، هو الدال الوحيد على الزَّمن وانحرافاته من خلال صفاته، لا من خلال القياس التقليدي للعمر وتراكم التَّجربة.

أمّا المكان، فهو ذاك الذي لا حدود له، إنه كل هذا العالم، وهنا إشارة واسعة، على التاريخ، والإنسان، فكل توثيقٍ تاريخي، يحمل في ثناياه الحروب والنِّزاعات الفرديّة والجماعيّة، هذه النِّزاعات، دينيّة كانت، أم سياسيّة واقتصاديّة، أم اجتماعيّة، فإنَّ ضحاياها كثر، سواء ظنّوا أنفسهم مستفيدين إلى حدٍّ ما، أو مغبونين وفاشلين، فبالنِّسبة للرِّواية، سوف يصعد شخص ما في الأخير، ليمثِّل سلطة اقتصاديّة أو سياسيّة، ولا بدَّ لدورة الفساد والرَّداءة أن تدور وتعيد نفسها.

والمكان مؤنَّثٌ ككل هذا العالم -كما أشرنا- في

مدينةٍ لم يعُد مهمًّا اسمُها وتفاصيلها، لأنّ ناجي تمكّن من تطوير شخوصه بمنطقيّة وحرفة، ليوجدوا في كل مكان، صانعين زمانهم بأنفسهم، ممّا يؤهلهم للبقاء في موضعَيْن أبديَّيْن، هما التاريخ مهما تغيَّر، والعالم، الذي يقول عنه المفكر الكبير أرنستو ساباتو، إنَّه "طالما كان رديئًا، نحن نصنع لحظات من الخير والسَّلام، بانتظار الرّداءة أن تعمّ من جديد".

ولا بدَّ من القول: إنَّ هذا المقال لا يتحرّى التّشاؤم في رواية جمال ناجي؛ إنه فقط يريد أن يذكِّر القارئ العزيز، بأنّ جمال ناجي كاتب لم يجنح إلى الممارسة السياسيّة المباشرة في أعماله الرِّوائية، فهو وكما يظهر من خلالها، رأى أنَّ تفكيك تفاصيلها أجدى، وأنَّ الإشارة إلى كمّ الرَّداءة الذي يمكن أن يواجه الإنسان حين يصطدم بالسُّلطة خلال سعيِه للتحرُّر، ربَّما يكون كبيرًا.

وهذا غير غريب عن الحياة والتاريخ، فمَن كانوا فقراء وعمالًا مطلع القرن الماضي، أصبحوا أكبر فاشستيي العالم أحيانًا، وقادوه إلى حرب عالميّة كادت تودي بالبشريّة نفسها.

وكأنَّ جمال ناجي، يشير إلى أنَّ الطبقات البسيطة والفقيرة التي تتعرَّض إلى أكبر ضغطٍ ممَّن يعلوها قوّة وسلطة، معرَّضة أكثر من غيرها لتعيد إنتاج هذا العنف السلطويّ.

أمّا التساؤل عن المساحة التي تركها هذا الرِّوائي، للحديث عن القيم الإنسانيّة العليا والطوباويّة منها، كالحريّة، والخير، والتنوُّع. فإنَّه لا يخفى، أنَّها تظلّ متروكة لخيال القارئ وتأويلاته. إنَّ جمال ناجي يمنح من خلال روايته هذه، طرف الخيط للحريّة إن صحَّ التَّعبير، من أجل أن يمسكه القارئ، فشخوص الرِّواية يتنقّلون في مجموعةٍ من المآزق الوجوديّة والعمليّة، بينما يتكفّل القارئ بحلّ مأزقه الخاص، من خلال التفكير في أنماط حياة الشخوص، وتمثُّلاتها في حياته وفي العالم.

إنَّ صاحب الرِّوايات العديدة، ومنها "غريب النهر"، "الطريق إلى بلحارث"، "الحياة على ذمة الموت"، و"موسم الحوريات" التي تعامل فيها مع ظاهرة التشدُّد والتطرُّف البشري ومحاولات العقل المنغلق السَّيطرة على العالم، أو تفجير هذا العالم، تمتَّع بقدرةٍ إيجابيّة، يتميّز بها الرِّوائيون الكبار أيًا كانوا، وهي الجرأة على قتل الأجوبة المحتملة، والأجوبة السائدة في مجتمعاتٍ تعاني من الجهل.

ومقابل هذا، استطاع ربَّما، أن يوسِّع مساحة السؤال، من خلال تعرية الإنسان والسُّلطة في مواجهة بعضهما بعض، كمركزيّتين تتبادلان الأدوار، وترَكَ المواجهة لعيْن وعقل القارئ العربيّ، بلغةٍ بسيطة، واحتمالاتٍ واقعيّة وفلسفيّة حرّة، مشكِّلًا سرديَّته، ولعلّه لا يغيب عن ذهن أيّ مواطن عربي قارئ، أنَّ غياب السرديّات، هو الفجوة الكبيرة التي تمنع إنساننا العربيّ من تشكيل رؤية أوسع وأكثر محبّةً وتقدُّمًا، تجاه ذاته، ثم تجاه هذا العالم ■

ثلوجُ اللّيلةِ الأخيرةِ
"مجازُ الرّحيلِ الكبيرُ"

د. خلدون امنيعم/ الأردن

إنّ الاشتباكَ معَ ما تصالحَ عليه النّاس -على شكل مسلّماتٍ ذهنيّة وقواعدَ فقهيّة- كفيلٌ بجعلِك متورّطًا في مجابهة الرّيح والرّماد وحيدًا، لكنّها مجابهة الصّهر والجهر- التّحليق والتّحقيق؛ مجابهةٌ يتكشّف عنها المبدع جذرًا رصينًا، ومنها متفقًا عاليًا.

ليس اشتباكُ المثقف، إذنْ، احترابًا وخلافًا، وإنّما حوارٌ واختلافٌ- حفرٌ وتأسيسٌ وبناءٌ؛ ليس قطيعةً، بلْ تواشجٌ؛ ليستْ مواكبةً أو مطابقةً، بل تقاطعٌ ومساءلةٌ؛ إنّها حواريّة الاختلاف والائتلاف، لا ترتهن للجاهزيّة في ما شكّلته ثقافة التّراث، ولا تُسلّم مقولاتها للتّاجز في أتون العصريّة والحداثة، إنّه الإبداع، إذ يطرح أسئلته الخالصة، أسئلة تقتنص الإشكالات الحقيقيّة التي تواجه إنسانيّة الكائن، وجوهر وجوده، ومتطلبات مدنيّته، ومقتضيات مواطنته الكونيّة.

ذاك الاشتباك، جزء أصيل من اشتغالات جمال ناجي الإبداعيّة، ورؤيته للثّقافة المدنيّة، وهواجسه الإنسانيّة؛ أمّا رائعته الأخيرة "ثلوج اللّيلة الأخيرة"، أو مجازه الأخير: مجاز الرّحيل الكبير؛ فالإنباء عنها امتثال لفلسفة العسير اليسير، لكنّي سأنصرف عن امتثال الإنباء وجريرة مآلاته، وأركن لليسير العسير في قبليّاته وأدبيّاته.

جمال ناجي،

عرفتُه قارئًا عربيًّا لروائيّ عربيٍّ كبيرٍ في "الطّريق إلى بلحارث"، و"وقت"، و"مخلّفات الزوابع الأخيرة"، و"الحياة على ذمّة الموت"، مبدعًا محترفًا في رائعته "عندما تشيخ الذّئاب"، وتطوّرت تجربته فنيًّا في "ليلة الرّيش"، وأتقن حرفة الرّواية بمهارة تطويع الرّؤية لمصلحة أدواته وتقنياته الفنيّة والأسلوبيّة والسّرديّة في "غريب النّهر" و"موسم الحوريّات".

وتعمّقت معرفتي به على الصّعيدين: الإنسانيّ والإبداعيّ، آنَ ترؤّسِه تحرير مجلة "أفكار"، عرفتُه إنسانًا نبيلًا عاليًا في الإصغاء لنداءات الإنسانيّة، حريصًا مخلصًا لمشروعه الإبداعيّ واشتغالاته الثّقافيّة، نبيهًا دقيقًا في اقتناص موضوعاته الثّقافيّة والفلسفيّة، يستضيف لعوالمه -إنسانيًّا وإبداعيًّا- القِيَم الإنسانيّة النّبيلة في حبكة فنيّة، لا تكفّ عن صياغة الشّرط الإنسانيّ واستعادته، مستندًا إلى جوهر رؤيته، وطروحاته للدّولة المدنيّة.

ما قبلَ "ثلوج اللّيلة الأخيرة"

قلتُ: إنّني **لن أتورّط** بتهمةِ الكشفِ المبكّر عن خفايا رائعة الرّوائيّ الكبير جمال ناجي **"ثلوج اللّيلة الأخيرة"** وأسرارها، وعوالمها، وشخوصها، وبنيتها الفنيّة، وطرائق سردها قبيل صدورها؛ ذلك أنّ فلسفة الانتباه والمباغتة والدّهشة خصيصة قارّة في معمار جمال ناجي الرّوائيّ، ولا تتكشّف لمتلقّيه إلّا بعد الانغماس بتجربة القراءة الواعية والنّبيهة، وفعل كهذا لو حدث، كفيل بكسر أحد الشّروط والمواثيق المتّفق عليها بين المبدع وقرّائه، خاصّة قبيل صدور الرّواية، إنّ فعلًا كهذا، وإن كان يمثّل في أحد تجلّياته سبقًا، **لا أراه في أجمل مَداراته إلّا خيانةً للنّص وصاحبه، ومصادرةً لبلاغة الدّهشة لدى القرّاء**، خاصّةً أنّنا نعيش في عصر مقتلُه الكبيرُ في خلوّه من الدّهشة، كما كان يرى الرّوائيّ العالي جمال ناجي.

لكنّ الكشف عن قبليّات الرّواية، ونزرًا يسيرًا من حواريّات منتقاة مع جمال ناجي حول رؤيته لمشروعه الإبداعيّ وروايته الأخيرة تحديدًا، قد يسلّط الضّوء على آليات عمله الرّوائيّ، وميكانيزمات البكارة والمهارة في مشروعه الإبداعيّ، وأصوغها بالمحاور الآتية:

أوّلًا: فكرة المحرّر الأدبيّ

لا يمكن الحديث عن غياب فكرة المحرّر الأدبيّ في العالم العربيّ، بل انعدامها في شكلها المتعارف عليه عالميًا في دور النّشر العريقة؛ لكنّ الكُتّاب الكبار عربيًّا يؤمنون بالعين الثّالثة، فيتعهّدون في ما بينهم أعمالهم قبيل النّشر للقراءة، واقتناص الملاحظات الدّالّة بغية إظهار روائعهم بالصّورة التي يطمحون إليها؛ ما يكشف



عمق القلق الإبداعيّ الذي يسكنهم، وحرصهم على مشاريعهم الإبداعيّة من الانزلاق في فخّ النّرجسيّة العالية، أو التّسطيح والتّمييع المملّ، ومن هؤلاء الكتّاب الكبار الرّوائي والقاصّ جمال ناجي.

ففي نهاية شهر كانون الثاني 2018، كان قد أخبرني عن مشارفته الانتهاء من كتابة رواية جديدة، مُبديًا رغبته في إرسالها لي، لقراءتها بعين النّاقد والقارئ، لتتبّع بناء الحدث وإدارته، والزّمن السّرديّ، وبناء الشّخصيّات، والمستويات اللّغويّة للرّواية، وبعد مدّة وجيزة، في أوائل شهر آذار، أرسلها بعنوان مبدئيّ "المعطف"، مؤكّدًا أنّ هذا العنوان اقتراح بعيد جدّا، وأنّه لم يجد لها عنوانًا بعد، مشيرًا إلى أنّه سيرسلها لصديقين آخرين يثق بهما، لم يكشف لي عنهما قطّ، مؤكّدا لي أنّه لا يدفع بأيّ عمل من أعماله للنّشر قبل إرساله لأصدقاء وقرّاء يثق بآرائهم، ودقّة متابعاتهم، وملاحظاتهم للعمل.

إنّ كاتبًا عاليًا مقتدرًا فنيًّا على إحكام حرفته الإبداعيّة السّرديّة بقامة جمال ناجي، قدّم للقارئ العربيّ روائع فنيّة، ترفد مكتبة السّرد العربيّ؛ ظلّ مسكونًا بهاجس القلق الإبداعيّ، دون أن يتورّط بالذّاتيّة أو النّرجسيّة، ما يشي بالإحساس العالي بمسؤوليّة المبدع تجاه أعماله الأدبيّة، ويضيء، في الوقت ذاته، منافذَ البصيرة للكتّاب الجُدُد، ممّن يسارعون لنشر أعمالهم ممتلئين بالـ"أنا"، منتفخين بتوهّج الذّات الكاتبة.

ثانيًا: نقاشات ما بعد قراءة الرِّواية.

بعد أنْ وصلتني الرّواية، قرّرتُ أن أقرأها على أيّام، لرصد شخوصها، وأحداثها، وزمنها، وعوالمها بعين النّاقد، وما إن شرعتُ بقراءة الصّفحات الأولى، حتى وجدتني متورّطًا في علاقةٍ حميميّةٍ مع شخوصها، وأمكنتها، مشدودًا إلى تضاريسها، وغواياتها، ومكائدها، ولم أدعها إلّا بعد ثلاث ساعات ونصف، **كانت كفيلةً بأنْ أخوض أقوى تجارب حياتي، وأعمقها، وأجملها، وأكثرها ألمًا، إنّها تجربة حياة، لا قراءة فحسب، تجربة أبسط تجلّياتها اشتباك مع الذّات والآخر، وتساؤلات أقلّها صراع المتناقضات واشتعالها في أدقّ تفاصيل وجودنا.**

في اليوم التّالي، اتّصلتُ بالعالي جمال ناجي، وأخبرتُه بانطباعي الأوّل، ودار النّقاش حول العنوان، الذي أجَّلَ الخوض فيه لما بعد اكتمال الملاحظات من الأصدقاء، وأنّ هذا الأمر سيكون المحطّة الأخيرة في اكتمال الرّواية. ثمّ انعطفنا تجاه ملاحظة المستويات اللّغوية للشّخصيات، إذ يصعب الفصل بينها لفرط تشابهها، وتماثلها، ولهذا الأمر مداليل قارّة في سايكولوجيا الرّواية برمّتها، فعلّق بقوله: **"إنّ هذا الأمر أرهقني، حتى إنّني كدتُ أضع علاماتٍ على كتف كلّ شخصيّة للتّمييز بينها"**. وذكرتُ أنّ ما استوقفني، أيضًا، طريقة معالجة "الجنس" في الرّواية، فهي مختلفة تمامًا عمّا قرّ في أسلوبه، فأوضح أنّه **تعمّد هذه الطّريقة في المعالجة القائمة على التّكثيف والإيحاء بما يلائم خصوصيّة الشّخصيات في الرّواية.**

بعد أقلّ من أسبوعين، تواصلنا بخصوص عنوان للعمل، وإن كان هنالك اقتراحات ما، وتناقشنا في أكثر من عنوان، لكنّه ذهب إلى عنوان يلائم طبيعة الشّخصيّات في العمل، وهو **"زواحف الماراثون"**، متقصّدًا بهذا العنوان ذهنيّة الشّخصيّات وطريقتها في التّفكير في لهاث الحياة؛ فأخبرته أنّه عنوان ملائم للرّواية، لكنّ هنالك فرصة ومساحة للتّفكير بعنوان آخر.

بعد أسبوع، أعاد إرسال الرّواية بصيغتها النّهائيّة لإجراء المُراجعة اللّغويّة للنّص، معتمدًا عنوانها الذي استوت عليه **"ثلوج اللّيلة الأخيرة"**، وكان متحمّسًا لهذه العنونة الأخيرة بعد أن أضاف للرّواية غطاءَها الأبيض؛ الثّلوج، وتبيّن لي -آن مراجعتها- أنّه أضاف طقسًا دون أن يُجري أيّ تعديل على لُغة الرّواية أو شخوصها أو أحداثها، وطلب منّي المسارعة -بكامل تهذيبه وبهائه- بإجراء المراجعة اللّغويّة، وإعادة النّظر في الزّمن السّردي، إنْ كان ثمّة ملاحظة -ولم أجدْها في بِنية أحكمَ العالي جمال ناجي صنعَها- قائلًا: **"لقدْ مللْتُها وملَّتْني"**.

ثالثًا: فلسفة الرّواية ومجاز الرَّحيل.

هل تُصنعُ الدّهشةُ أم أنّها بنتُ الصّدفة المارقة؟ ما الصّدفة إنْ لم تكن اسمًا آخرَ للدّهشة؟ ما الدّهشة إنْ لم تكن احتيالَ الصّدفة؟ هل تَسارُعُ الأحداثِ وتَصارُعُها خلّاقُ الذّرواتِ المتوتّرةِ، أمْ هو السّكون والعاديّة والرّتابة القاتلة؟ ما الحدثُ إنْ لم يؤتِ ذرواتِه؟ وما الرّتابة إنْ لمْ تُلزمِ الحدثَ بالرّكون في زاوية مُظلمة؟ هل تلبس الأحداثُ ثوبَ السّببيةِ والمنطقِ في صيرورتها أم أنّها صَنيعةُ اللّامنتَظَر واللّامتوقَّع واللّاسبب؟ أثمّةَ حدثٌ مفارقٌ، يخفي في معطفه الصُّدفة القصديّة!

وَيَظَلُّ السّؤالُ الـمُلغزُ: **"أينَ الخطأ؟"**.

إنّ **"ثلوج اللّيلة الأخيرة"** رواية انطوت على خلاصات تجربة جمال ناجي الإبداعيّة وتأمّلاته الفلسفيّة، وتكثّفت فيها مهاراته في السّرد وتنوَّعت، وبَنَت شخصيّات إشكاليّة في مفارقاتها؛ ما يفتح منافذ جديدة في قراءة الشّخصيات من وجهة سايكولوجيّة وسيسيولوجيّة، إنّها **رواية تُعمِّقُ النّظر** في **"فلسفة الانتباه" وتحيلُنا إليها،** وتعيد للدّهشة حضورها الآفل، وتفتح لها مساحاتها، وتبني لها مساراتها، وترتِّب لها أزمانها؛ لتنخطفَ أنفاسُك مع تدفّق مفارقاتها، **وكأنّك تسيرُ على حبلٍ مشدودٍ بينَ قمّتين: منجاتُكَ منهُ هاويةٌ تشدُّك إليها، وخلاصُك أنْ تحبسَ أنفاسَك حتّى النّهاية، تلفظُها فلا تعود، تلك هي تجربة قراءة "ثلوج اللّيلة الأخيرة"**، لها ما لـِ"الجريمة والعقاب" لديستوفسكي من صراعيّة مريرة، وما لـِ"العطر" لباتريك زوسكيد من عمق النّفاذ إلى البواطن، وما لـِ"الحبّ في زمن الكوليرا" لماركيز من واقعية السّحر، وما لـِ"أنا وهو" لألبرتومورافيا من صدمة اكتشاف الذّات.

لعلّ رائعةَ العالي جمال ناجي الأخيرةَ، بعوالمِها، وأسرارِها، ومكائدِها، ووسمِها "ثلوجَ اللّيلةِ الأخيرة" مجازُ رحيلِه الكبيرِ، وإنّها كذلكَ ■

أطياف من جمال ناجي في حياته وإبداعه

د.محمد عبيد الله/ الأردن

(1)

في العام 1989 التقيتُ جمال ناجي أوّل مرّة، واستمعتُ إليه وهو يقرأ بعض قصصه في مدرّج (الخليل بن أحمد الفراهيدي) في آداب الجامعة الأردنيّة، استضافه أستاذنا صلاح جرار، وقدّمه في "أصبوحة" قصصيّة. لا أتذكّر أية قصص قرأ، لكن من بينها قصة (المنذور)، التي ظهرت بعيد ذلك في مجموعته "رجل بلا تفاصيل"، ولكن صورته ثبتت في عيني وسمعي، بصوته الودود الذي يجمع بين الثقة والهدوء، لا يبدو خائفًا من شيء، أو مبهورًا بشيء، كذلك بدا أنيقًا مهتمًّا بهندامه دون إفراط، حريصًا على اللّباقة واللّياقة في كتابته وحديثه وخطابه. عرفنا في لقاء المصادفة ذاك مؤلّف الرّواية المعروفة "الطريق إلى بلحارث"، وأحسبُ أنّني كنتُ قد قرأتُها قبل ذلك، وثبتت طاقتها الوجدانيّة المؤثّرة في وجداني الفنيّ، وشكّلت مع "نجران تحت الصفر" ليحيى يخلف، و"الأمواج البريّة" لإبراهيم نصرالله، و"قدح من النفط" لمحمد سلام جميعان، و"ماجور نجران" لوليد سليمان، صورة روائيّة مؤلمة لاغتراب الفلسطيني مُغايرة تمامًا لصورة مغتربي الخليج الذين كنّا نلاحظهم في الواقع بـ"دشاديشهم" الصيفيّة البيضاء، وبسيّاراتهم الفارهة بعض الشيء، وبما أصابهم من اختلاف حتى عن جيرانهم والأُسَر التي كانوا ينتمون إليها. كأنّ رواية جمال ناجي مع موجة الرّوايات تلك جاءت تتميمًا لرؤية غسان كنفاني في "رجال في الشمس" عن أولئك الذين لم يدقّوا جدار الخزّان، أو أنّهم دقّوه ولم يسمعهم أحد، فلا فائدة من الاغتراب، ولا طريق سالكة صحيحة إلا طريق فلسطين.

(2)

دخل جمال ناجي معتَرَك العمل النقابي في رابطة الكُتّاب، فكان عضوًا نشطًا في الهيئات الإداريّة بعد رجوع الرّابطة إلى سابق عهدها، وخروجها من أزمة الإغلاق القسريّ، وعندما ترشَّح لرئاسة الرابطة، كان في التيّار المُناهض لنا، ولكن ذلك الاختلاف انتهى مع انتهاء يوم الانتخابات، فقد كان مثقفًا تعلو ثقافته على الاصطفافات الانتخابيّة، فكان عهده في الرّابطة مليئًا بالنشاط وبالحيويّة، ولم يسجَّل عليه أنه أقصى زملاءه، أو انحاز انحيازًا غير ثقافيّ أو إبداعيّ. كانت الرابطة ما تزال في بيتها القديم في شارع (إبراهيم طوقان)، وكان محمد المشايخ ما يزال سكرتيرها التاريخيّ، فسار جمال ناجي مسيرة طيِّبة تُذكّر بالعهود الذهبيّة الراقية للرّابطة. وربّما لهذا السّبب من توازنه واعتداله وقلّة التفاته إلى الانحيازات الانتخابيّة والاصطفافات العمياء في التيّارات، لم يستطع أن يحتفظ بموقعه المتقدِّم في التيّار الذي انتمى إليه، فاضطرّ إلى الابتعاد والنَّأي بنفسه عن كلّ التيّارات في سنواته الأخيرة.

(3)

في العام 2007 التقينا في رحلة (أنطاكية)؛ رحلة ثقافيّة برِّيّة قطعنا فيها الأردن وسوريا وعبرنا من باب الهوى إلى تركيا، توزّعنا في مجموعات صغيرة، فكانت مجموعتنا تتكوّن من جمال ناجي ومها العتوم ومحمد عبيدالله ونجاح إبراهيم (قاصة سوريّة)، وكانت زوجة جمال (أم مهند) رفيقته ورفيقتنا في تلك الرِّحلة.

قرأنا في كنيسة (أنطاكية) مركز كنائس الشرق، وفي جامعة (غازي عينتاب)، وأقمنا في أماكن مختلفة في أعلى أنطاكية، وعينتاب، وتأمّلنا نهر العاصي الذي يمرّ بأنطاكية، ووقفنا على جسره وسط المدينة الغنيّة بالتاريخ والثقافات. سمعنا ما تبقّى من العربيّة المشوشّة على ألسنة العرب الذين تعرَّضوا للتتريك، وكان مشهدًا قصصيًّا لا تنقصه الغرابة، وكان جمال طوال الرِّحلة صبورًا منضبطًا، لا يتبرَّم أو يشكو، وكلّما أصابنا التَّعب، أو وقعنا في بعض فوضى الرِّحلة، ذكّرنا بأنها تجربة تعرِّف، وخبرة لا تتأتّى كل يوم. كان أكبرنا سنًّا فكان أميرًا بهدوئه وانضباطه، بحكمته الممزوجة بخفّة الكائنات الأثيريّة، كان حقًّا رفيق سفر لا يُنسى أو يُملّ.

(4)

في عزاء شقيقِه المناضل والمثقف جمعة ناجي الذي سبقه إلى الرَّحيل بأقلّ من شهرين، كان جمال ثابتًا أنيقًا، بربطة عنق سوداء، تحدَّثنا في بيت العزاء عن الرّاحل جمعة، الذي عرفتُه ذات مصادفة طيِّبة في (تونس) بصحبة عبدالرحمن مجيد الربيعي وياسين معتوق، واختطفنا قليلًا من الوقت ربَّما للتذكُّر أو للتأسّي. كان جمال

مرتاحًا بعض الشيء، رغم حزنه على رحيل شقيقه، أبرز ما تركه العزاء في نفسِه، أنه ردّ له بعض ثقته المفقودة بالوسط الثقافي وبالأدباء، قال ما معناه: "لم يبقَ أحد لم يشاركني، لم أتوقَّع أنَّ الناس يحبّونني إلى هذا الحدّ، وأنّ الكُتّاب والمثقفين أوفياء إلى هذا الحدّ". وكان استنتاجه صائبًا، فالجميع تقريبًا يجمع على محبّة (جمال)، ويحترم أدبه وإبداعه، فهو أديب صادق في ما يكتبه، متأنٍّ في ما ينشره، لا يعبأ بالجماهيريّة على حساب الجودة والإبداع، ومهما نختلف في أمرِه، فإنَّ إبداعه موضع إجماع، وما زال إبداعًا حيًّا لم تكتمل دائرة مقروئيَّته؛ لحداثته وجدَّته.

(5)

أمّا في التَّجربة الروائيّة، فينتمي جمال ناجي إلى جيل الثمانينات الذي مدّ الحياة الأدبيّة في الأردن بعدد وافر من الكتابات الروائيّة. وعُرف ناجي بروايته الأولى: "الطريق إلى بلحارث"(1982) التي استوحت تجربة الاغتراب في الخليج العربي/ السعودية. وتابع ناجي تجربته بأعماله اللاحقة: "وقت"(1985)، و"مخلفات الزوابع الأخيرة"(1988)، و"الحياة على ذمة الموت"(1993)، و"ليلة الريش"(2004). كما مارس كتابة القصّة القصيرة وصدر له أربع مجموعات قصصيّة حتى رحيله.

كرَّس ناجي معظم رواياته للمدينة وتحوُّلاتها، فرواية "وقت" هي رواية المخيَّم العمّاني، وأسلوبها يقترب من روايات السّيرة أو ما يقع في مجالها، وتنتهي الرِّواية عند هزيمة حزيران 1967، لتنضاف إلى الرِّوايات الحزيرانيّة التي راجعت أسباب الهزيمة. وهي من ناحية الشَّكل اعتَمَدَت تقطيع المشاهد عبْر ما يشبه الفصول المعنونة واستخدَمَت مكتسبات الرِّواية العربيّة حتى ذلك الزَّمن دون مغامرات تجريبيّة.

أمّا "مخلَّفات الزَّوابع الأخيرة"، فرواية المكان الذي يتشكَّل مع ناسه من خلال تجربة الغجر وإقامتهم في الوادي المحاذي لعمّان، وهي رواية مميّزة عبْر رؤيتها والتقاطها لتحوُّل المكان وتكوُّنه دون أن يكون المكان جاهزًا أو مُعدًّا سلفًا. كما تميَّزت بتوظيف جماعة الغجر أو القبيلة الغجريّة التي تنتمي لعالم المهمَّشين والمنسيّين، وقدَّمت إضاءة سرديّة شديدة الإمتاع عن عالم الغجر وتحوُّلاته وتفاعله مع المكان الجديد.

ومن خلال الرِّواية الرّابعة "الحياة على ذمّة الموت" دخل ناجي إلى تسريد عالم المال والأعمال، العالم الجديد في العاصمة الأردنيّة عمّان، كما توضّح في الثمانينيّات مع تجربة الطفرة النفطيّة وتأثيرها في المنطقة، فضلًا عن تجربة الكاتب نفسه من خلال خبرته في العمل المصرفيّ. وقد بناها بأدوات "النوفيلا" التي لا تمنحنا إلّا منظورًا موجزًا لحياة الشخصيّات ممّا يتعلّق بالمنظور العام للعمل السرديّ، وعبْر فصول مجزّأة نطلُّ على جوانب من الشخصيّات

المحيطة بـ"نوفل" الشخصيّة الأساس؛ رجل المال والأعمال، فالرِّواية تضيء عالم هذا الرجل وكيف توسّع وتضخَّم حتى بنى ما يشبه الإمبراطوريّة الماليّة المتشعِّبة.

أمّا "ليلة الريش" التي صدرت عام 2004 وهي تنتمي للعالم نفسه، عالم الأوساط الماليّة والاقتصاديّة، وعوضًا عن نوفل رجل الأعمال في "الحياة على ذمّة الموت" نحن هنا مع تجربة أحد المصارف المعروفة الذي تسيطر على إدارته وأسهمه أسرة ماليّة محدَّدة. فالرِّواية أقرب إلى سيرة هذا المصرف ومتابعة للأجيال التي تولَّت إدارته من الأسرة نفسها، وخصوصًا الجيلين الأخيرين من هذه الأسرة.

وتعرض الرِّواية لتطوُّر المصرف منذ منتصف القرن العشرين تقريبًا وحتى بداية التسعينيّات من القرن نفسه، لكنّ حبكتها الأساسيّة تعتمد على إبراز ما تعرَّض له المصرف في أواخر الثمانينيّات وأوائل التسعينيّات من تحوُّلات وصراعات، فمن جهة هناك حركة ضغط قام بها المستخدمون طلبًا لتحسين أوضاعهم، ونالت تأييدًا في الأوساط النقابيّة والماليّة، وعلى رأس هؤلاء شخصيّة "عامر الحاوي" الذي يعمل في المصرف في إحدى وظائف الإدارة الوسطى، لكنه نال شهرة وموقعًا بسبب دوْره النّقابي والعمّالي. وهناك أيضًا جملة التحوُّلات الاقتصاديّة والتحوُّلات العامّة التي لحقت بالمنطقة، وتعكس الرِّواية هذه التحوُّلات ومجابهة رأس المال لها، كما تعكس نمطًا جديدًا من رجال الأعمال عبْر شخصيّة "رجب" الذي يمثِّل الجيل الأخير من مالكي المصرف، وقيامه بمشروع الحوسبة وتمكُّنه من القضاء على الحركة العماليّة بتقديم بعض الحلول الحاسمة غير المتردِّدة. ويلفتنا ما تذهب إليه الرِّواية من تصوير للعلاقات الإنسانيّة ضمن بيئة المال والمصارف، فكلّ شيء يغدو قيمةً وثمنًا ولا مكان للعلاقات الإنسانيّة الطبيعيّة.

ويمكن القول إنَّ هذه الرِّواية وروايات ناجي عمومًا تنشغل أكثر ما تنشغل بالتجربة المُراد التَّعبير عنها، دون هواجس شكليّة أو جماليّة، ولا يعني ذلك تخلّيها الكلّي عن الاهتمام بالشَّكل، بل ما نعنيه أنَّ الشَّكل ليس سؤالًا شاغلًا لها، ويغلب على أعماله مبدأ الإفادة من مكتسبات الرِّواية الواقعيّة وإشباع تقنياتها حتى حدودها القصوى، والجديد عند ناجي استدخال الخبرة المصرفيّة والاقتصاديّة لتكون محورًا أساسيًّا ومادة كبرى للرِّواية، وانطلاقًا من خبرة مباشرة ودقيقة في هذا المجال تمثِّل رواياته إطلالة عميقة في قراءتها لتفاصيل عالم المال والاقتصاد، وخصوصًا في مدينة عمّان التي شهدت تحوُّلات اقتصاديّة غامضة متسارعة.

وأنتج بعد ليلة الريش روايات بارزة تطوَّرت فيها أداته ورؤيته، وانتبه في هذه المرحلة إلى أهميّة الفلسفة والعمق الفكريّ في توسيع آفاق الكتابة الروائيّة، فكتب روايات مهمّة: "عندما تشيخ الذئاب"(2008)، و"غريب النهر"(2011)، و"موسم الحوريات"(2015).

(6)

أمّا قصص جمال ناجي، فقد ظَهَرَت في أربع مجموعات قصصيّة هي: "رجل خالي الذهن"(1989)، و"رجل بلا تفاصيل"(1994)، و"ما جرى يوم الخميس "(2006)، و "المستهدف" (2011)، وهي تبدو أقرب إلى استراحات سرديّة على هامش رواياته، مكتوبة بتقنيات القصّة القصيرة المركّزة، أي أنّها ليست روايات ملخّصة، وليست قهرًا لأفكار روائيّة لم تكتمل، كما هي الحال في كثير من إنتاج الروائيّين عندما يتّجهون إلى القصّة القصيرة، ويمكن القول إنّه يكتب القصّة القصيرة بتلك الرُّوح المُخْلصة للعناصر المكرّسة والجوهريّة، بما فيها الظِّلال النفسيّة والواقعيّة. وأكثر قصصه ممّا يتّصل بمآزق الفرد في المدينة المعاصرة، وعوالم المهمّشين والمنسيّين في قاع المدينة.

وعلى سبيل المثال تصوِّر قصّته "عادي" من مجموعته "ما جرى يوم الخميس"، عالم إحدى المناطق الحِرَفيّة والصناعيّة المعروفة في عمّان، وهي منطقة "وادي الرِّمم" وشخصيّة القصّة رجل متوسط الحال، سيارته قديمة كثيرة العطل، وهو ما يجعله من روّاد "وادي الرِّمم" لإصلاحها، تروي القصّة وصول "وِنْش" لنقل السيارة والخلاف مع الجار الذي رفض إبعاد سيّارته لتسهيل نقل سيّارة صاحبنا، ثم ما جرى له مع السائق الشرس الذي سحب السيّارة وأبعدها، ثم هدّده بمدية يخفيها في الونش. ومع أنّ القصّة تقدِّم هذا القطاع على نحو من المبالغة السرديّة لإبراز اختلاف حياته عن الحياة الاعتياديّة، فإنَّنا نجد صورة دالّة على عالم الحرف العشوائيّ الفوضويّ غير المنظَّم. ويرصد الرّاوي مَشاهد متلاحقة من عالم "الورشات" وفوضاه وتسيُّبه، من مشهد اقتتال رجلين دون أن يتدخَّل أحد في قتالهما الشَّرس باستخدام الأدوات المُتاحة، إلى السيّارات المشوَّهة التي تسير وقد تصطدم بغيرها، وقد تسقط بعض أجزاء سيارات أخرى، والجواب أو التَّعليق على ذلك كلِّه: عادي.. كأنّ لهذا المكان حياته الغريبة المختلفة، وطباعه التي اعتادها حرفيّوه دون أن يرى أحد في ما يحصل شيئًا غير عاديّ. إنَّه اعتياد التشوُّه والفوضى والعنف، يكاد يجعل منها شيئا مألوفًا بحكم العادة والتكرار، ومهمّة الفنّ أن ينبِّهنا إلى مثل هذه المظاهر التي اعتيدت رغم قسوتها، وينبِّه إليها ليجري اكتشافها والتنبُّه إليها من جديد.

وأخيرًا، فقد غادرنا جمال ناجي واختطفه الغياب منّا، ومع ألم ذلك الغياب، نعزّي أسرته ونعزّي أنفسنا بأنَّ المبدع والكاتب الذي كوّن لنفسِه اسمًا خالدًا وأثرًا باقيًا، كجمال ناجي، ينضمّ إلى الأحياء الرّاحلين، شأن عرار، ومؤنس الرزاز، ومحمود درويش، ونجيب محفوظ، وعدي مدانات، وخليل السواحري، وغالب هلسا، وتيسير سبول... ممّن نتعامل معهم ونتذكّرهم ونقرأهم كأنَّهم أحياء بيننا يُرزقون ■

ثيمة الموت في رواية "غريب النَّهر" للرِّوائي جمال ناجي

د. دلال عنبتاوي/ الأردن

مُنْذُ اللَّحظة الأولى يبدو العنوان مشوِّقًا مفتوحًا على الكثير من الدّلالات.. ومعروف أنَّ العنوان عتبة النص الأولى المهمّة المتميِّزة التي تفضي بالقارئ إلى عوالم الرِّواية في ما بعد، لتأخذه إلى عالمها الشهيّ، فها هي رواية "غريب النّهر" وها هو الغريب يقف أمام النّهر.. ذاك النّهر الذي سيأخذه للبعيد، ولعلَّ من احتمالات البُعد تلك.. كان الموت. لقد جاءت سيميائيّة صورة الغلاف للرِّواية تحمل ألوان التُّراب؛ اللون البنّي ودرجاته، على الرّغم من أنَّ الغريب بها مرتبط بالنّهر أولًا وسيستقرّ في اللون البني ثانيًا في التراب/ "القبر" في ما بعد. تنتمي هذه الرِّواية إلى الأدب الواقعي الاجتماعي التأمُّلي الذي يتقاطع أحياناً مع أدب السيرة أو الحكاية التي تعكس الكثير من ثقافة البيئة والمجتمع المحيط بالكاتب وممارساته وموروثاته ومعتقداته في حكي تلقائي يعبّر فيه الكاتب عن حقبة مهمّة من حياته، وأظنّ الكاتب أراد أن يحكي عن حقبة من تاريخ الشعب الفلسطيني ومعاناته في التّهجير والشّتات ومحاولاته القاسية في الاستقرار ومدّ الجذور في أرض ليست أرضه وعالم ليس عالمه إلّا أنه يقاوم ويتغلّب على كلّ عوامل التحدّي التي تواجهه، لقد كان شغوفًا بالتّأريخ لذاك الفلسطيني الذي غالبًا ما يموت غريبًا غرب النّهر أو شرقه.

لم يكُن في خاطري حين قرأتُ الرِّواية القراءة الأولى أن أكتب عن الموت، بل كنتُ أخطِّط للكتابة عن بناء الشخصيّة في الرِّواية منذ

عنوانها الذي جاء مبنيًّا على شخصيّة ذاك الغريب وعلاقته بالنَّهر.. لكنَّ الموت الذي جاء مباغتًا وقاسيًا وصارخًا وسريعًا للرِّوائي العزيز دفعني لإعادة النَّظر في ما كنتُ أودُّ التَّعامل معه نقديًّا بهذه الرِّواية؛ هل كانت هذه الرِّواية تحمل إرهاصات خاصّة خفيّة لدى جمال ناجي بإحساسٍ خفيٍّ من اقترابه من دائرة الموت؟ وهل كان يستشعره عن بُعد ممّا دفعه للكتابة عنه بكلِّ هذا التجلّي؟ أتراه تحقَّق فعلًا حين اقترب منه وأخذه إليه؟ لذلك عدلتُ عن دراستي السابقة، ووجدتني مدفوعة للبحث عن تلك الثيمة التي ظلّت تلحّ عليّ للبحث عنها وكشفها، بعد أن ذهب ناجي إليه... إلى الموت؛ اللغز المحيِّر.. نقيض الحياة وهادمها، هو أكثر اللحظات وجعًا في حياتنا كبشر.. ويكمن وجعه في أنَّه لا يوجع مَن رحلوا... إنَّه يوجع مَن ظلّوا يستذكرون مَن رحلوا... إنَّ كلمة "موت" اللفظة الصَّريحة تمَّ تداولها في الرِّواية على لسان الشخصيّة الرَّئيسة أكثر من (80) مرّة، أمّا مترادفاتها أو ما يدور في مداراتها من ألفاظ من مثل "منيّة"، "فقْد"، "قضى"، "الفراق الأبديّ"، "اللحظة الأخيرة"، "قبر"، "جثة"، "دفن"، "متوفى"، "فارق الحياة"، فقد وَرَدَت تقريبًا (20) مرّة..

منذ الصَّفحات الأولى للرِّواية تظلّ تلك اللَّفظة مرتبطة بغيرها من الألفاظ التي يستدعيها الرّاوي حين يحكي أحداث الرِّواية التي تسرد تاريخ عائلة فلسطينيّة "آل أبو حلة" التي هجرت من أرضها وبلادها من غرب النَّهر إلى شرقه، وتحكي عن الغريب الذي أوصى أن تكون نهايته هناك وأن يُدفن عند النَّهر أو غربه. لقد قدَّم جمال ناجي روايته تلك بضمير الغائب موظِّفًا فيها الرّاوي من الخلف، وهو الذي يتابع الشخصيّات ويعيش معها ويحكي عنها ويصفها ويسعى لتقديمها بمنتهى البياض والوضوح، فيحكي الرّاوي ما يدور في العوالم الداخليّة لتلك الشخصيّات كاشفًا أفكارهم وتخيُّلاتهم وأحلامهم وهواجسهم وحتى مخاوفهم من الموت، فينقل حواراتهم الداخليّة مع ذواتهم، يحكي عن انكساراتهم وآمالهم وطموحاتهم في الحياة، فيكشفهم، وحين يتتبَّع الرّاوي من الخلف تفاصيل حياة الشخصيّة الرَّئيسة في العمل الروائي "إسمعين أبو حلة" كبير العائلة الذي يبلغ من العمر سبعين عامًا يقول عنه: (ولأنَّ إسماعيل يُعدُّ واحدًا من مسنّي آل أبو حلة القلائل، الذين تبقّوا على قيد الحياة، ولأنَّه يحمل اسم جده إسماعيل فقد دأب الجميع على مناداته منذ صباه بـِ"عمي إسمعين")، وهنا يكشف الرّاوي من خلال الحديث عن "إسمعين" وتتبُّعه الدَّقيق لتفاصيل حياته، أنه يرصد من خلاله تاريخ تلك العائلة، يقول الرّاوي: "إنَّ إسمعين أبو حلة على قيد الحياة الآن في عائلة مات كبارها ولم يبقَ إلّا هو.."، ويركِّز الرّواي من خلال "إسمعين" على الكيفيّة التي تتعامل معها هذه العائلة مع الموت، فيحكي الرّاوي عن "إسمعين" قائلًا: لقد أثار ذلك الطلب في نفس عمّي إسمعين بعض التَّشاؤم، فقد تذكَّر

أنَّ أشهر الموت في العائلة تنتهي في اليوم الأخير من شهر آذار المقبل؛ بعد ثلاثة وأربعين يومًا من لحظته تلك، ومن المحتمل أن تحلّ منيَّته قبل انتهاء تلك الأيام، وهو اعتقاد ترسَّخ على مرّ السنين والعقود بين أفراد عائلة أبو حلة، وتعزَّز بعد أن قضى كلّ أمواتهم الذين يذكرونهم خلال أشهر الموت، وهي كانون الثاني، وشباط، وآذار من كلّ عام من أعوام الموت حتى إنَّ أجدادهم كانوا يحتفلون في الأوَّل من نيسان من كل عام بنجاتهم من تلك الأشهر الثلاثة، ويذبحون الذَّبائح ويوزِّعونها على الفقراء، ويحرقون البخور، ويسهرون في عليّات بيوتهم حتى الصباح، وقبل أن يناموا يلقون بجِرار الفخّار الفارغة من عليّاتهم كي تنكسر في باحات بيوتهم معتقدين أنَّ كسر الجِرار يزيل آثار تلك الأشهر وتوجُّساتها.

نجد هنا أنَّ الموت كان حاضرًا وبقوّة على لسان البطل، فهو يسترجع ويتذكّر ويحكي من خلال الرّاوي تفاصيل تلك العائلة، وكيف كانت تخاف من تلك الأشهر الثلاثة (أشهر الموت) التي كانت تعتبر موسمًا لموت أفراد العائلة تلك، وإذا ما انقضَت فقد ذهب شبح الموت وغادرها، وتستطيع أن تقوم بكلّ مراسم الحياة الاعتياديّة من فرح وتزاوج واستمراريّة... ولعلّني استطرد هنا فأقول: إنَّ رحيل جمال ناجي كان خارج تلك الأشهر التي جعل بطله يعبِّر عنها...

جاءت الإشارات المكثَّفة للموت في الرِّواية من خلال حديث الشخصيّة الرَّئيسة عنه على اعتبار أنه حدث قادم لا محالة، ولا بدَّ من مواجهته في لحظة ما... وقد تحدَّث عنه الأبطال في الرِّواية كذلك... مرَّة من باب تعزية النَّفس، ومرَّة من باب أنه هاجس يقضّ مضجع الشخصيّة، فلا تستطيع الفكاك منه، بل يجب عليها أن تواجهه... فها هو "إسمعين"، الشخصيّة الرئيسة في الرِّواية، وفي إحدى حواراته مع ذاته التي ينقلها الرّاوي يقول: "صار يتأمَّل الحياة بدلًا من أن يتعامل معها مثلما اعتاد، كما تقبّل فكرة الموت وتصالح معها، وبدأ يعدّ نفسه لتلك اللحظة التي ينعدم فيها كلّ شيء: غيبوبة أو نومة بلا قومة، أو سكتة قلبيّة أو شردقة تؤدّي إلى الاختناق، على الأغلب فإنَّ الأمر لن يستغرق أكثر من ثوانٍ، وربَّما دقائق معدودة، يمكن احتمالها في مقابل الرّاحة الأبديّة التي ستعقبها. هكذا فكّر غير مرّة في وصلات انفراده مع ذاته، ومع أنه لم يكُن واحدًا ممَّن يعصون أوامر الله تعالى في سلوكهم".

لقد نقل لنا الرّاوي هذا الحوار الصَّريح وبمنتهى الشفافية داخل ذاتٍ تستشعر هذا القادم وتتعامل معه بكلّ موضوعيّة ووضوح، والذي لفتني هنا أنَّ جمال ناجي ذاته قد مات بإحدى تلك الطرق التي حدَّث البطل نفسه بها. يقول الرّاوي على لسان البطل: "إنَّ عقله أوصله إلى أنَّ من الأفضل له أن يتوب إلى الله من جديد، ويثابر على عبادته، طالما أنَّ موعد الموت يقترب، ويكفِّر عن ذنوبه التي يعرفها والتي لا يعرفها، إذ بما أنّني ميت لا محالة، وبما

أنَّ الحياة على وشك الانتهاء، فلِمَ لا أعدّ نفسي لملاقاة ربّي فأكسب الدنيا والآخرة؛ هكذا فكَّر. "
لقد تكرَّرَت عبارة "هكذا فكر" أكثر من مرّة وكأنَّ الموت هو الفكرة الملحّة التي تطارد البطل في كلّ مرّة يخلو فيها مع ذاته ويدور في نفسه حواره معها.

كثير من الكتابات الروائيّة تستحضر الموت بوصفه جزءًا فاعلًا في العالم الرِّوائي، فيغدو في كثير من الأحيان الثيمة المهمّة التي تدور حولها أفكار الشخصيّة الرَّئيسة في هذا العمل، فيحمِّلها الرِّوائي أفكاره وهواجسه، ويعبِّر عنه بصراحة مطلقة وكأنَّه يطارده هو... هل كان ناجي يريد أن ينقل للمتلقي تلك المخاوف أو المشاعر والأحاسيس التي كانت تستوطنه وتلحّ عليه؟ وربَّما هنا لديّ ما يؤكِّد هذا ويدعمه؛ فالإفصاح عن وجود رواية تحت الطّبع -كنتُ أظنُّ أنَّ هذه الرِّواية هي الأخيرة- وتحمل هي الأخرى عنوانًا لافتًا "ثلوج الليلة الأخيرة" قد يؤكِّد ما ذهبتُ إليه من أنَّ هذه الرِّواية كانت الممهِّدة أو الكاشفة عن حدس الرِّوائي إنه يسير للنِّهاية "للموت"، والكلمة الأخيرة في العنوان "الليلة الأخيرة" تعبِّر عن ذلك.

في الحقيقة أنَّني لم أتناول وظائف الموت في هذه الرِّواية، إذ من المعروف أنَّ للموت أكثر من وظيفة داخل العمل الرِّوائي، لكنَّني أردتُ فقط أن أضع يدي على الإرهاصات والإشارات الكثيرة التي حملها الرِّوائي للشخصيّة الرَّئيسة "البطل"، يقول الرّاوي عن "إسمعين" متتبعًا له: "كان الأمر مزعجًا له، إذ كيف يمكنه وقف ذلك السّيل من طلبات الرَّحمة والمغفرة بالاسم، لِمَن يداهمون ذاكرته من الموتى من معارفه فهُم كثيرون، كثيرون إلى حدّ شعر معه بأنه يعيش مع أولئك الأموات أكثر من الأحياء، غير أنه توصّل إلى طريقة تريحه من ذكر الأسماء عند الترحُّم، وهي القول: (رحمة الله على كلّ أموات المسلمين) ولقد أراحته تلك الفكرة في البداية".

لقد جاء الموت في الرِّواية محمَّلًا بكلِّ الدَّلالات الواضحة والصريحة -لا يتَّسع المكان لذكرها- ولم تعبِّر عنه الرمزيّة بأيّ شكل من الأشكال جاء الموت الذي يواجهنا جميعًا، ذاك المتمثِّل بانتهاء الحياة دون رمزيّة يتستَّر خلفها؛ كاستلاب وموت الحريّة، الصَّمت، الحُبّ، الذكرى، الأمل، الحنين وغيره... إذ لم تأبه هذه الرِّواية في التَّعبير عنه أو طرح تشكُّلاته، فقد حَكَت عنه بوصفه فكرة وجوديّة غامضة تمنح الغموض القدرة على صنع تخيُّلات حكائيّة، لذا لم يهتمّ الرِّوائي بالبحث عن حياة ما بعد الموت بقدر الحديث عن الموت نفسه كنهاية وكنقطة للخاتمة. فبرزت فكرة الموت في الرِّواية مرتبطة بالحقيقة والفعل. يقول الرّواي: "والحقيقة أنَّ عمي إسمعين كان يتوجَّس خيفة من شهر آذار، هذه المرّة بالذات كان قلقًا متخوِّفًا، بسبب رغبته في تأجيل موته". وقد أكَّدت الصفحة الأخيرة من الرِّواية أنَّ "عم إسمعين" ظلَّ يهجس في الموت وأصبح يعدُّ نفسه لاستقباله بكلِّ قوّة ■

خطاب الانكسار وأحاديّة الرُّؤية:
قراءة في مجموعة جمال ناجي القصصيّة
"ما جرى يوم الخميس"

د. نضال الشمالي/ الأردن

يُمْكِنُ أنْ نصنّف ما قدّمه جمال ناجي من جهودٍ في كتابةِ القصّة القصيرة بأنّه استكمالٌ لتجربته الرّوائية، وهو جهدٌ تابعٌ لمشروعه الثقافيّ في كتابة الرّواية يوفّيه ولا يتقدّم عليه. إذ لا يمكن بأيّ حال من الأحوال عزل جهوده في كتابة القصّة القصيرة عزلًا يجعلها قامةً أدبيّةً مستقلةً عن أدائه الرّوائي، فجمال ناجي كان يكتب القصّة القصيرة بقلم الرّوائي لا بقلم القاص.

وهذا الطّرح الذي أقدّمه في مقالي هذا، يستند إلى حالة حضور التّفاصيل في قصص جمال ناجي القصصيّة في معرض التّكثيف، وإلى غياب لحظة التّنوير في العديد من قصصه لصالح التأمّل، فضلًا عن الخاتمة التي لا تخرق أفق توقّع القارئ في كثير ممّا كتب، وإلى حضور أكثر من حادثة رئيسة في القصّة الواحدة.

وإذا كان ذلك لا يقلّل من قيمة المجهود القصصيّ الذي تجشّمه جمال ناجي، إلا أنه يجعل مشروعه القصصيّ تابعًا لمشروعه الرّوائيّ الثريّ، حيث كتب جمال ناجي أربع مجموعات قصصيّة لا تتجاوز أكثر من نصف ما كتبه روائيًّا. ومجموعاته القصصيّة القصيرة هي: "رجل خالي الذهن" (1989)، "رجل بلا تفاصيل" (1994)، "ما جرى يوم الخميس"((2006)، "المستهدف" (2011).

ويمكن تفحُّص ذلك من خلال مجموعته القصصيّة الشّهيرة "ما جرى يوم الخميس" التي ألّفها عام 2006، إذ حَوَت خمس عشرة قصة قصيرة رُويت كلّها بضمير المتكلم إلّا واحدة منها جُيِّرت لراوٍ غائب عن الحدث غير مشارك فيه. وقد تسيّدَت أجواء من الهموم والكآبة على أبطال قصص هذه المجموعة تشبه فضاء رواياته الأخيرة "عندما تشيخ الذئاب"، "ليلة

الريش"، "موسم الحوريات"، ونوعًا ما روايته القديمة "الحياة على ذمّة الموت". ويمكنُنا أن نقرأ هذه المجموعة من مدخلين رئيسين؛ فضاء الهزيمة والانكسار، وأحاديّة الرُّؤية.

أولًا: فضاء الهزيمة والانكسار

تنشغل معظم قصص مجموعة "ما جرى يوم الخميس" بنسج أحداثها ورسم شخصيّاتها ضمن فضاء الهزيمة والانكسار الذي يعيشه العربيّ عامّة والمثقف خاصّة في واقعنا المرير، وهذا لا يخفى على القارئ عندما يجول بناظريه في قصص "قلب أخضر" و"مقاومة بيضاء"، و"يوميّات رجل مكشوف"، و"رجل لا يحسن الحُبّ"، و"مجتمع مدني"، وغيرها من قصص المجموعة، حتى إنَّ فكرة الانكسار والهزيمة واليأس يمكن عدّها علامة جامعة لمجموعته القصصيّة مقدَّمة بالكثير من الاستعارات الملحّة التي تكشف قلقًا ممتدًّا ملازمًا لقلم جمال ناجي كلّما صوّر وجهة نظره حيال مجتمعه وإنسانه. بل إنَّ حالة الانكسار يمكن أن تتسرَّب إلى علاقة الرجل بزوجته كما في "مقاومة بيضاء"، أو حتى بين الأب وأبيه كما في قصة "رجل لا يحسن الحُبّ"، علمًا أنّ شيوعها المألوف كان قبلًا بين الشخصيّة وجارها كما في قصة "عادي"، أو بين الزميل وزميله في العمل كما في "مجتمع مدني".

وجمال ناجي في ذلك يمارس طقسًا من طقوس الاغتراب، فيفرضه على شخصيّاته القصصيّة وينطقها بمراده ويزجّها في لون واحد من مقاومة المجتمع بالانطواء والخذلان، إذ لم نجد شخصيّة واحدة تتعزّز قيمة التمرُّد ورفض الانكسار في تصرُّفاتها وسلوكيّاتها اليوميّة، بل قبول وخنوع في نهاية المطاف، ويبقى الحال على حاله. وقد ضاعف من هذا الاغتراب التَّركيز على عورات المجتمع ومآسيه، فالمجتمع يؤذي نفسه ولا يقتصر على ما يتلقّاه من جوْر السُّلطة ومكائد الآخر، والمدينة تُلقي بأثقالها على الشخصيّات وتزيد من عزلتهم واغترابهم.

ومن القصص التي برزت فيها حالة الانكسار والاغتراب بروزًا لافتًا قصة "رجل لا يحسن الحُبّ"، وهي باكورة هذه المجموعة القصصيّة. فالقصّة تصرِّح بكراهية الأب لأحد أبنائه بطريقة يحار فيها الأب عن سبب مقنع يدفعه لكره هذا الابن "أكرهه! هذا الابن بالذات أكرهه. ألا يحقّ للأب أن يضيق بواحد من أولاده؟"(ص11). ويعترف الأب الرّاوي للقصّة أنَّ ابنه لا يدرك لماذا يباغته الأب بسهام الغضب والغيظ، بل لا يُظهر الابن الامتعاظ الكافي من هذا الاستهداف غير المبرَّر الذي يحتدم عند أتفه سبب.

وهذه القصّة بكرٌ في فكرتها نوعيّة في طرحها، فقد أصابت صميمًا يستحقّ أن يُتأمَّل ويُحلَّل. حيث تُبنى القصّة على قاعدة السؤال المتنامي: لماذا يكره أب أحد أبنائه دون مبرِّر مُقنِع يظهر لأحد الطَّرفين! إلى أن تتجلّى لحظة التَّنوير في نهاية القصّة للجميع بمن فيهم الأب الكاره رواي القصّة، وقد تجلَّت هذه اللحظة على لسان أحد

الأصدقاء عندما قال:" أبناؤك يشبهونك إلى حدّ ما، لكن هذا الفتى نسخة عنك، هكذا كنتَ في فتوّتك وصباك، نفس الوجه، نفس القامة، نفس الملامح الطيِّبة، نفس البراءة... إنه أنت في صباك"(ص18). إذن كان الأب في الحقيقة يكره نفسه دون أن يدرك أنَّ الابن يمثِّله حدّ التّكرار، وما كان فِعْلُه إلّا نابعًا من لا شعورِه المُختزن في ذاتِه الكسيرة المهزومة.

ويمتدُّ فضاء الانكسار إلى أجواء العلاقة بين الزّوجين والصَّديقين وزملاء العمل والجيران، بل ونباتات المنزل الداخليّة؛ كما تجلّت في حالة العراك وانعدام الثقة بين بطل قصة "قلب أخضر" ونبتة داخليّة خضراء تتمدَّد بثقة في غرفته، وجمال ناجي وإنْ طَرَحَ هذه الفكرة التي تبدو غير مقنعة في خاتمة مجموعته، إلّا أنّه اتّخذ من هذه النبتة معادلًا موضوعيًّا لكثير من حيثيّات الحياة التي نفشل في التَّعامل معها وترتدّ علينا سلبًا، يقول: "الأنكى، أنَّني اكتشفتُ أيضًا، بأنّ هذه النباتات التي يسمّونها داخليّة تمتصّ الأكسجين من الغرفة، وتنافس ساكنيها... بالطّبع، فأنا لا أستطيع تقبُّل وجود منافس لي في بيتي، حتى لو كانت نبتة! هذه المسألة غير قابلة للمهادنة"(ص119).

وتمتدّ حالة الحوار إلى مستويات من المدّ والجزر والمُهادنة والعراك، إلى أن يفسد على النّبتة حياتها الطبيعيّة، فينكسر رأسها في خضمّ رغبته الجارفة في التحكُّم بمسار نموّ أغصانها. وفكرة القصّة كما أسلفتُ قد تبدو سطحيّة، لكنّها تهجس بحالة الانكسار والاغتراب التي تمارسها الشخصيّة حتى على ما اتُّفق أنّه شكل من أشكال استمرار الحياة.

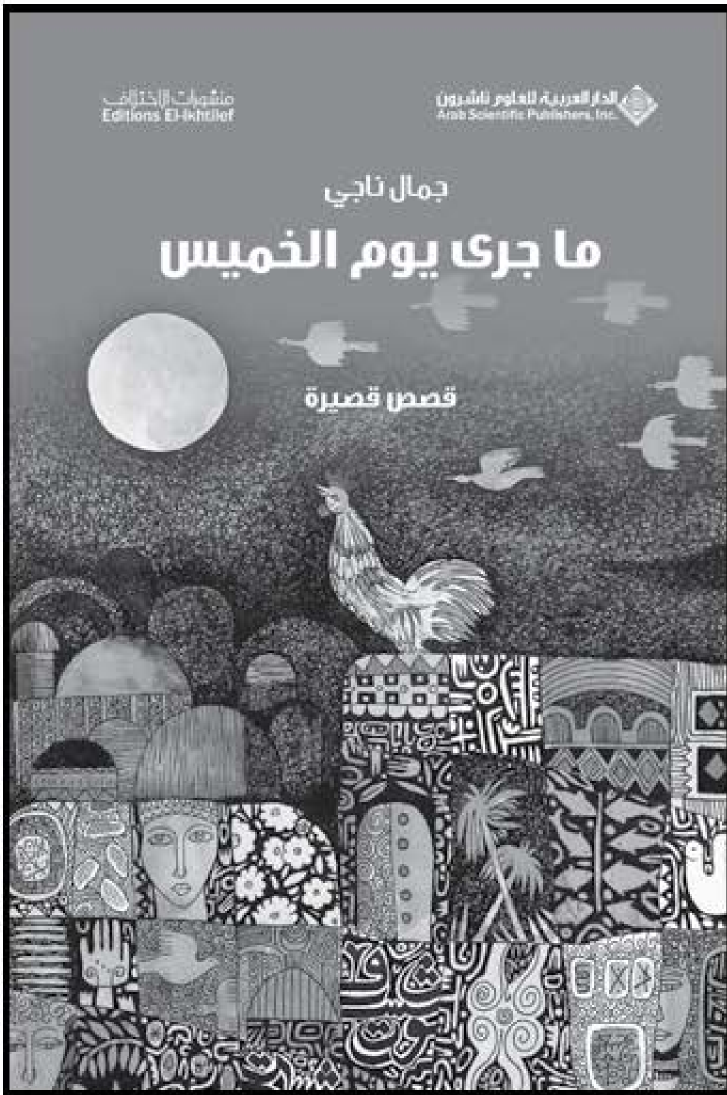
ثانيًا: أحاديّة الرُّؤية

ولتحقيق هذا الفضاء من الانكسار والاغتراب، بالَغَ جمال ناجي في منْح حقّ رواية القصّة إلى أحد شخوصها، وقد ظهرت أربع عشرة قصّة من أصل خمس عشرة قصّة في مجموعة "ما جرى يوم الخميس" براوٍ متكلِّم يحقِّق فكرة الرُّؤية "مع" وليس الرُّؤية من الخلف، وتلك الأولى تمنح الرّاوي صلاحيّات أوسع في كشف الأسرار والتوغُّل في النفسيّات وتحقيق فكرة الرُّؤية البانوراميّة الشّاملة.

لقد كان رواة جمال في مجموعته هذه من فصيلة المتكلِّمين أصحاب الرُّؤى المحدودة المغلوبين على أمرهم، والذين لا تتجاوز معرفتهم معرفة باقي الشخصيّات في القصّة. وقد حقَّق جمال ناجي بهذا الخيار انسجامًا جليًّا بين فضاء القصص القائم على الانكسار والاغتراب والإحساس بالهزيمة، ولغة الشخصيّات المُستهدَفة وطريقة فهمها للواقع. إذ لم يفرض عليهم راويًا عليمًا يروي عنهم ويتنصَّل من همومهم ورؤاهم ولا يحترم خصوصيّة قناعاتهم.

إنَّ ترْك جلّ قصص المجموعة لرواة متكلِّمين قد مَنَحَ امتيازًا لهذه الشخصيّات المهمّشة والمنكسرة والمهزومة والحائرة أن تقول كلمتها

ولو على الورق، مع أنّ كلمتهم كانت منسجمة مع حالة الاغتراب والانكسار المسيطرة على قصص المجموعة، بعيدًا عن لغة التّغيير والتمرّد والاعتراض. لقد أضفى ضمير المتكلّم على مجموعة جمال ناجي رؤية من الدّاخل تكشف ملامحهم الحقيقيّة بعيدًا عن قانون الخير



والشرّ والحقّ والباطل، فالصّراع ينشأ ويحتدم ويخبو داخليًّا في نفسيّاتهم المحطّمة أكثر ممّا يظهر على تصرّفاتهم وأفعالهم المكشوفة، يظهر في لغتهم التعبيريّة واستعاراتهم وتصاويرهم أكثر ممّا يظهر في ما يُقال عنهم. وهذا يحقّق انسجامًا في التّعامل مع لغة الشخصيّات الرّاوية، فمثلًا عندما يستهلّ راوي قصة "مجتمع مدني" قصّته معترفًا: "علاقتي بذلك الرّجل لا تسمح لي بإطلاق صفة الصّديق عليه."(ص 21)، أو عندما يقول راوي "يوميّات رجل مكتوف اليدين": "من حقّي أن أتكدّر، فأنا لم أكمل الحكاية لأصدقائي."(ص28)، أو عندما يقرّ راوي قصة "الجهات الخمس": "أنا مهتمّ أكثر ممّا يجب بتربية ولدي الوحيد ذي الأعوام العشرة، مهتمّ بشكل أساسي بنفسيّته حسب الاصطلاح الذي تستخدمه أمّه"(ص 45).

ولغة الراوي وإنْ بَدَت مباشرة في مستواها الاستعاري، إلّا أنّها عوّضت ذلك بتلقائيّة التّعبير ضمن ما يُعرف بالرُّؤية في مقام الشخصيّة، وقد شكّلت انسجامًا مع حالة البوح التي سعى إلى تحقيقها جمال ناجي في محاولة الاستجابة لمتغيّرات الواقع وجلبته، وانعكاس ذلك على شخصيّاته المُستعارة القادرة على إضفاء شيء من الوضوح في الرُّؤية المنكسرة والمتحشّرة التي داوم جمال ناجي على اجتراحها في مشروعه الرّوائيّ الكبير، فلم يستطع حجبها عن مشروعه القصصيّ الذي خُطّ كما أسلفتُ برؤية الرّوائيّ، لا رؤية القاصّ، والفرق دائمًا يكمن في الأدوات ■

الغُربة وتجلّيات الهروب في رواية "الطّريق إلى بلحارث"

د. نداء مشعل / الأردن

رِوايَةُ "الطريق إلى بلحارث" هي الرّواية الأولى للكاتب الرّاحل جمال ناجي، كتبها عام 1977، ونشرها عام 1982، وقد حظيت بترحيب واسع كونها الرّواية الأولى في مرحلة الثمانينيّات، ويعكس ناجي من خلالها جزءًا من تجربة شخصيّة عاشها أثناء عمله في المملكة العربيّة السعوديّة هو ومجموعة من الشّباب الفلسطيني والعربي الذين تغرّبوا في محاولة منهم للّحاق بأحلامهم في تغيير واقعهم، لا سيّما واقع المخيّمات المليء بالأسى، ولكن إلى أيّ حدّ تمكّن هؤلاء من تحقيق ما يصبون إليه، وهل بالإمكان حقًّا تحقيق ذلك بعيدًا عن أوطانهم؟ لعلّ هذين السؤالين هما المحور الأساسي الذي تنطلق منه الرّواية؛ والثيمة المركزيّة لها التي تتقاطع مع أعمال أخرى مثل "رجال في الشمس" لغسان كنفاني، وبشكل أوسع مع "براري الحمّى" لإبراهيم نصرالله الذي عاش التّجربة ذاتها وفي القنفذة تحديدًا، كما تتقاطع معهما في النهاية المأساويّة بانهيار الأحلام والموت، فنرى في هذه الرّواية التي سارت ببناءٍ دائريٍّ هيمن عليه الموت منذ المشهد الاستهلالي الذي ابتدأ بالرّجال الأربعة يحملون ألواح الثلج لوضعها على جثّة منصور حتى لا تتعفّن، وانتهى بهم يحملونها ويضعونها في الطائرة المروحيّة، نجد "عماد الشّاق" بطل العمل وسارده الشاب المتخرّج حديثًا في معهد المعلّمين، يتيم الأب، تعيله والدته التي تعمل في الخياطة، ابن المخيّم المليء بالبؤس والفقر والحاجة، وهو صورة حيّة ونموذجيّة للّاجئ الفلسطينيّ الذي يعيش على الهامش في بلاد الشتات، والمليء بالخيبات والعجز والقصور، يجد في السّفر الخلاص من واقعه، ونقطة بناء حياة جديدة مختلفة تعطيه

ذلك الاكتفاء الذي يسعى إليه؛ فيغادر للعمل في السعودية وتحديدًا في منطقة القنفذة، وهي إحدى المناطق النّائية، ويأخذنا في رحلة طويلة وشاقّة تظهر خلالها المعاناة التي يقاسيها هؤلاء المعلمون في رحلة الخلاص التي يبحثون عنها، وتختصر أزمة الإنسان العادي المهمَّش الهارب من واقعه بحثًا عن المال الذي يمثّل لهم هذا الخلاص، لا سيَّما أنّه اختار لهذه الرِّحلة الصَّحراء بما فيها من معاني القحط والعقم والجدب، يسأل عماد أحد الأساتذة: "لماذا جئتَ إلى هنا؟"، فيردّ: "لأنَّني كنتُ أريد أن أجمع أكبر قدر من المال"، فطلب الرِّزق والمعيشة الجيِّدة هي الهدف الذي يسعى إليه الجميع، فما إن أمسك عماد الريالات حتّى أخذت أحلامه تكبر فـ"لأوَّل مرَّة يجتاز حياتي حدث مهمّ كهذا، سأرسل لوالدتي مبلغًا تسدّد به دينها، وسأشتري سريرًا وبطّانيّة جديدة تختلف عن هذه التي تغطّينا بها في المقهى"، إذن عماد وأصحابه يهربون من واقعهم الاجتماعيّ البائس، إضافة إلى عجزهم عن العودة إلى وطنهم المحتلّ الذي يحملونه في وجدانهم، هذا الأمر الذي نلمحه في أكثر من لقطة معبِّرة وسريعة في العمل؛ فحين لمَحَ البحر، هذا الطَّيْف الذي ذكّره بفلسطين حتى تعلّق به، وأخذه الحنين، "قال الرجل الملتحي: أشوف عينك ما تفارق البحر يا أستاذ؟ ما في في بلادكم بحر؟

- في بحر، بسّ اليهود احتلّوه.

- آه يلعن أبو اليهود، لكَ الله يا أستاذ ما لهم دين".

هذا الحوار البسيط والقصير الذي حرص ناجي على أن يكون باللَّهجة العاميّة ليضفي عليه الحيويّة والمصداقيّة جسّد لحظة العجز التي يعاني منها هؤلاء في عدم قدرتهم على الدِّفاع عن أوطانهم، ويعطي إشارة لوجوب الاتِّجاه نحوه واستعادته.

وحين استلقى "منصور" هذا الشاب الذي جسّدت شخصيّته مثالًا حيًّا لسيطرة هذه البيئة المحكم عليهم، وتحكُّمها بهم، فقد حوّلته من النَّقيض إلى النَّقيض، فأصبح يعيش خارج حدود الزَّمان والمكان؛ وبعد أن كان كائنًا اجتماعيًّا يجذب الأصدقاء بشخصيّته وترتيبه، أخذ يسدل شعره كأهالي المنطقة ويشرب الخمر والقات، ولا يشغله سوى جسد "ظفرة"، منصور هذا يرسم على الناموسيّة صورة امرأة عارية من الأمام، وإلى جانبها "خارطة فلسطين، لكنّها لم تكن متقنة تمامًا"، ولعلّ جمال ناجي تقصّد أن تكون الخارطة غير متقنة؛ وأنْ يرسمها إلى جانب المرأة التي يحبّ ليعلن أنّ حبّنا لفلسطين ليس مكتملًا؛ لأنَّنا لم نملك بعد القدرة على المقاومة والنِّضال من أجلها، وأمام هذا الواقع: انهيار الأحلام وضياع الآمال والحُبّ والأوطان، كان لا بدّ من الاختيار بين أمرين: إمّا الاستسلام لهذا الواقع المُرّ والتَّأقلم معه ونسيان الأحلام، أو الهروب منه، أي الهروب للمرّة الثانية، الهروب الأوَّل كان باتِّجاه دول النّفط بحثًا عن حياة أفضل؛ ولكن مع انتهاء الحلم عند الوصول إلى الصَّحراء اختار الحلّ الثاني، فكان لا بدّ من الهرب مرّة

أخرى؛ وقد تجلّى هذا الهروب بصور متعدّدة في الرّواية؛ لعلّ أبرزها يجسدّه وجود شخصيّة "بوعايض"، هذا الرجل المهمّش الذي يعمل مراسلًا في المدرسة، ويتجنّبه المدرِّسون وكثير من الأهالي، ومع ذلك، فإنّ علاقة غريبة تجمعه بمنصور يكتشفها عماد لاحقًا؛ فـ"بوعايض" كان يجتمع به أسفل الوادي ليشربا الخمر الرَّديء الذي يحضِّره بطريقة بدائيّة، والقات الذي يحضِرْه أصدقاؤه من اليمن، والقات وسيلة منصور للهرب، فهي تنقله إلى "دهاليز غيبيّة وذكريات لم تحصل أبدًا. إنه صانع الذِّكريات لِمَن لا ذكريات له".

والوسيلة الأخرى للهرب تجلّت في شخصيّة ثانية أيضًا تُعتبر منبوذة في مجتمعها؛ "ظفرة" التي ترعى أغنامها بين مقاهي البلدة، وهي امرأة "لا تلتفت إلى تقاليد القنفذة"، يمنيّة مطلّقة سوداء "لها قامة مربوعة، وحين تمشي تتحرّك مؤخرتها المشدودة بالوزرة فتنثني خاصرتاها كالرّاقصات"، امرأة كهذه؛ بدائيّة، تفتقر للمقوّمات الأساسيّة للجمال، كيف يمكن أن تجذب منصورًا وتجعل الرّغبة فيها تتملّكه حتى الموت؟ "هل تعلم أنّي أشتهيها، بكل ما في الكلمة من مخاوف وألغام، رغم أنها سوداء فاحمة البشرة"، لقد قتلته تلك الرّغبة، وحوّلته إلى إنسان آخر، فهو لم يتمكّن من مقاومة واقعه الذي فرضته الصَّحراء عليه، هذا المكان المجدب الذي يفتقد الحياة ويرفضها، والدَّليل على ذلك موت الطفل "فجر" بن علي أحد المدرِّسين في اليوم نفسه الذي وُلد فيه، فهو لم يطق البقاء في هذا المكان لأنه مكان قاتل، فسياسة الصَّحراء تقوم على التَّغييب، وإلغاء الآخر وتدميره نفسيًّا، وهذا ما حصل مع منصور، فالرّوح لم تملك القدرة على المقاومة، فهرَبَت نحو القات أوّلًا، ثم نحو الرّغبة الجنسيّة العارمة علّه ينسى واقعه وانهيار أحلامه.

ومن أبواب الهرب كذلك المقاهي، فمع رواية تتقاطع خيوطها الأساسيّة في منفى -فالقنفذة هنا منفى اضطراريّ- يشعر فيه الغرباء بهامشيّتهم، فهم جماعة متنوِّعة من الغرباء غير المرغوب فيهم في هذا المجتمع الجديد، في مثل هذه البيئة الطاردة وفي ظلّ التأخُّر الذي تعاني منه القنفذة كان لا بدّ من وجود بديل يهربون إليه من هذه الحياة، فكان المقهى البديل الذي ينطلقون نحوه ليجدوا فيه متنفّسًا، ونقطة اتِّصال بالخارج، فأصبح المكان البديل للوطن والعائلة، ومنطقة تجمُّع المهزومين، "فالمقاهي هي المقرّ الوحيد لكلّ الغرباء، حيث لا وجود للفنادق في القنفذة، يتآلفون بسرعة عجيبة، يرفعون الكلفة بينهم، يتأفّفون باستمرار، يطيب لهم الحديث عن خصوصيّاتهم ويفلسفون الأمور على أهوائهم".

وما يمكن ملاحظته كذلك، العيش خارج حدود الزّمان والمكان، فالشخصيّات تعيش حياتها بطريقة غير معتادة، فالمدرِّسون "غرباء بسراويل متّسخة، وقمصان مفتوحة عن صدورهم، وجوههم متعبة، هنا لا وقت لتصفيف الشعر، فالمسافة شاسعة بيننا وبين بنات عمّان"،



واللافت هنا أنّ المخيّم، وهو المكان الذي هرب منه البطل في محاولة البحث عن الخلاص، أصبح هو الملجأ له للاستمرار في المكان الجديد؛ وذلك من خلال تقنيتين أساسيّتين هما: الاسترجاع؛ التّقنية الأبرز في العمل حين كان عماد يستعيد ذكرياته فيه، هذه الذكريات التي دفعته للاستمرار والمقاومة في البداية، وساعدته على تحمُّل القنفذة حتى وفاة منصور، والتّقنية الثانية هي القَطْع المكانيّ الذي كان ينقلنا عبْر لقطات متداخلة بين القنفذة والمخيّم.

من كلّ ما سبق نجد أنّ جمال ناجي قد قدّم لنا عملًا يحاكي ضياع المغترب، وهي حكاية مكرّرة وتتكرّر باستمرار؛ الواقع المأزوم ومحاولات الانعتاق منه، الضّياع الذي يعاني منه هؤلاء الباحثون عن مستقبل أفضل في عالمنا، والباحثون عن ذواتهم يائسين، والسّؤال الذي يمكن طرحه: لماذا فشل هؤلاء؟ وما الرّسالة التي يقدّمها ناجي في عمله هذا؟ الإجابة واضحة ولا تحتاج إلى جهد كبير، ومفادها أنّ هذه الحلول الفرديّة التي يبحث عنها هؤلاء لا يمكن أن تؤدّي إلى نتيجة، فالحلّ الحقيقي لا بدّ أن يكون حلًّا جماعيًّا، حلًّا نقوم فيه بالتّضحية الحقيقيّة، ليس من أجل بضعة دنانير أو ريالات، وإنّما من أجل العودة والتّحرير، واسترجاع الأوطان السليبة، وتغيير مجتمعاتنا المتخلّفة التي تشكّل بيئة طاردة لأبنائها، وإلّا فإنّ النّهاية لن تكون أكثر من موت، موت حقيقيّ وموت معنويّ ■

التنوُّع الثريّ في لوحات جمال ناجي

د. خالد الحمزة / الأردن

لَمْ نأخُذه على محمل الجدّ عندما قال أثناء اجتماع لهيئة تحرير مجلة "أفكار" مؤخّرًا أثناء مناقشة بندٍ منه يتعلّق بشكل المجلّة وإخراجها: "أنا فنّان تشكيلي أيضًا". ثمّ عرفتُ في ما بعد أنّه فعلًا كان يمارس الفنّ وأنجز لوحات كان له اهتمامٌ كبيرٌ بها؛ تبدّى من خلال عمل إطارات لها وتعليقها على جدران منزله.

نحن هنا أمام مُنتَج آخر في المجالات الإبداعيّة لجمال ناجي غير الرّواية والقصة اللتين عُرف بهما، وحقّق فيهما نجاحًا يعرفه النقّاد والمتابعون. ويبدو أنّه أراد لممارسته الفنيّة أن تبقى في حدود الهواية الحميمة، ولا يريد لها أن تأخذ من تركيزه أو تركيز المُتابعين له على حساب نصوصه الأدبيّة. نقول ذلك على الرّغم من أنّه قد عرض بعض أعماله في معرض بعنوان "كُتّاب يرسمون"، أقيم بالمشاركة مع صديقيه الكاتبين إبراهيم نصر الله وفاروق وادي، وذلك في ربيع عام 1994، ويبدو أنه قد كرّر التّجربة بعد حوالي عقْد من الزّمن.

ويظهر أنّ هذا الشّغف والاهتمام بالفنّ قد بقي لديه منذ حماسته لدخول معهد الفنون، والذي تدرّب فيه فعلًا وحصل منه على دبلوم. واستمرّ حبّه للفن حتى بعد أن ترك تدريسه؛ حيث عمل معلّمًا له في محافظة القنفذة في جنوب السعودية لمدة عامين من 1975 إلى 1977. إنّ عدد اللّوحات التي اطّلعنا عليها قليلٌ إذا نظرنا في طول المدّة منذ العام 1977 حتى مغادرته دنيانا، إلّا إذا تمّ اكتشاف أعمال أخرى، وخاصّة الورقيّة منها، بين مخطوطاته وأرشيفه. ونقول: على الرّغم من قلّة العدد، إلّا أنّ التنوُّع في أعمال ناجي الفنيّة سمة واضحة تناظر التنوُّع في أماكن وأزمان رواياته، وتعكس كذلك تعدُّد الوجوه



والأصوات فيها كما رصدها بعض النقّاد.

لقد تنوّعت الأعمال على مستوى الموضوع والشّكل والخامة والتّقنية، إذ يبدو الأمر أنه كان في حالة تجريب دائم، وكأنّه يبحث بإصرار عن هيئة مرئيّة تستوعب ما يحملها من مضامين تُشغله، وهي عمومًا الإنسان في دأبه على الحياة وانشغاله بمصيره، التّفاصيل اليوميّة والمآل الأخير. بيوت ونساء وأزهار وأشجار هي العناصر التي يغلب أن يفرد لكلّ منها صورة مستقلّة، يقدّمها كأيقونة وكخلاصة لفكرة يراها لا تُقال ولا تُكتب، فهي تُرى فقط. يبدو لي أنّه كان يذهب إلى لوحته يحمل فكرةً يريد التّعبير عنها ولكنه يترك الأمور تسيّره وفقًا لطبيعة المادّة والسّطح، كما اعتدنا على معظم شخوص رواياته حيث تبدو منسابةً تقول ذاتها. ويمكن الجزم بأنّ طلاقة الشيء أو الشّخص قد تملّكته أو امتلكها؛ حيث أنّه في تصريح له قد تمنّى أن تكتب الرّواية ذاتها.

أمّا من حيث الشّكل، فاعتمد المستطيل الرّأسيّ في معظم اللّوحات، وكأنّه لا يبتعد كثيرًا عن سطح الورقة الأثير لديه، وتختلف نسبة الطول بها إلى العرض من عملٍ إلى آخر، ولم يخرج عن ذلك النّظام، على الأقلّ في ما شاهدتُه من أعمال، إلّا مرّة واحدة في مستطيلٍ أفقيّ؛ وهي صورة المدينة ببيوتها المرصوفة في طبقات متراكبة، وقد تكون لأحد جبال مدينة عمّان.

وتختلف الأعمال كذلك في مساحاتها، ولكنّها لا تتجاوز المتر المربّع. يضع ناجي العنصر المصوّر متسيّدًا مساحة اللّوحة بغضّ النّظر عن موقعه منها، سواء أكان محتلًا وسط الصورة أو ركنًا فيها. ويحفّ الإطار باللّوحة مباشرة إلّا في حالة واحدة وهي لوحة الأمومة، التي سنعود إليها لاحقًا، فقد جعل لها مساحة محيطة بالعمل بلون بنّي محمرّ قاتم ولها ملمس خشن نوعًا ما.

ويُلحظ في مجمل اللّوحات أنه يحترم السّطح ويعتني به كثيرًا، إذ تجد فيه انشغال بالملامس الحقيقيّة، بحيث يمكن لمس درجات من الخشونة التي تشكّل لديه عنصرًا فاعلًا في الصورة، وتخدم موضوعها. لقد تحقّقت هذه الملامس من خلال معالجة الخامات التي شملت الأكريلك والزيت والقماش والخشب والكولاج. ويظهر هذا الاشتغال على الملمس بطريقة

متميّزة في لوحة لم تتكرّر وهي عبارة عن سطح طباعي حُفرت فيه الأشكال في صفوف أفقيّة غير منتظمة، بحيث بدت وكأنّها أحفورات في جرفٍ صخريّ تحت إضاءة نهاريّة صارخة. تعجُّ اللّوحة بحركة صاخبة وكأنّها لقطعان من الحيوانات البريّة تعدو من اليمين إلى اليسار وبالعكس. يذكّرنا هذا العمل بأقدم تصوير وصلنا؛ وأقصد رسوم كهوف لاسكو والتامبرا.

لا بدّ لمبدع مثقّف مثل ناجي من أن يكون مطّلعًا على أعمال فنّانين عالميّين مهمّين، نقول ذلك ونحن نلحظ تقاطعات مع بعض هؤلاء الفنانين مثل "بيكاسو" و"فان كوخ" و"مونش" و"جان آرب" و"برانكوزي". ويمكن أن يرى الأخيرَيْن خارج السّياق بسبب أنّنا نتحدّث عن أعمال تصوير، وهما قد اشتهرا في مجال النّحت. ولتوضيح هذه المسألة نقول إنّ عمله الذي يقدّم به عائلة أو أسرة من ثلاثة أفراد قد بُني بطريقة نحتيّة، وكأنه نصُب تذكاريّ يذكّرنا بتلخيص "برانكوزي". أشكال ملتحمة مع بعضها بعض في تسامٍ محلّقٍ ومتّجهة من اليسار إلى اليمين، بلون وردي فاتح وبه لمسات واضحة من الأبيض، على خلفيّة بنيّة غامقة إلا من شريحة خشبيّة واقفة طوليًّا ولونها فاتح. ما الذي يريد قوله؟ هل هذه الخشبة هي علامة على الباب؟ أم أنّ الباب موصد كجدار؟ أم أنّ ما كان بابًا لم يعُد كذلك؟

لوحة أخرى يمكن أن أطلق عليها "الشجرة الذهبيّة"، شجرة وحيدة ولكنّها كبيرة تحتلّ معظم مساحة اللوحة، بسبب درجات الأصفر



والبرتقالي في تلوينها للساق فقط ظلّ أخضر، أمّا الأجمة فتبدو كقرص شمس تضطرم اشتعالًا، ويذكّرنا هذا الوهج بحقول قمح "فان كوخ". وعندما يرسم باقة من الأزهار تجدها واقفة تتوّج سيقانها التي تشبه شهبًا صفراء على خلفيّة معتمة تذكّرنا بليالي "فان كوخ" ذات النّجوم.

لوحة الصّرخة ليست ببعيدة عن لوحة "إدفار مونش" المعروفة بالعنوان نفسه من حيث الموضوع والتّعبير، ولكنّها مختلفة تكوينًا إلى حدٍّ ما. يدخل الصورة من الرُّكن الأيسر رَجُل بكتفه الأيسر ورأسه فاتحًا ملء فيه بصرخةٍ مدوّية أثارت عاصفة هوجاء قادمة معها، وطغت على معظم مساحة اللّوحة. بُركان ألم وغضب ودعوة



للصّحو والاستجابة والفعل، وكأنّ هذا الانفجار العظيم يلغي المقول والمكتوب، فلم يعُد لهما تأثير، فعاد إلى أسّ التّعبير الإنسانيّ عن نفاد الصّبر؛ الصّرخة.

أما لوحة الأمومة، فهي مختلفة عمّا عداها من أعمال في تكوينها الفنّي وخامتها، وحتى بروزتها كما أوضحتُ في ما سبق، إنّها لامرأة تحتضن بقوّة وليدها الملفوف بقماش سميك وثقيل، ونُفِّذت بالجصّ نحتًا نصفيًّا بارزًا. تحيط يدها اليمنى به مقرّبة وجهه إلى وجهها، وتنساب جديلة شعرها الغليظة لتحيط به من الأمام. أمّا يدها اليمنى فتنزل بجانبها وتسند الطفل من أسفل. يتّسم العمل بالتلخيص المكثّف والبساطة في المُعالجة، ويذكّرنا ذلك بمنحوتات "جان آرب" و"برانكوزي".

لقد تمّ تصوير موضوع الأمومة ونحته آلاف المرّات عبْر تاريخ الفنّ منذ العصور الأوليّة وحتى اليوم، ويشتهر من بينها العذراء والطفل في الفن البيزنطي وفنون أوروبا في العصور الوسطى والنهضة، إنّها الأيقونات الأكثر تبجيلاً. يعمل ناجي هنا بطريقة مسايرة، ولكن بخصوصيّة ميّزها اللّون الواحد للشّكل وخلفيّته، وهو أبيض الجصّ الذي أخذ بالاصفرار مع مرور الزّمن، ثم وضعها على هذه المساحة القاتمة كما أسلفنا. يبدو ناجي هنا وكأنه يريد أن نستغرق في العمل، حيث يفصلنا عمّا سواه بأن جعل حاجزًا بين الصورة وما يحيط بها في البيئة. إنّه -بوسائل فنيّة- إعلاءٌ وتبجيلٌ لمعنى الحياة ■

جمال ناجي
و"الثقافة المدنيّة"

د. نادية سعد الدين/ الأردن

تُشغِلُ موضوعة "الثقافة المدنيّة"، كمعوّل أساس لترسيخ الدولة المدنيّة، مساحةً وازنةً في اهتمام جمال ناجي، فكرًا وسلوكًا، ما تجسّد فعليًّا في مفردات خطابه ومضمون إنتاجه الإبداعيّ ومحور العديد من الأنشطة والفعاليّات الثقافيّة، التي إمّا شارك بها أو نظّم لها، سبيلًا للمجتمع الديمقراطيّ المنشود.

ويحتكم مسار بناء الدّمقرطة المجتمعيّة، عند جمال ناجي، إلى جملة محدّدات داخليّة مستلّة من أسّ مفهوم المواطنة البنيويّة المسؤولة، بوصفها ديدن النّظام الديمقراطيّ المنشود، وبالتالي، أحد أعمدة "الثقافة المدنيّة"، دون أن تتوقّف عندها، حيث يشمل "مفهومها الواسع والمتشعّب والزّاخر بالتّفاصيل، قضايا المشاركة المدنيّة والسلوك المدنيّ والحريّات الاجتماعيّة والمأسسة والعدالة، وليس انتهاءً بمفهوم المواطنة العالميّة التي تُعدُّ الآن بوصلة للتطبيقات العالميّة لقضايا الهجرات واللّجوء بأنواعه"[1]، وفق قوله.

ولأنّ المواطنة تشكّل مكوّنًا أساسيًّا في بنيان الديمقراطيّة؛ فإنّها تتّخذ مكانها الرّاسخ، بحسب ناجي، في إطار دولة يتّسع مضمونها ورحابها لكلّ المواطنين، بصرف النّظر عن توجّهاتهم ومعتقداتهم، ويتمّ فيها، بضمانة الدستور، تحقيق المساواة والعدالة والوحدة الوطنيّة والحريّات والتعدّدية، والشفافية والمساءلة.

وترجع ثيمة الرّبط بين المواطنة والثقافة المدنيّة، عند جمال ناجي، إلى حاجة المجتمع للأخيرة

---

(1) حازم مبيضين، «أفكار: نقلة نوعيّة واهتمام بالثقافة المدنيّة»، جريدة الصباح، 2/3/2017 على الرابط التالي:
http://www.alsabaah.iq/ArticleShow.aspx?ID=132733

التي تسهم في "إحداث تغيير شامل في المجتمع سياسيًّا واقتصاديًّا"، وصولًا للدولة المدنيّة، إذ إنَّ "القراءة المتأنِّية للواقع الثقافي المحلّي والعربي"، والقول هنا لناجي، "تفيد بأنَّ مثقّفينا نسوا، ربَّما في غمرة انشغالهم بالقضايا السياسيّة، أنَّ ثمّة ما يمكن تسميته بالثقافة الاجتماعيّة وتجلّياتها المدنيّة، وهو أمر يذكِّرنا بالنِّضالات التي خاضَها السياسيّون والمثقفون على مدى عقود من الزّمان سعيًا وراء الحريّات السياسيّة، من دون الالتفات إلى الحريّات الاجتماعيّة ذات الجوهر الثقافيّ، التي تشكِّل عصَب التَّغيير الإيجابيّ في مجتمعات كانت، وما زالت، تعاني من الصَّدمات الثقافيّة والعلميّة والفكريّة"[2]، بحسبه.

وتدخل مفاعيل ترسيخ الثقافة المدنيّة، وتعزيز الحريّات العامة، وتحقيق الإصلاح السياسيّ، وتنمية المشاركة والاحترام المتبادل، بالنِّسبة إليه، ضمن عناصر "البنية التحتيّة" الحاضنة للدولة الديمقراطيّة، وصولًا إلى المجتمع المدنيّ المطلوب، استنادًا إلى أسس "الحق" و"الواجب" و"المسؤوليّة" التي تعدُّ جوهر "المواطنة الفاعلة".

بيدَ أنَّ العدالة، التي تعدُّ الطريق النّاجز نحو الدولة المدنيّة، تستقيم مع تحقيق الاندماج الاجتماعيّ على مستوى "الهويّة" و"المواطنة"، مثلما تتوفّر الحريّات في ظلّ نظام ديمقراطي؛ مجتمع ديمقراطي تسوده العدالة والمساواة والحريّة؛ حيث لا عدالة دون تحقيق اندماج اجتماعي على مستوى الهويّة والمواطنة، فإطار العدالة والحريّة والمساواة هو الدولة الوطنيّة بعيدًا عن الهويّات الفرعيّة.

ومن واقع ما آمن به فكرًا، فقد قام بتجسيده عملًا؛ حيث أشرف جمال ناجي، عبْر "المركز الثقافي العربي" الذي أسّسه في العام 2009 وأداره حتى العام 2017، على برنامج الثقافة المدنيّة، فعكف المركز على إعداد سلسلة الثقافة المدنيّة التي أصدرها بدعم من برنامج التَّمكين الديمقراطيّ، أحد برامج صندوق الملك عبدالله الثاني للتَّنمية.

وتتضمَّن السلسلة، التي جاءت ضمن برنامج الثقافة المدنيّة، في مرحلتها الأولى كتاب "المواطنة" وكتيِّب "المشاركة المدنيّة" و"مدوّنة السلوك المدنيّ"، فضلًا عن إطلاق بوّابة إلكترونيّة www.bell-arabi.comعلى شبكة الإنترنت، وتحتوي على الكثير من البحوث والأدبيّات والمواد ذات الصّلة بالثقافة المدنيّة، بحيث أريد لها أن تشكِّل إضافة نوعيّة طموحة إلى روّاد المكتبة العربيّة، لاسيّما في ظلّ افتقار هذه المكتبة إلى المراجع التي تعمِّق الثقافة المدنية، ونشرها على نطاق واسع للقرّاء والباحثين والأكاديميّين والطلبة الجامعيّين.

---

(2) "أفكار" الأردنيّة تكرّس الثقافة المدنيّة، جريدة القدس العربي، 6/4/2017. على الرابط التالي:
http://www.alquds.co.uk/?p=699768

كما أقام المركز، آنذاك، عددًا من الأنشطة والفعاليّات وورش العمل والنّدوات في هذا الإطار، مثل "الملتقى الوطني للثقافة" و"المؤتمر الوطني للثقافة المدنيّة" وغيرها من الفعاليات، التي تتّسم بالدّيمومة من حيث ارتباطها المتواصل مع المواطنين، لاسيّما فئة الشّباب منهم.

ويستقيم ذلك مع إفراد مجلة "أفكار"، التي تصدر شهريًا عن وزارة الثقافة منذ عام 1966 وتعدّ منبرًا ثقافيًا وفكريًا وأدبيًا معتبرًا، بابًا ثابتًا لمفهوم "الثقافة المدنيّة"، وذلك في إطار النّهج الجديد الذي اختطته هيئة التحرير الجديدة ورئيس تحريرها جمال ناجي، منذ شباط 2017 حتى رحيله في 6/5/2018، حيث يأتي التّطوير بحسب ناجي "استجابةً للمتطلّبات الثقافيّة الاجتماعيّة التي تفرضها معركة الأفكار، تلك التي نشبت منذ ابتداء مرحلة التحلّل الأيديولوجي، وما أعقبها من مظاهر التوعُّك والإنهاك الثقافي التي سمحت بالانتشار غير المسبوق للتّزاحم المُريع للأفكار والاجتهادات والتطبيقات ذات النتائج الدّامية"[3].

إذ يؤمن ناجي أنّ "الثقافة أوسع وأعمق من أن يتم حصرها في الشِّعر والقصّة والنّقد والفنون، إنّما هي تشمل أيضًا ثقافة الحريّات الاجتماعيّة والمشاركة والفلسفة والسياسة والفكر والعمران والعلوم الثقافيّة الجديدة وسواها، أمّا اختيار الثقافة المدنيّة كثيمة أساسيّة للمجلة إلى جانب الإبداع، فمردُّه الاحتياج الاجتماعي لهذه الثقافة التي غابت أو غُيبت عن الخطاب الثقافي إلى حدّ يثير التّساؤل"[4]. ومن هنا أراد ناجي، من خلال مجلة "أفكار"، وبالتعاون مع هيئة التحرير الجديدة، التوسُّع في نشر تفرُّعات الثقافة، لاسيّما الثقافة المدنيّة والاجتماعيّة، التي غابت في غمرة الاهتمام بالآداب والفنون على حساب الجوانب الأخرى للثقافة، التي لا تقلّ في أهميّتها عن الآداب والفنوان، كما يرى ذلك.

وتستلّ الحريات، بمفهومها الاجتماعي والثقافي والسياسي الأشمل، مكانها المعتبر في مفهوم جمال ناجي لركائز الثقافة المدنيّة؛ متوقفًا عند مفارقة "نضال السياسي العربي، ومعه المثقف العربي، لعقود طويلة من أجل الحريّات السياسيّة، لكن أحدًا لم يتحدَّث بجديّة عن الحريّات الاجتماعيّة التي تعدُّ من العناصر الرّئيسة للثقافة المدنيّة، بالرَّغم من أهميّة تلبية الاحتياجات الثقافيّة الاجتماعيّة في هذه الظروف التي تنذر بالكثير من المخاطر والتغيُّرات الثقافيّة التي تسود المنطقة والعالم برمّته، لاسيّما مع صعود وتنامي موجات ثقافة التطرُّف والانغلاق"[5].

وذهب ناجي في جلّ انشغاله بحيويّة الحريّات

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

(5) "أفكار": نقلة نوعيّة واهتمام بالثقافة المدنيّة، مرجع سابق.

حدّ القول إنّها تصنع المقاومة، ليس فقط ضدّ الظُّلم والاحتلال والعدوان، بل حقّ الشُّعوب في الإصلاح، معتبرًا أنّ "هناك مثقفين نسوا في غمرة اهتمامهم بالمقاومة حق الشعوب في الإصلاح، فغلّبوا جانب المقاومة على كلّ قضيّة، فالمقاومة لا تزدهر في ظلّ أنظمة فاسدة، إذ إنّ منح الحريّات للشعوب يصنع المقاومة وليست الأنظمة، وبالتالي تحرير الشعوب أوّلًا ثم المقاومة"[6]، بحسب قوله.

وأيًّا يكُن؛ ولأنّ ثمّة إشكاليّة ما تزال عالقة دونما حسم حيال ديمقراطيّة المجتمع، وتجاه مسألة الحريّات العامة وحقيقة المشاركة الفعليّة في الحياة السياسيّة، وأهميّة دوْر المجتمع المدنيّ الذي يشكّل "البنية التحتيّة" للديمقراطيّة بحيث لا تكتمل الأخيرة دونه مثلما لا تتحقّق التّنمية دون ديمقراطيّة، فإنّ تأثير ذلك يصيب المنظومة القيميّة والثقافيّة المجتمعيّة، حيث ما تزال الحدود الثقافيّة والأطر الاجتماعيّة التي ترسمها ثقافة المجتمع تشكّل عوائق ديمقراطيّة.

بيدَ أنّ المجتمع عندما يصل إلى درجة من الوعي الديمقراطيّ، تصبح المواطنة جزءًا مرادفًا له، إذ دون الديمقراطيّة والحريّة وحق المشاركة لا يتمكّن الأفراد من ممارسة مواطنيّتهم، كما لا يتمكّن المجتمع من التقدُّم.

برحيل جمال ناجي، خسرت الساحة الثقافيّة الفكريّة والأدبيّة العربيّة واحدًا من أبرز المساهمين في إثرائها بحضوره الإبداعيّ والنقابيّ والإنسانيّ، إلّا أنّ ما سطّره، فكرًا وقلمًا ونشاطًا، سيظلّ شاخصًا بقوّة خطابه وعطاء إنتاجه الثقافيّ المتنوّع ■



(6) جمال ناجي، الحريات تصنع المقاومة، الجزيرة نت، 19/6/2016. على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2011/6/19

جمال ناجي والأداء النّقابيّ

محمد المشايخ/ الأردن

يُعْتَبَرُ الرّوائي جمال ناجي من أهم الشخصيّات الأدبيّة التي جمعت بين الإبداع من جهة، وبين الأداء النّقابيّ من جهة أخرى، فكان في طليعة المعنيّين بالعمل العام، ومن القياديّين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة عدد من الهيئات الثقافيّة التي ترأسها، أو كان عضوًا في هيئاتها الإداريّة، أو عمل مستشارًا ثقافيًا لها، وقد أدّى انخراطه في العمل الأدبيّ والنقابيّ إلى تفاعله مع القضايا المستجدّة على الصعيدين الثقافيّ والوطنيّ العربيّ.

ويذكر المعنيّون بالاقتصاد، كيف استطاع جمال ناجي لدى عمله في الإدارة المصرفيّة خلال السنوات (1978-1996)، وتبوُّئه موقعًا مرموقًا في النقابة العامة للعاملين في المصارف والتأمين والمحاسبة في الرُّبع الأخير من القرن العشرين، وتعاونه مع عدد من زملائه، أن يحقّقوا العديد من الإنجازات على الصُّعُد المطلبيّة والاجتماعيّة والثقافيّة والرياضيّة للعاملين في المصارف والتّأمين والمحاسبة، والدّفاع عن حقوقهم، وتقديم الخدمات الصحيّة والاجتماعيّة لهم، ورفع مستواهم الاقتصاديّ والمهنيّ والنقابيّ.

مجمّع النّقابات المهنيّة

في العام 1980، وفي أثناء انعقاد مجلس النُّقباء، بمجمّع النّقابات المهنيّة، بحضور راكان المجالي "نقيب الصحفيين آنذاك"، طلب سالم النحاس من المجلس، اعتبار "رابطة الكُتّاب الأردنيّين" نقابة، فطلب المجلس برقيّة من الرّابطة بهذا الخصوص، فاتّصل النحاس بـناهض حتّر في الرّابطة، وطلب منه أن يُحضر ورقة برقيّة من مكتب بريد جبل اللويبدة، ويسجِّل فيها طلب الرّابطة الملحّ بالانضمام للمجلس، وإحضارها

باليد بأقصى سرعة للمجلس في أثناء انعقاده، ووصل ناهض والبرقيّة في الوقت المناسب، واستجاب المجلس للطلب، وبذلك صارت الرّابطة واحدة من النّقابات المهنيّة الأربع عشرة. وكان جمال ناجي قد انتسب لرابطة الكتاب الأردنيين بتاريخ 7/6/1981، وسرعان ما أصبح الساعد الأيمن لمعظم هيئاتها الإداريّة ولجانها الداخلية، وصار يـُمثل الرّابطة في اجتماعات مجلس النُّقباء باعتبارها عضوًا دائمًا في المجلس، عدا عن تمثيله لها ومشاركته الفاعلة في عدد من لجان المجمَّع.

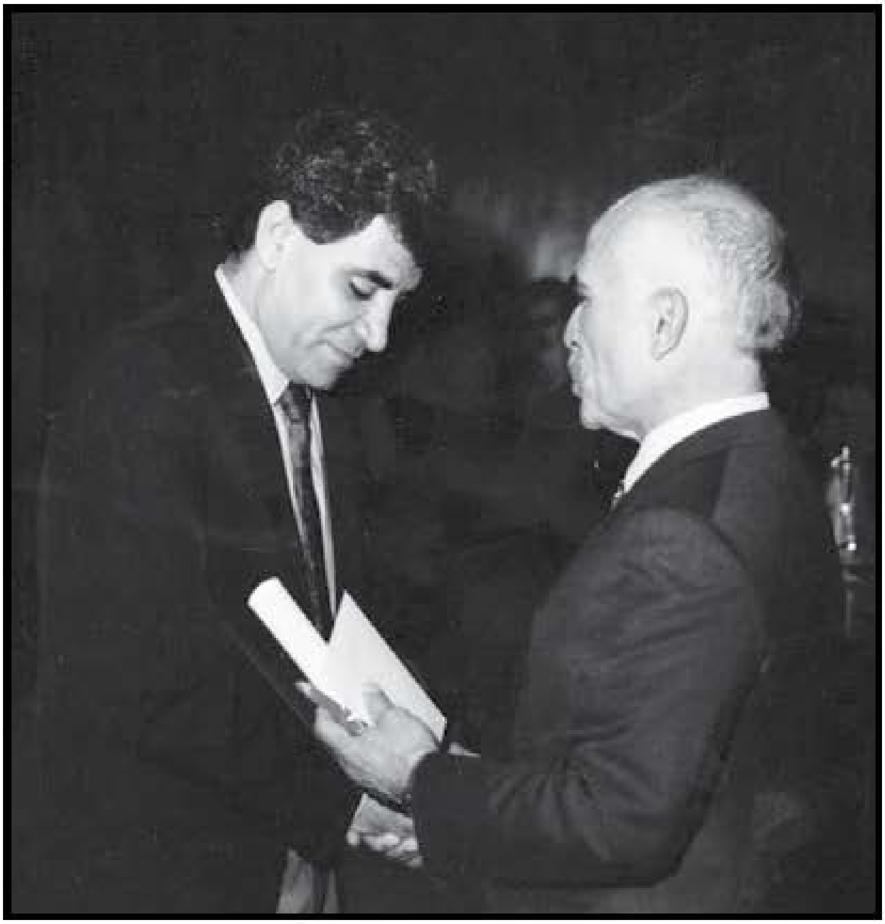
وأدّى نشاطه النقابيّ الزائد في الرّابطة، وفي مجمّع النّقابات المهنيّة، والذي تجاوز الخطوط الحمراء بعد الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان عام 1982، وبعد إيعاز الحاكم العسكري -أيام الأحكام العرفيّة- بإغلاق الرّابطة بتاريخ 17/6/1987، إلى اعتقال جمال أكثر من مرّة.

ولطالما حظي جمال ناجي بثقة الهيئة العامة للرابطة في أكثر من دورة انتخابيّة، فكان أمين السر لدورة 1990-1991 (برئاسة عبدالرحيم عمر)، وكان أمين الثقافة والإعلام والنَّشر لدورة 1991-1992، وأمينًا للشؤون الماليّة في دورة 1992-1993، وعضوًا في دورة 1999-2001. وعند تأسيس "تجمُّع المثقّفين الديمقراطيّين" في الرّابطة عام 2001 وكان د.أحمد ماضي أمينه العام، تمكَّن ذلك التجمُّع، بحنكة عقله المدبر الروائي سالم النحاس، وزملائه قادة التجمُّع، من إيصال جمال لرئاسة الرّابطة في الدورة الانتخابيّة 2001-2003. وفي الدورة الانتخابيّة 2007-2009 فاز جمال ناجي بعضويّة الهيئة الإداريّة التي كان يترأسها سعود قبيلات.

عندما أعاد الحاكم العسكري فتح الرّابطة بتاريخ 15/12/1989، تعاون جمال ناجي وزملاؤه مع مجمع النقابات المهنية للحصول على مقر مؤقت للرابطة في المجمع، وتمّ لهم ذلك مجانًا، ثم عادت الرّابطة لمقرّها الأوَّل في شارع إبراهيم طوقان بجبل اللويبدة، فاستأجر جمال سيارة كبيرة وتوجَّه بها إلى مقرّ "اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين" في الشميساني، واسترجع من الاتحاد ما تبقى من أثاث الرّابطة ومكتبتها، وكانت جهوده عظيمة في إعادة التأسيس الثاني للرّابطة في تلك الحقبة، بعد تأسيسها من قِبَل عدد من قادة الأدب والفكر والعمل النقابي لأوَّل مرّة عام 1974.

تجلـّت عبقريّة جمال ناجي النقابيّة، عندما عقدت "رابطة الكتاب الأردنيين" المؤتمر الثامن عشر للاتِّحاد العام للأدباء والكتاب العرب، تحت الرِّعاية الملكيّة السامية في عمّان، خلال الفترة من 12-19 كانون الأول 1992، حيث نجحت الرّابطة، بهمَّته، وبهمّة هيئتها الإداريّة، من إيصال رئيسها "فخري قعوار" ليصبح الأمين العام للاتِّحاد العام للأدباء والكتاب العرب لثلاث دورات استمرَّت ست سنوات.

وحين انتُخب جمال رئيسًا للرابطة بتاريخ 1/6/2001 كان هاجسه الأوَّل، الحفاظ على نهج الرّابطة التاريخيّ الذي تبنَّته منذ تأسيسها في



دعمها للقضايا العربيّة والتحرريّة والإنسانيّة، ولأنه كان يؤمن بالعلاقة الوطيدة بين الثقافي والسياسي دون أن يطغى أحدهما على الآخر، فقد أكّدت الرّابطة بإشرافه متابعة مواقفها الثابتة من القضايا الوطنيّة والقوميّة والإنسانيّة.

مكاسب نقابيّة

في الوقت نفسه اشتغل جمال ناجي على الأوضاع المعيشيّة والنقابيّة للأعضاء، فحقّق لأبنائهم الناجحين في الثانويّة العامة، بموجب المكرمة الملكيّة السامية، خمسة مقاعد في الجامعات الأردنيّة الرّسميّة، وحصل على حسومات للأعضاء ولأبنائهم لدى دراستهم في عدد من الجامعات والمدارس الأردنيّة الخاصة، وبموجب الاتفاقيّة الموقّعة بين الرّابطة واتحاد الكتاب العرب في دمشق برئاسة "علي عقلة عرسان" رئيس الاتحاد آنذاك، صار لأعضاء الرّابطة خمسة مقاعد في الجامعات السورية. وقررت الهيئة الإداريّة آنذاك، التواصل مع العديد من الهيئات والمؤسسات الثقافيّة، واستقطاب دعمها من أجل

تحقيق المكاسب لأعضائها، فقام جمال ناجي ومعه أعضاء من الهيئة الإداريّة للرابطة بزيارة وزارة الثقافة، ووزارة التربية والتعليم، ووزارة السياحة، والتقوا مع رؤساء تحرير الصحف الأردنية (الرأي، الدستور، العرب اليوم)، وزاروا مؤسسة عبد الحميد شومان، وأمانة عمّان الكبرى، وعدد من رؤساء الجامعات ومدراء المدارس الخاصة، للحصول على امتيازات نقابيّة لأعضاء الرّابطة وأبنائهم.

وعندما كان جمال ناجي رئيسًا للرابطة، صرفت الهيئة الإداريّة للمتحدّثين في فعاليّاتها مبالغ بسيطة، كادت تؤدي لإفلاس الرّابطة بعد ستة أشهر من بدء صرفها، فتوقفت عن الصّرف، ولكنها طلبت من الأعضاء عدم المشاركة في أيّ فعاليّة في أيّ مؤسسة ثقافيّة أو أكاديميّة أو تربويّة أو إعلاميّة إلا مقابل مكافأة ماليّة، ورفَعَت الرّابطة الشّراء من أيّ إصدار جديد لكلّ عضو من أعضائها من عشرين إلى ثلاثين دينارًا، وأصدرت مائة كتاب لأعضائها بالتّعاون مع أمانة عمّان الكبرى ووزارة الثقافة واللجنة العليا لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربيّة 2002، وعالجت عددًا من أعضائها ضمن جهود ذاتيّة، وتمّ تمهيد السبيل لمنح أعضاء الرّابطة تأمينًا صحيًّا من خلال زيارة سمو الأمير فراس بن رعد للرابطة بصحبة د. زهير أبوفارس الذي أصبح نقيبًا للأطباء في ما بعد، وتمّت مخاطبة مركز الأمل للسرطان لمعالجة أعضاء الرّابطة مجانًا، وحصّلت الرّابطة لأعضائها حسمًا مقداره 50% من قيمة إعلاناتهم واشتراكاتهم السنويّة في صحيفة "الدستور".

ولتمكين أعضاء الرّابطة من مواكبة العصر،





أنجزت الهيئة الإداريّة للرابطة، بتوجيهات من رئيسها جمال ناجي، تصميم موقع للرابطة على الإنترنت، وتمّ تخصيص موقع إنترنت لكلّ عضو في الرّابطة من خلاله. وضمن سعيه لمأسسة الرّابطة، أوعز بتخصيص ملف لكل عضو، ولكل موظف في الرّابطة، وحاول مأسسة مجلة الرّابطة (أوراق) باعتباره رئيس تحريرها، وكلّف د.أحمد النعيمي بإعداد نشرة داخليّة للرابطة حملت اسم (رابطتنا).

وفي الوقت الذي اهتم فيه ناجي بفروع الرّابطة في محافظات المملكة، أشرف على انتخاب اللجان الداخليّة المساعدة للهيئة الإداريّة بتاريخ 15/6/2002، وأعطاها الحريّة الكاملة للعمل على مدى سنتين. وفتحت الرّابطة آنذاك مقرّها ليكون مقرًّا لعدد من المؤسسات ومنها: جمعية النقاد الأردنيين، منتدى الفكر الاشتراكي، منتدى الفكر الديمقراطي، الجمعيّة الفلسفيّة الأردنيّة، أسرة الأدباء الشباب "الفرسان"، وتمّ طرح فكرة إقامة المجلس الأعلى للهيئات الثقافيّة المحلية ليضم هيئات منها: نقابة الفنانين، رابطة التشكيليّين،

جمعية النقّاد، جمعية المكتبات، نادي أسرة القلم الثقافي.

قضايا الكُتّاب

كان جمال ناجي عضوًا في رابطة الفنانين التشكيليّين، وأقام أكثر من معرض للكُتّاب من أعضاء الرّابطة تحت عنوان (كتّاب يرسمون)، وبإشرافه كرّمت الرّابطة رؤساءها السابقين، وأعضاءها الفائزين بجوائز محليّة وعربيّة، وسَعَت لاستئناف منح جميع جوائز الرّابطة التقديريّة والبالغ عددها 11 جائزة، وقبلت 62 عضوًا جديدًا، يتقدّمهم الشاعر الفلسطيني محمود درويش، الذي كان يحمل جواز سفر أردني، ومنحت أعضاءها لأوّل مرّة هويّات بلاستيكيّة مقوّاة على غرار المعتمدة لدى النقابات المهنيّة، واعتمدت الهيئة الإداريّة شعارًا جديدًا للرابطة أعده الفنان ناصر الجعفري، وحدَّدت الهيئة الإداريّة الساعة السادسة من مساء السبت الأوَّل من كلّ شهر موعدًا للحوار الشهريّ الذي يتناول قضايا مفصليّة تهمّ الكُتّاب وتناقش قضاياهم الوطنيّة والثقافيّة.

وبهدف تشجيع الإبداع ورعاية المبدعين، وإيجاد الحوافز الكفيلة بالكشف عن المواهب المحليّة، فقد نظّمت الرّابطة مسابقة أدبيّة لجميع الكتاب والأدباء الأردنيّين غير الأعضاء في الرّابطة ممن تجاوزا سن 18عامًا. وخاطبت جامعتَي اليرموك والأردنية للسَّماح لأعضاء الرّابطة باستخدام مكتبتيهما.

وشاركت الرّابطة في جميع الفعاليات التي تم تنظيمها أثناء تنفيذ مشروع إعلان عمّان عاصمة للثقافة العربية عام 2002، فنظمت حلقة بحث بعنوان (مستقبل الثقافة العربيّة في ظل ثورة المعلومات)، وحلقة حول (الأديبة الراحلة رجاء أبوغزالة)، وأخرى بعنوان (غالب هلسا روائيًّا وقاصًّا). وتمت طباعة ثلاثة كتب هي: "شهادات إبداعيّة"، "عمّان كما يراها المثقفون"، "نحو استراتيجيّة ثقافيّة أردنيّة"، واستضافت الرّابطة العديد من الفعاليات التي تم تنظيمها ضمن الأسابيع الثقافيّة العربية التي شهدتها المملكة.

في الشَّأنين القوميّ والدوليّ

استقبلت الرّابطة خلال ترؤس جمال ناجي لها، عددًا من المبدعين العرب، منهم: د.علي عقلة عرسان، ممدوح عدوان، نبيل سليمان، خيري الذهبي، د.سمر روحي الفيصل، محمد راتب الحلاق، د.يمنى العيد، إلياس لحود، جوزف حرب، إدوار الخراط، عبدالتواب يوسف، علاء عبدالهادي، أحمد الشهاوي، سميح القاسم، عز الدين ميهوبي، وغيرهم، كما استضافت الرّابطة بتاريخ 5/8/2002 عددًا من الشعراء العرب والمحليّين المشاركين بمهرجان جرش، وكنتُ شاهدًا على فتح جمال منزله لاستضافة وإكرام مَن تسمح له ظروفه من الأدباء العرب والمحليين لزيارته في منزله، وكانت سهرة رائعة تلك التي توافد فيها أعلام الحركة الأدبيّة الأردنيّة وزوجاتهم لمنزل ناجي لمشاركته في استقبال

الشاعر سميح القاسم.

وكان ناجي شديد الحساسيّة تجاه بعض القوى الظلامية التي تحاول التطاول على الأدب، فحين جاء أدونيس عام 1991 لعمّان لإلقاء محاضرة في المركز الثقافي الملكي، تجمهر عدد منهم ومنعوه من دخول المركز، الأمر الذي اضطرّه لإلغاء محاضرته، يومَها استدعى جمال ناجي الشاعر عبدالرحيم عمر وأعضاء الهيئتين الإداريّة والعامة للرّابطة لتدارس الموقف في مقرّ الرّابطة في جبل اللويبدة. وفيما بعد وقف ناجي إلى جانب الشاعر موسى حوامدة لدى تعرُّضه للمحاكمة على خلفيّة ما ورد في ديوانه "شجري أعلى" وزار القاضي الشرعي لإيقاف ما كان يتعرّض له حوامدة آنذاك، ونجح في ذلك.

ولأنّ جمال كان في طليعة الشخصيات النقابيّة والقيادية المعنيّة بالشأن القوميّ العام، فقد نظَّمت الرّابطة إبان ترؤسه لها العديد من الفعاليّات الخاصة بها، والمشتركة مع نقابات وهيئات ثقافيّة وفنية وصحفية محليّة، للتضامن مع فلسطين والعراق، هذا بالإضافة إلى مشاركة أربعين عضوًا من الرّابطة في مهرجان المربد، ومشاركة الرّابطة في المؤتمر القومي للمنظمات المهنيّة للتّضامن مع العراق في شهر أيلول2002، وحين أرسلت الرّابطة طائرة بهدف كسر الحصار المضروب على العراق، كان جمال في طليعة المشتغلين على تحقيق أسمى هدف سياسي تضامني وإعلامي من الرِّحلة، بالاضافة لتهيئة الأجواء المريحة لكل مَن على متنها من الأدباء المحليّين والعرب.

وعلى الصَّعيد الدوليّ، تمَّ في أثناء ترؤس جمال ناجي للرابطة، وتحديدًا بتاريخ 19/10/2002 التوقيع على اتفاقيّة التعاون الثنائيّة بين اتحاد كتّاب روسيا والرّابطة، كما استضافت الرّابطة يوم 2/9/2002 وفدًا من اتحاد الكتاب والفنانين من الصين الشعبيّة، ووجَّهَت الرّابطة الدعوة للكاتب الكولومبي غابرييل غارثيا ماركيز لزيارة الأردن على نفقة الرّابطة لإقامة حوار مفتوح بينه وبين الكتاب الأردنيّين. وهذا غيض من فيض الأنشطة اليوميّة والفعاليّات النوعيّة والمتميِّزة التي أقيمت في تلك الحقبة.

إشارات

كان جمال عزيز النَّفْس، يحافظ على كبريائها وعنفوانها، فحين نزل للانتخابات ينشد رئاسة الرّابطة في مواجهة مؤنس الرزاز عام 1993، لم يحالفه الحظ، وفاز مؤنس الذي اتَّصل به ثاني يوم الانتخابات، وقال لجمال: "هل تتفضَّل لتناول طعام الغداء في منزلي، أم أحضر أنا لتناول الغداء في منزلك؟"، واختار جمال حضور مؤنس لمنزله حين كان في الهاشمي الشمالي، وبالفعل ذهب مؤنس إلى منزل جمال، وحظي بكرم الضيافة وحـُسن الاستقبال.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ جمال كان أوَّل من استخدم الكمبيوتر في تحليل نتائج انتخابات رابطة الكتاب الأردنيين بالتعاون مع ابنه مهند، فقدَّم تحليلًا وافيًا لجميع الأوراق الانتخابيّة وتحرُّكات

التيّارات ومصداقيّتها وعدم التزام بعضها بتلك المصداقيّة؛ للاستفادة منها في الانتخابات التالية. وتجاوز انتخابات الرّابطة ليتعاون مع وزارة التنمية السياسيّة في تحليل نتائج الانتخابات البرلمانيّة.

النُّخَب والثقافة المدنيّة

حين أدار جمال ناجي "مركز إنتلجنسيا للدراسات السياسيّة والاقتصاديّة" خلال السنوات 1995-2004، كان معنيًّا بتمكين الهيئات والنُّخَب والشخصيّات التي تمتهن العمل الذهنيّ المُعقّد من أجل تحقيق أهدافها المتمثلة في محاولة إيجاد وتنمية طليعة ثقافيّة عربيّة مبدعة وعضويّة فاعلة في محيطها الاجتماعيّ، ساعيةً للانتشار، بهدف تعميم ثقافة عربيّة أصيلة، ولكنّها في الوقت نفسه حداثيّة منفتحة كل الانفتاح على الآخر، وعلى الثقافات الكونيّة ومنجزها الفكري والثقافي والإبداعي.

وكان مركزه مرجعًا لعدد من الوزارات السياديّة، والجامعات الرسميّة والخاصة، والمؤسسات الثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، بل كان جمال نفسه مستشارًا لوزير التنمية السياسيّة عند إنشاء الوزارة عام 2003، وفي العام نفسه كان عضوًا في لجنة سيناريوهات الأردن المستقبليّة للعام 2020 التي كانت تجتمع في الجمعيّة العلميّة الملكيّة.

وفي العام 2009 أسس جمال ناجي "المركز الثقافي العربي"، وترأسه لعدة سنوات، وأداره حتى العام 2017، واتّخذ منه ومن مجلة "أفكار" التي ترأس هيئة تحريرها منذ شباط 2017 وحتى وفاته بتاريخ 6/5/2018، منبرين يؤسّسان للدولة المدنيّة وقيَمها التي تعلي من شأن المواطنة، وتجعل من الجميع متساوين في الحقوق والمعاملة، بصرف النّظر عن انتماءاتهم الدينيّة ومرجعيّاتهم الفكريّة ■



عن جمال ناجي

محمد داودية/ الأردن

عَرَفْتُ جمال ناجي منذ قرابة أربعين عامًا، صديقًا، طيِّبًا وقورًا هادئًا، صديقًا وطنيًا عروبيًا تقدميًا وازنًا، كاتبًا مثابرًا متحرِّرًا من المُراوغة والمُراوحة بين الخَلق والاختلاق.

لم يكُن جمال مؤلِّفًا، فوصمُه بكلمة "التأليف" تنزع عنه ما توفّر عليه من إلهام وتُحيله الى "ميكانيكيّة المدوّن" وجفافه. كان ملهَمًا، خلّاقًا وابتكاريًا وذا عزم ودأب، متأنيًا أناة الصّائغ والنحّات. لم يكُن مُفرِطًا في طاقته التي هي طاقة محدودة، فكثّفها في أعمال حَمَلَت شكله وطبعه وموقفه التّقدُميّ الجليّ.

تمتدُّ تجربة صديقنا جمال على أكثر من أربعين عامًا، قدّم لنا خلالها ثماني روايات وثلاث مجموعات قصصيّة. فمنذ روايته الأولى "الطريق إلى بلحارث" عام 1977 وحتّى روايته الأخيرة "المخطوطة" عام 2018، قدّم لنا رواية كلّ خمسة أعوام في تعبيرٍ عن أناته. وذلك كما تعلمون تخميرٌ وتقطير.

هذا الودود المتأمِّلُ، كان إنسانًا رائقًا بعيدًا عن الصّخب غير مدوٍّ ولا مسوِّف.

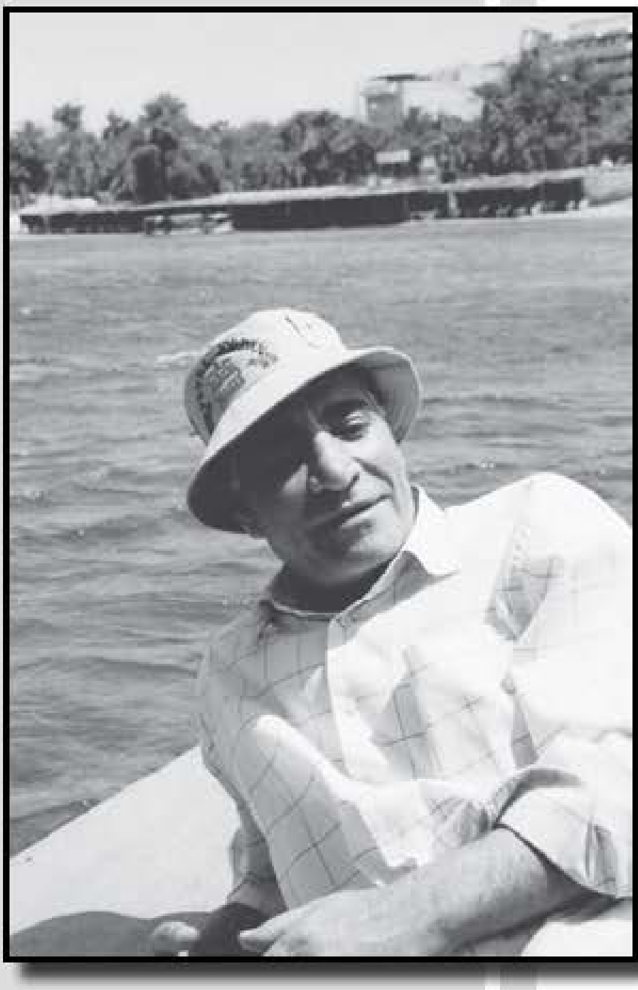
كان فيه عزوفٌ وترفُّع.

كان دقيقًا ومجدِّدًا ومِجدًّا في ما تعاملتُ معه فيه. عملنا معًا في تأسيس البنية الفكريّة والأخلاقيّة والوطنيّة والقيميّة لوزارة التّنمية السياسيّة عامي 2003 و2004. وكان مستشارًا يُستشار. قدّم للوزارة جملة من الآراء والأفكار والمقترحات السخيّة، التي مكّنتني من الحفاظ على وتائر جادّة وعلى منهجيّة عمل علميّة. وعلى إيقاعٍ متّزنٍ مستقلٍّ للوزارة، التي شهدت حربًا ضارية من يومها الأوّل.

لقد ظلّ جمال يَغْمر السّند النّزيه الموثوق في كلّ ما احتجتُه من قضايا، وخاصّة في طلبي رأيه والتمنّي عليه مراجعة "السيرة الروائيّة" التي أكتبها كل يوم أربعاء في صحيفة "الدستور".

وحين تولّى رئاسة تحرير مجلّة "أفكار" بثّ جمال فيها روح العصر والحداثة والثّقافة المدنيّة الضّروريّة.

نتحدّث عن الحياة الجميلة التي انحاز لها جمال، وانتصر على أعدائها في ما كَتَب.



أمّا الموت، فقد مسّه كالخَدَر والنُّعاس. وفي أمثالنا نقول عن الشّخص الوثير الكثير الوفير: "يِفوت فيك زيّ النّعْس". لقد فاتَ فينا جمال مثل النّعْس.

كان دافئًا كلّ عمره، وكان على عادته حينما سحبتُه من ثلّاجة مستشفى الأمير حمزة، قبّلتُ جبهَتَه فوجدتُه دافئًا، متأمّلًا، مندهشًا، صامتًا وحزينًا. وأظنّني لَمَحْتُه مرتاحًا.

كُنّا نتحدّث عنه، موسى الحوامدة وإبراهيم الطهراوي وعصام العوران وأنا في منزل موسى في الوقت نفسه الذي كان فيه، دون أنْ نَعي، يُكابد ويعبُر البرزخ إلى الأبديّة !!

لم يكرِّر جمال نفسه. ظلّ ينتقل صعودًا، إلى أن انتَقَلَ النّقلة الكبرى الأخيرة.

أرجو أنْ يتكرّر في المستقبل هذا الكاتب الفذّ العملاق، فقد خسرت الثّقافة الحداثيّة التقدميّة العربيّة أحد أبنائها المُخلصين ■

جمال ناجي..
أوراقكَ في ذاكرتِنا مورقة ومُزهرة

د. هند أبو الشعر/ الأردن

كُنْتُ في مطلع الثمانينيّات من القرن الماضي مسكونةً بعالم الرّواية، أقرأ بشهيّة أوّل اندفاع الإبداع في عروقي، وكنتُ قد بدأتُ مشواري السخيّ مع عالم القصّة القصيرة، وأحاول أن أنحت لنفسي مجرى الرّوح في الشّرايين، عندما سمعتُ عن رواية لشابّ اسمه "جمال ناجي"، أثناء زيارة لـ"عبدالله رضوان" و"يوسف ضمرة" لي في منزلي، لم أكُن قد سمعت باسمه من قبل، وكعادتي في ذلك الزّمن المتفتّح بحثتُ عن الرّواية، وكنتُ أقرأ في ذلك الزّمن لـ"جبرا إبراهيم جبرا" و"عبد الرحمن منيف" و"نجيب محفوظ"، ولكلّ الرّوائيين الغربيّين الذين تصلني ترجمات رواياتهم، وفي تلك الليلة الصيفيّة التي فتحتُ فيها الصّفحة الأولى من رواية "الطرق إلى بلحارث" لم أتوقّف عن القراءة وعن الإحساس بدهشة لا مثيل لها، لم أصدّق أبدًا أنّني أقرأ الرّواية الأولى لشابّ أردني.. تلبّستني شخصيّات "ظفرة" و"منصور" و"عماد"، كيف استطاع "جمال" أن يخلق الروح الوثّابة في "ظفرة"؟ كيف جعلها تتغلغل في خلايا العمل بهذه الرّوعة؟ وعرفتُ منذ تلك الليلة الصيفيّة وأنا أطوي آخر صفحات الرّواية أنْ "جمال ناجي" خُلق ليكون من الرّوائيّين الذين يحفرون في الرّوح والقلب والعقل معًا، وتمنّيتُ أن أعرفه.

في انتخابات رابطة الكُتّاب الأردنيّين قابلتُ "جمال"، كان شابًّا دمثًا وهادئًا وبهيّ الطّلعة، وعندما أخبرني بأنه درس الفنون الجميلة وأنه يحمل درجة الدبلوم في الفنون، عرفتُ سرّ توهُّج اللّون في ما يكتبه، وكنتُ يومها أنخرط في جماليّات الألوان مع أصدقائي "جماعة الفنّانين الشباب"، وعرفتُ من "جمال" أنه يعدُّ لرواية جديدة، وأنْ المكان بعيد عن "عسير"، وللحقّ، فقد أحسستُ أنْ فرحًا داخليًّا تيقّظ في روحي، كنتُ أحسُّ بأنْ الرّواية الأردنيّة بعيدة عن قلوبنا، وأنْ عمّان



تستطيع أن تكون بطلة الرّوايات بجدارة، وكنتُ أتناقش مع "عبدالله رضوان" و"يوسف ضمرة" في هذا الأمر، وأؤكد لهما أنّ الزّمن القادم للرّواية ستكون عمّان فيه هي البطلة التي تضمّ مزيجًا من الفسيفساء السكانيّة الحيّة، وبأنّ عمقها التاريخيّ يرشّحها لهذه البطولة، وكان "عبدالله" ينشغل بهذا الهمّ أيضًا، ولم أعُد أسمع عن "جمال ناجي"، مع أنّي عدتُ لقراءة "الطريق إلى بلحارث" مرّة أخرى، وبعد عامين أسرعت لشراء روايته الجديدة

"وقت" والتي حمّلت نكهة المخيّم الفلسطيني في الأردن في سنوات الخمسينيّات والستينيّات، كانت رواية "وقت" أكثر نضجًا في التّكنيك من "الطريق إلى بلحارث" لكن "الطريق إلى بلحارث" كانت أكثر حميميّة واندفاعًا، وتقابلنا من جديد في موسم الانتخابات، وكنتُ أجلس مع الصديقة "أمينة العدوان" عندما جاء "جمال"، وتبادلنا الحديث في زخم اجتماعات الرّابطة في جبل اللويبدة، عرفتُ منه أنه يعمل في الجهاز المصرفيّ، وعندما أبديتُ دهشتي من انتقاله من عالم الفنّ التشكيليّ إلى البنوك، قال لي بهدوئه المعروف:

- ربّما انتقَلَت شخصيّات البنوك إلى عالم الرّواية...!

وحفظتُ هذه العبارة، وأنا أتصوّر حاسّة الرّوائي المبدع التي تلتقط بالكاميرا الداخليّة الذكيّة ما يمكن من الشخصيّات، لتكون حصيلة قادمة

لزمنٍ روائيٍّ قادم.
يبدو أنَّ الكاميرا الداخليّة التي يحتفظ فيها "جمال" بالشخصيّات التي يعايشها بعالم البنوك والاقتصاد، كانت تخزّن في ذاكرتها ما تركَهُ لزمنٍ لاحق، لأنّه نَشَرَ روايته الثالثة عام 1988 لعالَم آخر لم يخطر بالبال، هو عالم الغجر..! عالم الغجر الذي حزن لأجله الشاعر الروسي العملاق "بوشكين" عندما قال بأسى: "يا للأسف لم يعُد هناك غجر يسيرون في الطُّرُقات بعرباتهم"، جعله "جمال" في روايته الثالثة "مخلّفات الزّوابع الأخيرة"، واستطاع أن يجعل شخصيّات (سبلو وبهّاج وهجير ونوفل وإسماعيل أبوحلّه) شخصيّات حيّة بتدفُّق حياة وأرواح الغجر، وهنا أحسستُ وأنا أقرأ الرّواية بأنَّ الشخصيّات تقود "جمال" وتتفلّت من قلمه بدلًا من أن يقودها هو بقلمه.. تمرّد الغجر على "جمال" وتوَّجته "مخلفات الزّوابع الأخيرة" روائيًّا له صوته وفلسفته في فنّ الرّواية، واتّضح أنه تملَّك قيادة عربة الرّواية باحتراف وتقنية مدروسة...!
لم نكن نتقابل في هذه المرحلة إلّا في مناسبات ثقافيّة محدودة، ولكن صورة "جمال" البهيّ الطّلعة والهادئ والدَّمث ظلّت تتكرَّر أمامي كلّما التقينا، وتحقَّق حدسه وهو يترك العمل المصرفيّ ويُصدر روايته الرابعة "الحياة على ذمَّة الموت" عام 1993 والرّواية الخامسة "ليلة الريش" في انتقال شخصيّات المال والاقتصاد وزمن العولمة من الكاميرا الداخليّة في ذاكرته إلى الورق، وأنا للحقّ لم أشعر بحبٍّ حقيقيٍّ لهذه الشخصيّات، وأحسستُ بأنَّ المدينة تقود "جمال"، وأنَّها ليست بحميميّة "الطريق إلى بلحارث" أو "مخلّفات الزّوابع الأخيرة"، وكان لديّ إحساسٌ بأنَّ "جمال ناجي" يخبِئ الدَّهشة الرِّوائيّة لروايته السادسة، وقد فعل، وأدهشنا عام 2008 بروايته "عندما تشيخ الذئاب" التي أوصلته إلى القائمة النهائيّة لجائزة "بوكر"، وهو ما كنّا نراهن عليه جدًّا آنذاك، واستمرَّت مسيرة "جمال" بالتطوُّر والتنوُّع في روايتيه السابعة "غريب النهر" وأخيرًا "موسم الحوريات" عام 2015، وكان منهمكًا عندها بقضايا المجتمع المدنيّ وتطوُّر فكر الإرهاب ودوْر الديمقراطيّة والمنظومات الاجتماعيّة والسياسيّة في حياتنا، وكان عندها قد تفرَّغ للكتابة، وانتقل ليعمل في "المركز الثقافي العربي" عام 2009.

جمال ناجي كما عرفتُه

في العام 2001، أقمنا في جامعة آل البيت "ملتقى الرّواية في الأردن" بالتَّعاون مع مجلة "البيان" وكنتُ رئيسة لتحريرها، وقد حشدنا فيه كلّ الفعاليّات في الأردن، وجاء "جمال" ليقدِّم شهادة في الملتقى، واغتنمتُ الفرصة وطلبتُ منه أن أجري معه حوارًا للعدد الجديد من مجلة "البيان"، وقد اخترتُ أن نلتقط له صورة عند لوحة جداريّة كبيرة عن القدس، لتكون الصورة الرَّئيسة للحوار، ثم التقطَ مصوِّر المجلّة صورة تجمعني بِـ"جمال" ونحن نتحاور، وأنا شخصيًّا أعتزُّ جدًّا بهذا الحوار الذي فتح لنا "جمال" فيه

قلبه، وكان عندها رئيسًا لتحرير مجلة "أوراق" التي تصدرها رابطة الكُتّاب الأردنيّين، ورئيسًا للرّابطة، وتحدّثنا عن المكان في الرّواية، وحريّة الشخصيّات ودوْر الكاتب في قيادتها أو تمرُّدها عليه، وتكنيك الرّواية في القرن الجديد، وتعدُّد الأصوات والزّمن الواقعيّ والزّمن الفنيّ والروائيّ والنفسيّ في رواياته.. كان "جمال" في شهادته وفي المقابلة معي يحمل روحًا طيّبة وعفيّة وصادقة، وأحسستُ عندها أنّ صداقةً حقيقيّةً تجمعني به، وهو ما بدأ بالفعل مع انتقاله للعمل في "المركز الثقافي العربي"؛ حيث كان يتّصل بي بشكل متكرّر كلّما كان لديه أسئلة أو أمور ثقافيّة، وكنّا نتبادل الأفكار ونتشاور، وكان يعتذر عن إطالة المكالمات التي كنتُ في بعضها أقود سيّارتي في طريقي من جامعة آل البيت، أو أثناء محاضراتي لأعتذر وأطلب منه أن نتهاتف ليلاً.. جمال الدّمث والمهذّب والرّقيق بحسّه ظلّت صورته لديّ هكذا حتى آخر أيامه، وستظلّ..!

رفاق في مجلة "أفكار"

ترافقنا معًا في هيئة تحرير مجلة "أفكار" في ظلّ رئاسة "د.أحمد ماضي"، وكان هذا الزّمن الجميل في لقاءاتنا في اجتماعات الهيئة يبعث الشّعادة في كلّ أعضائها، إلى أن تسلّمتُ رئاسة تحرير المجلّة، وكان "جمال" أيضًا من أعضاء الهيئة، في هذه الفترة توطّدت علاقتنا وأصبحت الاتّصالات بيننا متتابعة خارج حدود اجتماعاتنا لرسم خط سيْر المجلّة. كنتُ أشعر بأنّ لـ"جمال" اهتمامات فلسفيّة وفكريّة متميّزة، وأنه على استعداد لتقديم خبراته بشكل خاص، وكنّا نتشاور بتقديم ملفات وندوات خاصة، وكنتُ شخصيًّا أهاتفه لأستشيره في الشخصيّات التي نستكتبها في ملفّات الدولة المدنيّة والتحوُّلات السياسيّة والفكريّة وموضوع الإرهاب، كانت هذه الموضوعات تسيطر على "جمال" في هذه الفترة التي كان يصدر فيها روايته الثامنة "موسم الحوريات"، وأشهد هنا أنّني كنتُ أتبادل الأفكار معه بشكل خاص أكثر من كلّ أعضاء هيئة التحرير الذين تربطني بهم كلّهم علاقات مودة ومحبّة، لكن علاقتي بـ"جمال" كانت أوثق لأنّنا كُنّا نتهاتف خارج حدود اجتماعات الهيئة.

ومع أنّ رئاستي لهيئة تحرير مجلة "أفكار" أُنهيت بطريقة عجيبة، وبلا مقدّمات، حيث اجتهد معالي الوزير الجديد وعطوفة الأمين العام بأنّ عليهم "توفير" النّفقات في المجلة الثقافيّة والفكريّة الوحيدة في الوزارة آنذاك، فقاموا بتغيير رئيسة التحرير، ولم أتفهّم حتى اليوم معنى



هذا التَّغيير، إلّا أنَّ هذا لم يبدِّل من علاقتي بالهيئة، وقبلتُ أن أكتب للصفحة الأخيرة لأنَّ علاقتي بالمجلّة لا ترتبط بمسمّى، وظلّ "جمال" يتَّصل بي حتى تسلَّم هو رئاسة التَّحرير، وكنتُ أتابع لمساته على الأعداد، وأعرف أنه يملك طاقات إبداعيّة وجماليّة بسبب خلفيَّته الفنيّة في مجال الفن التشكيليّ، وروحه المبدعة في القصّة القصيرة والرِّواية، وكان يتَّصل بي ليطلب مني أن أكتب للمجلّة، ويؤكد لي أنَّ موقعي لديه استثنائيّ، وأنه يحتاج لقلمي في المجلّة، وعندما كان يقيم ندوات متخصِّصة في الحكومة المدنيّة والديمقراطيّة، كان يدعوني للحضور والمشاركة، ولم أتخلَّف عن مثل هذه اللقاءات التي كان "جمال" يقدِّم فيها أوراق عمل رئيسة للنِّقاش، بسبب ثراء الورقة وإثارتها للحوار.

قبل الرَّحيل بقليل

كان لدى "جمال" هاجسٌ بموضوع تطوير التَّعليم تقنيًّا، وقد اتَّصل بي ليستشيرني بشأن مشروع في هذا المحور يشارك فيه ابنه، وسألني عن رأيي في كيفيّة إدخال التَّعليم الإلكتروني للتَّعليم العالي لأنَّهُ قرأ لي مقالات في هذا الموضوع، واقترحتُ عليه أن يخصِّص في أفكار ملفًّا خاصًّا عن التَّعليم العالي، والتحوُّلات الكبيرة في العالم في مجال التَّعليم التقنيّ، وأعجَبَته الفكرة وقال لي:

- هذا ملفٌ أريدكِ أن تكتبي فيه.. اتَّفقنا..؟

واتَّفقنا، ولكن "جمال" عاود الاتِّصال بي مرّات بعدها، ليقول بإصرار:

- لديّ ملفّ عن القدس، ولا أسمح لكِ بأن تغيبي عنه.. اتركي موضوع التَّعليم الآن.. القدس.. لا يجوز لكِ أن تتهاوني في المشاركة بالعدد مهما كانت مشاغلكِ.

وكانت اتِّصالات جمال كرئيس للتَّحرير في موضوع العدد المخصَّص للقدس متتابعة، كان يريدني أن أكتب عن الوصاية الهاشميّة على المقدَّسات الإسلاميّة والمسيحيّة، وكنتُ قد أعددتُ موضوعًا آخر، يتناول بعض الوثائق التي نشرناها في الوثائق الهاشميّة عن القدس عام 1948، ووجدتُ بأنَّ الزَّمن الذي أعطاني إيّاه لإعداد الدِّراسة لم يكن في صالحي، فوعدتُه بأن أقدِّم الدِّراسة في عددٍ لاحقٍ وبشكلٍ موثَّق، لم يقتنع، ولكنه قال أخيرًا:

- طيِّب، دعينا نلتقي في الوزارة.

انتهَت المكالمة، وكانت آخر مرَّة أسمع فيها صوت "جمال"، كتبتُ له أعزّيه بوفاة شقيقه، وقرَّرتُ أن أزوره للتَّعزية، لكنَّ "جمال" لم ينتظر، لململَمَ أوراقه وانسحَبَ من عالمنا مثلما تمرُّ نسمة ربيع طيِّبة، هكذا وبلا مقدِّمات رحل..!

ماذا بقي من "جمال ناجي" الآن..؟

إنسانيَّته ودماثته وبهاء حضوره، بقيت شخصيّات رواياته وقصصه تتحرَّك وتفكِّر متجوِّلة بيننا في مخيَّمات عمّان وشوارعها ومؤسَّساتها، كلّنا نعرفها، تتنقَّل من "عسير" ومن خيام الغجر ومن أروقة الرّابطة وقاعات البنوك، تسير بيننا وتلوِّح لنا وكأنَّها تعرفنا واحدًا واحدًا.. ذهب جمال وبقيَت روحه تسكن عمّان بهيّةً ومشرقةً بلا انتهاء.. لروحه السَّلام الأبديّ وليكن ذكره مؤبَّدًا ■

جمال ناجي
يغسل يديه من طين الرّواية

موسى حوامدة/ الأردن

سَأضيفُ لهذا اللّيل ليلًا
وأقول يا جمال:
خُذ ما تبقّى لكَ من ضياء
ولا تتعجّل الرّحيلا
خُذ ما تبقّى لكَ من حلم
واشرب معنا الكأس الأخير
خذ ما تبقّى لكَ
من زهو وصَبابة
خذ وصايا أمّكَ
منديلَها الأبيض لتكتب في مأواكَ الجديد
ما لم تقُله في الكتابة.

توقّف قبل أن تغمض عينيكَ عنّا
تأمّل صورة المشهد الرّوائي البعيد
اعلُ في قبركَ
نشيدًا حُرًّا
لا يملّ من الأمل
ولا يفقد بوصلة الطّريق.

تعثّرنا في سهو أجدادنا وطيبتهم
فتحنا للغناء مجدَه القديم
باعَدَت بيننا الخطى ومساقط النّور
حَمَلْنا أوراقنا النّازفة
حَمَلْنا قبور أجدادِنا في صدورِنا
وما خفنا من الموت
ولا ارتَعَشَت قلوبنا من حملها الثّقيل.

تَلَفّتْ
قبل أن ترتدي بياض قلبكَ قميصًا ناصعًا.
تَلَفّتْ وابتسم
كعادتكَ الحلوة في دهشة الطّفل فيك
وفي تفريغِ الحقدِ من مراميه.

تَلَفّتْ وابتسم

ولن أطلبَ منكَ تلويحةَ الوداعِ الأخير
فلا تليق بصحبتنا المُباهاة
ولا يليق بروحِكَ التَّقليد.

كُنْتُ أهمسُ لكَ وأنا فوق لحدِكَ العميق
بلِّغ سلامي للَّذين تحبُّهم هناك
ولا تتلكَّأ في رحلة العَوْدة
ننتظرُ هُنا
أو تنتظرُنا هناك
ستكتملُ الرِّواية
ومِن حقِّكَ أنْ تتركَ النِّهايات قابلةً للتَّجديد.

هذه هي القصيدة الثّانية التي أكتبها بعد رحيل أحد الأصدقاء من الكُتّاب، كانت الأولى حين مات "محمد طمليه"، وكان عنوانها "حين يأتي الموت"، وهي منشورة في مجموعتي "موتى يجرون السماء"، جلستُ وجمال ناجي ليلة رحيل "محمد طمليه" صامتين. نَظَرَ جمال للبعيد، دمدم شاتمًا.. ثم قال: "يلعن... هذا ماااات"، كانت الجُمْلة بسيطة ومُختصرة، لكنَّها كانت من السُّخرية والعُمق بحيث طَوَت سيرة شقاء "طمليه"، وصراعه مع الحياة قبل المرض، وإنْ كانت تستنكر الموت الذي خطف "محمد" مبكرًا.
مَضَت سنوات، لم نعُد للحديث بعدَها عن موت "طمليه"، بل كُنّا نستذكر بعض قصص الرّاحل، وعالمه الذي صاغه من البيئة الفقيرة والمسحوقة التي عاشها في مخيَّم الحسين.
وها هو الموت، يجيء "جمال" هذه المرَّة، بلا مقدّمات، وبلا مرض عضال، أو معاناة طويلة، سبق أن أجرى بعض العمليّات الخفيفة للقلب، ووضع عدّة شبكيّات، ولكن دفعة واحدة، يضعف القلب، حين تأتيه الجلطة، فلا يتحمل قلبه، ويموت في الطوارئ، قبل أن أصل إليه حيًّا في مستشفى الأمير حمزة، صار الخبر حقيقية، فقد رحل جمال أيضًا، وشكَّل رحيله السَّريع صدمةً لكلِّ مَن عرفه، فقد مات شقيقه جمعة قبل أقلّ من شهرين، وطَلَبَ مني شخصيًّا أن يقيم له حفل تأبين في رابطة الكُتّاب، وكان له ما أراد، وقد قال لعدد من الأصدقاء: "أشعر أنَّني لن أعيشَ طويلًا بعد رحيل جمعة".
في عزاء شقيقه، التَصَقَ بي كثيرًا، وظلَّ يهاتفني كلّ يوم أو يومين، دون أن أفطن إلى شبهة التَّوديع في صوته، وذكَّرني في آخر مرَّة أنه يريد قصيدة جديدة لمجلّة "أفكار".

* * *

بدَأَت معرفتي بجمال رحمه الله، منذ بداية الثمانينات، كنتُ أتردَّد على رابطة الكُتّاب الأردنيّين، حينما كان مقرّها في شارع إبراهيم طوقان في جبل اللويبدة، بينما كنتُ ما أزال طالبًا في الجامعة الأردنيّة، وكانت الرّابطة تقدِّم الشاي والقهوة مجانًا، وفي إحدى المرات خرج المرحوم عبدالرحيم عمر متوترًا غاضبًا، من اجتماع للهيئة الإدارية، ولمّا وجدني أمسَكَ بي وقال: (راح يجلطني هال"جمال")، عبدالرحيم هو أيضًا أبو جمال، لكنَّهُ كان يقصد جمال ناجي، فقد كان عبدالرحيم رئيسًا للهيئة الإدارية بينما كان جمال

عضوًا فيها.
ضحكتُ يومها، وقلتُ لأبي حسين "عامل البوفيه": "يبدو أنَّ جمال ناجي عنيد، وليس إمَّعة، فهو يناقش ويحاور"، تمنَّيتُ لو كنتُ داخل الهيئة الإداريّة لأرى كيف يقوم جمال باستنزاف الرَّئيس، ويجبره على مسح حبّات العرق النّازفة عن جبينه.
قرأتُ أوَّل رواية لجمال ناجي وهي "الطريق إلى بلحارث"، شدَّني الغلاف أوَّلًا على بساطته، وتأكّدتُ وأنا أقرأ الرِّواية أنَّ هذا الكاتب ليس عاديًّا، فهو روائي مكتمل.
لم أقُل له ذلك، لم نتعوَّد أن نقول لبعضنا: "أحببتُ كتابكَ هذا، أو نصَّكَ أو قصّتك"، ولكن حين لا يعجبنا شيء لا نسكت.
أُغلِقَت رابطة الكتاب الأردنيين نهاية الثمانينات، وكان جمال يعمل في أحد المصارف، وينشط في نقابتها، وما إن عادت الرّابطة حتى عاد جمال لنشاطه الانتخابيّ فيها، وأسّس "التجمُّع الثقافي الديمقراطي" مع عدد من الزملاء، ولأنّ جمالًا كان قريبًا من كثير من الأعضاء، ويملك نفسًا طويلًا، وأعصابًا قويّة، نجح "التجمُّع" في جمع العديد من الأعضاء، وفي ترسيخ شكلٍ ما لتيّار ثقافي ديمقراطي، في انتخابات الرابطة.
وعلى الرّغم من كل الملاحظات على "التجمُّع"، استطاع أن يدير شؤون الرابطة في أكثر من دوْرة حتى تشكّل تيّار "القدس"، وصار التّنافس بينه وبين "التجمُّع" قويًّا وفاعلًا.
ظلَّ جمال في "التجمُّع" حتى لاحظ أنه خرج عن فكرته الأولى، فآثر الانسحاب بهدوء دون أن يثير ضجيجًا أو يفتعل انقسامًا فيه، وحين ترشَّحتُ في الانتخابات الأخيرة، كان يتَّصل باستمرار مشجِّعًا لي، على الرَّغم من أنَّني في تيار "القدس" المنافس التاريخيّ لِـ"التجمُّع".

* * *

في العام 2000، رُفعت ضدّي قضيّة الردّة، بسبب مجموعتي الشعرية "شجري أعلى"، ورفَضَت الهيئة الإداريّة القائمة في تلك السنة التّضامن معي، أو تبنّي الموضوع، لأسباب من بينها أنّ رئيس الهيئة ليس مسلمًا، ولا يريد أن يُحسب عليه ذلك التدخُّل في قضايا دينيّة.
وبعد سنتين من المحاكمات الشرعية الماراثونية، نجحت هيئة إدارية جديدة للدَّوْرة 2001/ 2002، وجاء جمال ناجي رئيسًا لها، وكانت قضيّتي مِن أولى القضايا التي تبنّاها، وذهب للمحكمة الشرعيّة، وعقد اتِّفاق هدنة، وقد طلب منّي فقط أن ألتزم بعدم مهاجمة القضاة الشرعيّين، لحين صدور قرار الحكم النهائيّ، وحين صدر القرار كان يتضمَّن براءتي من تهمة الردّة، وحمل قرار محكمة الاستئناف الشرعيّة مفهومًا عظيمًا حيث جاء فيه: "إنَّ الإيمان والكفر في الضَّمير، والضَّمير لا يكفر"، وكان جمال سعيدًا بانتهاء القضيّة وبهذا القرار. وقد أصدر وقتها بيانًا، نسب فيه الفضل للرّابطة، ولم أعترض، رغم دوْر الرّابطة المتأخِّر، لكنَّني كنتُ مرتاحًا لهذه النِّهاية، ولأنَّ الرّابطة أعلَنَت موقفًا ولو كان متأخِّرًا.
بعد ثلاثة أشهر، طلبتني المحكمة المدنيّة، فقد تبيَّن أنَّ وزارة الإعلام ممثَّلة بدائرة المطبوعات

والنَّشر، قد رفعت قضيّة جديدة ضدّي، بحجّة تغيير العنوان، وبعد عدة جلسات أصدر القاضي قرار براءتي من التُّهمة، لكنَّ الادِّعاء العام، رفض الحُكم، وتمَّت إعادتي إلى المحكمة من جديد، وخلال المحاكمة، تمَّ سؤالي عن قصائد جديدة، وحين قدَّمتُ أسماء نُقّاد وخبراء لكي تستعين بهم المحكمة لتقديم شهادات نقديّة حول مرامي بعض القصائد، اختار القاضي جمال ناجي لتقديم شهادة، وفي الجلسة التي حضرها جمال سأله القاضي عن معاني ومرامي بعض القصائد، فقال جمال بهدوء: "لا يمكن الحكم على القصائد بهذه السرعة، عليَّ أن أقرأ المجموعة كاملة"، واضطرَّ القاضي أن يوافق على طلبِه، ويعطيه النُّسخة الوحيدة الموجودة لديه، بضمان إعادتها، وبعد أن خرجنا من الجلسة قال لي ضاحكًا: "اسمَع الآن مصيركَ بيْن يديّ"، قلتُ: "بامكانكَ أن تسجنني"، قال: "سأكتب تقريرًا رسميًا"، وبالفعل كتب تقريرًا لصالحي، وقبلَتْه المحكمة، لكنَّها في النِّهاية صادرت المجموعة وحكمت عليّ بالحبس ثلاثة أشهر.

لكنَّ المرحوم قام بالدَّوْر المطلوب منه كمثقَّف وكرئيس للرّابطة، وبعد ذلك جَرَت انتخابات جديدة لم يتقدَّم فيها المرحوم للترشُّح ثانية، وظلَّ أمينًا للتجمُّع الثقافي، حتى غادر التجمُّع في وقت لاحق.

* * *

كثيرًا ما كُنّا نلتقي في بيته، أو في بيتي، أو في مناسبات متعدِّدة، وفي إحدى المرّات دعا سميح القاسم وسهرنا في بيته، وقام بعض الأصدقاء بإهداء سميح بعض كتبتهم التي تركها سميح في بيت جمال، وغادر دون أن يأخذها، فغضب المهدون، حتى تدخَّل جمال وقال: "هو طلب منّي أن أوصلها له في الفندق غدًا، فقد وعدتُه بإهدائه بعض كتبي".

* * *

كثيرة هي القصص والحكايات التي يمكن أن تُروى عن جمال، وحبِّه لأصدقائه وللحياة، وعن هدوئه واتِّزانه. وكان حين يبلور فكرة الرِّواية لديه، يسرُّ لبعض الأصدقاء بالخطوط العريضة، ويبدأ الكتابة، ويفضِّل لو اختار مكانًا منعزلًا، خاصة في عجلون، في فندق سلطي التل، ويبقى عدّة ليالٍ حتى يُنهي الرِّواية.

* * *

كان جمال روائيًّا بالفطرة، فهو صانع ماهر حين ينجز عمله، أتخيَّله يغسل يديه من طين الرِّواية التي أنجزها، ولا يترك أثر أصابع عليها، وربَّما لم يكتب كلّ ما يريد، فقد كان يفضِّل مسايرة الحياة، وكان متصالحًا مع المكان، وأخصُّ بالذِّكر عمّان التي كان يحبُّها، وكان معنيًّا بتحليل الحياة فيها وخاصّة الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

* * *

هذه كتابة سريعة، لا تفي الرّاحل حقّه، ولكنَّها تجيء كنوع من التَّعزية للنَّفس، على فقدان صديق عزيز كان له حضورٌ فاعلٌ، وقويّ، ففي كلّ المواقع التي عمل فيها، ترك بصمة واضحة، وأثرًا جليًّا ■

حين اختفى سفير "بلحارث"
في سهوب "وادي عبقر"

جمال القيسي/ الأردن

(1)

تَجْزِمُ سيرة جمال ناجي، وحياته التي لم تنتهِ بموته، أنه كان رجالًا عديدين في حلّة رجل يبدو وحيدًا وخالي الذّهن. أرواح ثلّة من المُبدعين حلّت في روح واحدة، محلّقة، وذات بأس وجَلَد، سيماؤها التفرُّد والتميُّز والإنجاز؛ حيث الأثر الذي تتركه روح جمال ناجي في الفكرة والمكان والزّمان والمجال والحقل والقطاع لا يتركها سواه، ينتهي منها ويمهرها توقيعًا، نجاحًا، إنجازًا، بصمةً، ويمضي إلى سواها.

في أواسط السبعينات (كان) مجرّد فتىً، غضّ العود، طريّ التّجربة، أودت به طريقه صوب مجاهل الصّحراء، مدرّسًا بائسًا، مثيرًا للشفقة ربّما، لكنْ لأنّهُ المبدع، لم ينطبق عليه القول"رضي من الغنيمة بالإياب"، بل عاد برواية "الطريق إلى بلحارث" سفيرًا عالميًّا لتلك البقعة المنسيّة من الكون، مقدّمًا أوراق اعتماده لملايين البشر من العرب، بالعربيّة، وبعد ترجمة الرّواية إلى الروسية، وصلت أوجاع بلحارث إلى ملايين الرّوس.

لم يمنحه أحد ذاك المنصب الإنسانيّ العظيم، والسّفارة المختلفة روحًا ونبضًا؛ بل وعيه ونقاؤه وتفرُّده هو ما أهّله ليكون مقاتلًا من طبقة الفرسان النّبلاء للدّفاع عن قِيَم الحقّ والخير والجمال، ولم يكُن معنيًّا -حينها- إلّا بمهمّته النّبيلة المتمثّلة في إيصال أنين الغربة والاغتراب ومدارات الألم إلى سمع الآفاق. ولم يكن يعبأ كثيرًا بأن تُطبع الرّواية بعلمه تسع مرّات، ودون علمه عشرات المرّات، وباستمرار ووتيرة متصاعدة على مدار أربعين عامًا تقريبًا.

ومن بعد تلك الرّواية، مضى متفرّدًا في بحر الإبداع، لا يغيب كثيرًا عنّا في كلّ رحلة حتى يأتينا بدرّة متلألئة يخطف ضوؤها القلوب قبل الأبصار.

(2)

نال جمال ناجي عن اقتدار واستحقاق ألقابًا إبداعيّة عديدة باهرة مبهرة، ومناصب ثقافيّة، واستشاريّة، وإعلاميّة، ونقابيّة، وإداريّة، وغيرها. لكنّ اللّقب الذي ظلّ يعتزّ به هو (الرّوائي)، وهو جَعَلَ من هذا اللّقب الشّاهق، متراسًا منيعًا، بينه وأيّ شيء آخر قد يشغله عن الرّواية!

رحل وهو وفيّ لها، فكان آخر بريد إلكتروني يرسله هو ملفّ روايته الأخيرة (ليلة الثلوج الأخيرة) وكانت آخر مكالماته الهاتفيّة مع الأصدقاء عن سحر الرّواية وأهميّتها في تشكيل الوعي، والتّأكيد على انتصار النّقاء على ما سواه.

وهو، إزاء ذاك الأسْر والوفاء والهيام لا يعرف الكلل. وعرفتُ من خلال قربي منه، كيف يقدّس الرّواية ويعتبرها مشروعًا جادًّا وكبيرًا، ومَشغلًا روحيًّا وإبداعيًّا؛ فإذا ما شَرَعَ في كتابة رواية، فإنّ دونها: التّعب والسّهر والبحث والتّنقيب والمُراجعة والتّحليل والقراءة المتأنّية الانتقائيّة الجادّة والمقارنة والاستشارة والنّبش والحفر والابتكار وأكثر.

كتابة الرّواية عند جمال ناجي عمليّة معقّدة ومنظّمة حدّ الوسواس، والزّمن لديه أهمّ من المكان، ويتعامل مع الزّمن بطريقة غير دارجة، لذا لا غرابة أنّه يحرص على إنشاء ثلاثة ملفّات جانبيّة للأزمان في الرّواية، يضعها على سطح المكتب وهي: ملفّ الزّمن التاريخي للرّواية، وملفّ الزّمن البيولوجي للشخصيّات، وملفّ الزّمن النّفسي للشخصيّات، (إضافة إلى ملفّات أخرى تضمّ البحوث والرّوابط والدّراسات والمعلومات



والأرقام والأسئلة.. وأشياء كثيرة).
لا يمكن أن يكتب دون أن يضع أو يحدِّد الخطوط الرَّئيسة في الملفّ الأوَّل (الزَّمن التاريخيّ) إذ يحدّد حسب طبيعة الرِّواية (تاريخيًّا) العصور والحقب والعقود والشُّهور والأيام والموافق لها من الأيام أحيانًا، وكذلك في ملفّ الزَّمن البيولوجي فإنَّه يحدِّد مبدئيًّا، سنة وشهر ويوم (وما يوافقه من أيام الأسبوع) لشخصيّات الرِّواية، وتاريخ الوفاة في حال موت الشخصيّة، أمّا ملفّ الزَّمن النفسيّ للشخصيّات فيكتب جمال ناجي فيه اسم الشخصيّة ويقابلها كلمات قصيرة كالرُّموز، بل هي رموز لا يفهمها أحد سواه.
يقول لصحيفة "الغد" الأردنيّة، ضمن حوار منشور في 7 شباط 2011: "لا أستطيع أسر الزَّمان أو احتواءه مثلًا، لكنَّني أستطيع التقاط المكان ولملمته وتكثيفه وتحويله إلى حضورٍ متكرِّر قابل للنَّفي والتَّغييب، أما الزمان فشيء مختلف تمامًا".
يتعامل جمال ناجي مع ساعات الكتابة بكثير من الاحترام والجديّة، وبأعلى درجات المهنيّة. يكتب صباحًا، في غالب الوقت، ويحدِّد لنفسه زمنًا نهائيًا لإتمام الرِّواية، ويشعر بقلق التأخُّر عن إتمام الجزء المطلوب منه، كما لو أنه مسؤول أمام مدير لا يتفهَّم ظروف الموظف والأعباء الأخرى الملقاة على عاتقه.
الرِّواية عالمه السحريّ، ووادي عبقر الذي يسير فيه مغمض العينين، مفتوح القلب، جاءنا منه بتسع روايات فاتنات عبقريّات كالخرافات!

الهدوء سمته الرَّئيسة في الكتابة، غير متشنِّج في طرح الأفكار والرُّؤى، ولا يفرض على القارئ رأيًا، ولا يسقط في فخّ المباشرة، ولم يقع منه -ولو في بداية انطلاقته- جرْم تقمُّص دوْر الخطيب، أو الواعظ، أو النّاصح، وغير ذلك ممّا يقع فيه قِطاع من الرِّوائيّين، فتلك ليست مهمّة الرِّوائي، فالرِّوائي يجعلكَ تستوعب ما يريد دون أن يحرِّك لسانًا إلّا بسحرِه، ألم ترَه كيف فتح باب الدِّراسات والنَّقد، عن روايته "غريب النهر" ودوْرها في تأطير شكل جديد للرِّواية الفلسطينيّة، كونها تناولت قضية فلسطين بطريقة حسيّة وإبداعيّة لا تمثّل فيها لدوْر الضحيّة.. و.. و... والكثير، في حين لم يلحظ إلّا القلائل أنَّ كلمة "فلسطين" لم ترِد على أيّ من صفحات الرِّواية الممتدَّة على 217 صفحة الصّادرة عن الدار العربيّة للعلوم/ ناشرون العام 2012.

(3)

لماذا جاء رحيل جمال ناجي كالصَّعقة، أو أشدّ هولًا على بعضنا؟
هل لأنَّهُ رحل فجأة؟ أم لأنَّهُ الرِّوائي النّادر الذي لا يتكرَّر بسهولة؟ أم لأنَّهُ من المبدعين الذين يوقعونكَ في حيرة حين تسأل نفسك: إبداعه أرقى أم أخلاقه؟
أعتقد أنَّ الافتراضات السابقة منفردة و/ أو مجتمعة لا تُجيب عن حقيقة تلك الصَّعقة! لأنه، في حسب معدَّل الأعمار، لا يحمل رحيل رجل في العقد السابع عنصر المفاجأة! بل ربَّما

هو متوقّع، حيث تناوبت على عضلة قلب (ذاك الرجل) المتاعب الجمّة منذ سنوات طويلة، وأجرى عملية القسطرة ثلاث مرات، وهو مسرف في التّدخين، ولا يمارس الرّياضة، ومسيّس ومدمن على تعاطي نشرات الأخبار، فما بالك، إن كان الموقع الجغرافي لرجل بتلك العادات والظروف، يقع في قلب الحروب والانهيارات الإنسانيّة التي تؤهّله للموت حتى لو كان معافى القلب، ويمارس الجري والرّماية والسّباحة وركوب الخيل، ولا يحتمل رائحة التّبغ!

وللتوصّل إلى تفسير حالة الصّدمة/ الصّعقة برحيل جمال ناجي، لا يسعفنا إضافة الحالة الصحيّة إلى الحديث والتذرّع بالقول: "لكن لا تنسَ أنّ الرّجُلَ الذي مات روائيٌّ فذّ، لا يشقّ له غبار سرد". لأنّ الإجابة سهلة تدلّ على نفسها تاريخيًّا: لقد رحل أدباء وروائيّون متميّزون في شرخ الشباب وميعة سنوات العمر، وأيضًا، لا يجيب عن سؤال الذّهول أنّ الرّاحل كان "الأخلاق الرّفيعة" لكنّها تسير على قدمين؛ لأنّ الأصل في الأدباء أن يتمثّلوا إبداعهم أخلاقًا سامية وسلوكًا رزينًا رصينًا.

للإجابة عن سرّ فجيعتنا في جمال ناجي، وتفسير ما وراء الذّهول في ملامح المشيّعين المحبّين، ولنطمئن أنفسنا بماء إجابة عن حقيقة طول أمد (حالة عدم التّصديق) أنه مات، أعتقد أنّ الصّعقة وقعَت: لأنّه جمال ناجي!

باختصار. صَعَقَ الرّاحلُ الجميع لأنّ الحقيقة من حيث الأحاسيس الصّادقة تقول إنّ كلّ واحد منّا لديه الكثير معه! وكلّ صديقة وصديق يحسّ أنّ له في قلبه الفسيح مكانة خاصّة. وهذه حقيقة. فلروحه المجد.

(4)

ما أزال أزعم أنّي أحتاج إلى زمن أكثر وأبعد من وقت غيري، كي أستطيع الكتابة عن جمال ناجي وبصيغة الماضي! فمنذ تلك الليلة التي أغمض فيها عينيه الطيّبتين، وأنا كلّما بدأتُ الكتابة له أو عنه إخالني أسمع ضحكته الصّافية تجلجل في سمعي، وأشعر أنه يشاركني الاستغراب والسخرية في أنه قد بدأ وقت الكتابة عنه!

لكن يبدو أنّ الأمر صحيح يا صاحبي؛ فقد كتَبَ معظم الأصدقاء عنكَ، وحتى (رماح) ابنتكَ وغاليتكَ، كتبت لمجلّة "أفكار" عنك! لذلك كتبتُ، فاعذرني يا صديقي. سأظلّ أشتاقكَ! ■



حقيقةٌ لا تحتاجُ إلى تفاصيل

رماح جمال ناجي/ الأردن

على الرّغم من صدق مُحاولاتِنا لاستحضار كلماتٍ توازي حجم الفقد الذي نشعر به، ستبقى أنتَ، يا والدي، عبقريَّ النصّ الذي تفوّقَت كلماته على كلِّ هذه المُحاولات.

سأفترضُ أنّكَ تقرأ هذه الكلمات، علّي أجد القوّة لمُواجهة تلك الحقيقة التي لن تفلَحَ في تغييبكَ عنّا، هذه الحقيقة تجرّعناها بلا تفاصيل، دون أن تزيد التّفاصيل من قدرتنا على استيعابها، إذ رحَلْتَ دون كلمة وداعٍ واحدة، وكأنّكَ حبكْتَ هذا الرّحيل المفاجئ الذي تشابَه مع النّهايات التي أحبَبْتَها لرواياتِكَ: مفاجِئة، محيِّرة، متمرِّدة.

ورغم مناكفاتكَ المُعلنة، وغير المُعلنة، لبعض تفاصيل الحياة وأقدارها، إلّا أنّكَ أحبَبْتَها، دون أن تخضَعَ لها، بل كنتَ قادرًا على تفكيك مفاهيمها المتعدِّدة وتحليلها ونثرها عبارات في كتاباتِكَ، أو شخصيّات في رواياتكَ وقصصك، فلم تكُن أعمالكَ بوّابة يهرب منها القارئ من أعباء الحياة ومتطلّباتها إلى عالمٍ خياليٍّ يخدِّرُ وطأتها، بل تضع القارئ وجهًا لوجه أمام حقيقة الحياة وتفاصيلها المتعدِّدة.

لكنّكَ، بحكمةٍ لم تفصْحْ عنها، أدركتَ أنّ هناك وجهًا آخر للحياة بعيدًا عن ضوضائها واضطراباتها، فكنتَ دائمًا تسألني، كما تسأل أمي وإخوتي، عن أخبارنا الأخرى، لتعيدَنا بهذا السُّؤال إلى ذواتِنا، متمرِّدًا على عالمٍ يبذل قصارى جهده لأن يُنسينا ذواتنا ويجعلنا نبدو كالآخرين: مُستهلَكين بانشغالاتنا. فكنتَ فينا الإنسان، الذي لم تُنسِه مؤامرات الحياة إهداء محبوبته، "أروى"، باقات الأزهار وكلمات الحُبّ المسطورة على كروت ذات أشكال وأحجام وألوان مختلفة في كلِّ عيد حُبٍّ

مضى على زواجكما الذي دام تسعةً وثلاثين عامًا، ولم تسمح لانشغالاتِكَ اللّامنتهية أن تحولَ دون بناء جسور ودٍّ ومعرفةٍ خاصّة مع كلٍّ من أبنائك الخمسة، فكُنّا، كما قُلتَ غير مرّة، أهمّ إنجازاتكَ، على الرّغم من أنّنا "أوغاد" على حدّ تعبيرك. وثمّ استطعتَ بناء جسور أخرى مع أحفادكَ الثلاثة، الذين ظنّوا أنّ وظيفة الجدّ تتمثّل في اثنتين: الحُبّ واللّعب، على أنّكَ أنكرتَ ذاك المثل القائل: "ما أغلى من الولد إلّا ولد الولد"، وقلتَ لي إنّهُ مِن مبالغات العرب، فشعرتُ حينها، وأنا أراكَ تلاعب أحفادكَ بحُبٍّ ومَرَح، بأنّني وإخوتي أوفر النّاس حظًّا لتربُّعنا على عرش قلبك، مع والدتنا، رغمًا عن "الأوغاد الجدد".

ونعلمُ أنّكَ في غنىً عن هذه الشّهادات، لكن اسمح لي، يا والدي، أن أكتبَ هذه الكلمات لأضع نفسي، الآن، أمام حقيقة الموت، التي، على خلاف حقيقة الحياة، لا تحتاج إلى تفاصيل. وتذكّرتُ أنّني قبل أكثر من عقدٍ من الزّمن، بعد إنهائي لرواية "النّخيل البرّي" لـ"ويليام فوكنر"، حدّثتكَ عن إعجابي بفكرة خلود "شارلوت" من خلال جسد محبوبها "هاري" بعد وفاتها من آلام المخاض، ونقلتُ لكَ شعوري حينها بأنّ ما يُقال عن أنّ كلّ ما يمكننا فعله في مواجهة موت أحبّائنا هو التّسليم لهذا الغياب، فهو ناقص وغير قادر على سبر أغوار حقيقة الموت التي، كما ذكرتُ، لا تحتاج إلى تفاصيل.

صغيرةً كنتُ حينها يا والدي، لم أتعدَّ العشرين من عمري، ولم أذُق طعم الفراق كي أراهن على تحدّيه، أو التّحايل عليه. وكان الاختبار أن أُبتَلى بغيابِكَ كي أعلم أنّ ما ظننتُه تحايلًا على الموت ما هو إلا تحايلٌ على النّفس من أجل مقاومة فكرة الفراق، وأيقنتُ بعدها أنّ هناك حقيقة أخرى أقوى من حقيقة الموت التي فَجَعَتْنا: حقيقة الحُبّ، التي، هي الأخرى، لا تحتاج إلى تفاصيل ■



جمال ناجي

في عيون الكُتّاب والمبدعين

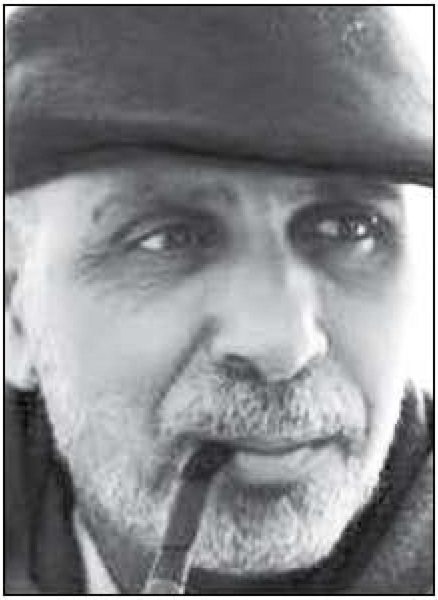


الدراسات والشهادات المقدّمة في هذا العدد لا تفي الراحل جمال ناجي حقه في ترسيم صورته أمام القارئ، وعليه، قمنا بمنح مساحة للعديد من الكاتبات والكُتاب اللذين عرفوا جمال ناجي صديقاً أو زميلاً أو مبدعاً، وتركنا لهم حرية القول؛ لتشكل كتاباتهم لوحة فسيفسائية تكشف عن مواقف وتفاصيل إنسانية وثقافية ونقابية عايشها هؤلاء. نقدم هذه اللوحة إلى القراء على أمل أن تضيء لهم جوانب من شخصية الروائي جمال ناجي.

مديرة التحرير

رحيل ناجي:
فجوة في ممرّات ومسالك الأصدقاء

أحمد الخطيب/ الأردن



لمْ أكَد أضع قدمي على ساحة العمل الثقافيّ، حتى تسلّل إلى جبّتي ناثرًا سرائر أنسجته في مدى ما أتطلّع إليه من عملٍ خلّاقٍ ومنتمٍ، ذلك كان مفتتح التهيّؤ الذي أورثني المصابرة أمام التحدّيات العميقة والهشّة!

أوصلني قطب الرّحى إليه، إلى جلسة كان فيها الرّوائي جمال ناجي واثقًا من صيرورة ما يقدّمه من رؤى ومقترحات ومعالجة الاختلافات، عسعستْ عليه السّمع، فوجدتُه لا يلي زاوية قبل أن يؤثّثها بكلّ ما من شأنه أن يوفّر لها الحيطة من تشكّلات المرآة وانعكاسها، لهذا كان يتحدّث بقلب الإنصات، ويُنصت بعين القلب.

وفي مقاربة الرُّؤى التي قدّمها للذاكرة الفرديّة بالنّسبة لي مع العمل الجمعيّ، وجدته واثقًا من توليف الممكن وغير الممكن في المسيرة التي قادها لعامَيْن في رابطة الكُتّاب الأردنيّين كرئيس يعي متطلّبات المرحلة: إمكانيّة الوصول إلى وسطيّة التّعامل والتّفاعل مع البنية المكانيّة للرّابطة كمؤسسة وطنيّة، وبين البنية التشكيليّة لهيئتها العامّة ذات التّجاذبات المختلفة والمُتباعدة حول بعض القضايا المطروحة ثقافيًا وسياسيًا، وجدتهُ قابضًا على الأصل منتميًا إليه، ومنفتحًا على الفرع ومحافظًا على حيويّته في إطار الاختلاف الذي لا يفسد للعمل طرائقه المتشعّبة.

أن تتحدّث عن الرّوائي ناجي، يعني أن تشرع الذات القادرة على التأسيس للحياة بتنوّع مجرياتها، ذلك ما فاض به المسلك السّرديّ في رواياته وقصصه التي قرأتها بعين المواءمة بين ناجي الإنسان المنتمي لمشروعه الوطنيّ والقوميّ والإنسانيّ، وبين ناجي المبدع الخلّاق الذي أسّس لفعل وفعاليّة تفاصيل التّفاصيل في بناء شخصيّاته الحيّة، لا خلاف بين الطّاقتين، فهُما على تماسٍ واحد، يقول ما يضعه في عين السّرد، ويسرد ما تختبره النّفْس التوّاقة للجمال.

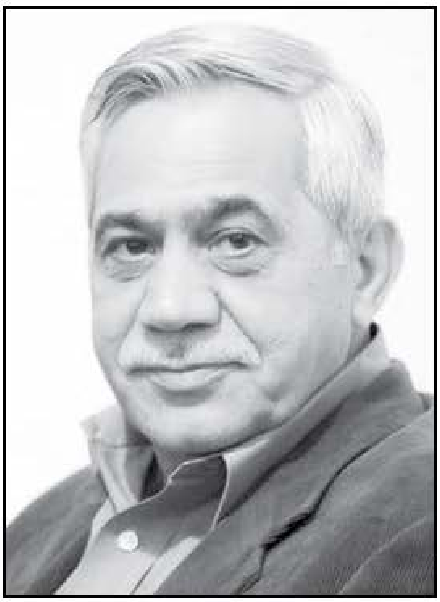
برحيله تتوقّف جملة الانتظار، انتظار ذلك النّسيج الذي كان يؤثّثه في علامات التّكوين الدّلاليّ للإنسان السّارد والسّارد الإنسان، برحيله تتلمّس دمعة تجري كنهر دافق من عيون مَن عرفه عن قُرب، أو قرأ له، أو أنصت لحديث

أصدقائه عنه ذات جلسة، تتلمّس تلك الدّمعة التي لا تهطلُ إلّا إذا أحدث الغياب فجوةً في ممرّات ومسالك الأصدقاء، وهو ما فعلهُ ناجي الذي ترك لنا بعد رحيله تلك الدّمعة والتي لا عزاء لها غير نبع الإبداع الصّافي الذي يتدفّق من قصصه ورواياته التي اختارت المكتبة لتكون في متناول اليد والقلب والذاكرة، ولَم تختَر رفوف المكتبة كباقي الكتب ■

"الفضائل" التي تراجَعَت

إلياس فركوح/ الأردن

لَيْسَ سهلًا الكتابة باختصار وتكثيف عن رجلٍ



عرفتُه قبل ما يزيد عن عقدين من السّنين. عرفتُه شخصًا يملكُ طموحًا يتجاوز الأدب، ماضيًا نحو العمل الثقافيّ والمؤسساتيّ: ثقافيًّا ومهنيًّا، كما جاورتُه كاتبًا لجنسين سرديَّيْن اشتركنا في الإضافة عليهما طوال الوقت، ومن خلالهما رُسِمَت ملامحنا داخل الوسط الثقافيّ.

حَسَنٌ؛ أقول إنَّ جمال ناجي كان "صديقًا" لي، بمعنىً من معاني الكلمة، نحترمُ بعضنا بأوسع من مجال المجاملة المتكلّفة الباردة، وأقلّ من مفهوم التّوافق والانسجام الحميم- وإنّي أعزو هذا إلى اختلافنا في مرامينا الأقصى.

جَمَعَتْنا مسألتان: الكتابة القصصيّة والروائيّة، والمرحلة التي راكمَ كلُّ واحدٍ منّا مجموعة نصوصه. وكان هذا يكفي لكثيرين لأن يروا فينا، ضمن آخرين، اسمين تضفّرهما حالةٌ ثقافيّة كانت "مزدهرة وواعدة" حينذاك.

احترمتُ، وما أزال، الجهدَ الذي بذله للخروج بقصصٍ وروايات مُحْكَمَة ذات معنى وأبعاد، وغبطتُه على التقاطاته لشخصيّاتها على تنوُّعها في الملامح، وتعدُّدها في المشارب والآراء. وإنْ دلّ هذا على أمر؛ فإنّما يدلُّ على كاتبٍ ضابط للعالم الذي يرسمه في المخيّلة، ومُنضبط حين يقوم بتدوينه نصًّا يتأفّف من "الزّوائد" ما أمكنه ذلك. كما أنّها ملاحظة تشير إلى تعدُّد "البيئات" الاجتماعيّة التي عايشها ورصده الواعي لها. ولعَمْري، إنّ هذه إحدى "الفضائل" التي تراجَعَت كلّما تقدّمَت وتكاثَرَت ما نعاينهُ اليوم من قصص بالعموم، وروايات بالخصوص ■

جمال الأديب والمثقّف العضويّ

جمال الخطيب/ الأردن

في التّسعينيّات تعرّفتُ إلى الرّاحل عن قُرب، وقد عرفتُه قبل ذلك التاريخ من خلال أعماله، فـ"الطريق الى بلحارث" و"وقت" وغيرهما دليل أدبيّ وثقافيّ لكلّ الباحثين عن الحريّة والديمقراطيّة، فهو من الأدباء الملهمين أمثال "عبدالرحمن منيف" و"الطيب صالح".

حين زارَني في مكتبي وكنّا ننظّم لأربعين الرّاحل شقيقه، قال لي إنّ شيئًا ما يجتاح صحّته، وهو يقاوم هذا الوهن الذي ينتابه، واتّفقنا على أن يخرج من روتين العمل المُعتاد لقضاء ثلاثة أيام خارج عمّان. حاولنا أن نخرج من جوّ المرض؛



وتحدّثنا عن رحلته إلى تركيا من خلال مقاربات رسَمَها تربط ما بين الحياة والسّلوك والوجوه بين عمّان وإستنبول، وتحدّثنا بهموم الثّقافة وإنجازات المركز الثقافي الذي أسّسه، وكان سعيدًا بالانتهاء من مشروع الثقافة المدنيّة الذي مثّل ثمرة للتّعاون البنّاء بين الوزارة والمركز في إطار التوجّهات الجادّة لنشر وتطوير الثقافة المجتمعيّة التي باتت من المتطلّبات الرّئيسة للتّنمية والاستقرار، وقال لي : "إنّ ثقافة السلوك المدنيّ تعني رفع سويّة الأداء العام، وإنّ عمليّات الإصلاح والتّطوير والتّنمية لا يُكتب لها النّجاح إلّا إذا قامت على بناءات ثقافيّة قادرة على حملها وضمان استمرارها، وإنّ إصدار سلسلة الثقافة المدنيّة (المواطنة، والمشاركة السياسيّة، ومدوّنة السّلوك المدنيّ) هي حجر أساس لِمَن يستكمل المشروع".

في الحديث مع جمال تجد أنّ جعبته مليئة بالأفكار. جمال من "الطريق إلى بلحارث" التي كشَفَت عن موهبة مبكرة، فـ"وقت" ثم "الحياة على ذمّة الموت"، ثم "ليلة الريش" و"عندما تشيخ الذئاب"، إلى "غريب النّهر"، لم يكُن يريد أن يهرِّب خطابًا سياسيًّا مُسبقًا فحسب، بل قدّم رؤية سرديّة عن معاني الحُبّ والحريّة والمصير والمعاناة والموت.. كلماته دالّة وذات معنى تخرج بعناية، إنّه مدرسة وتجربة وثروة افتقدناها في ذروة الأزمات التي تعصف، لم يتبقّ له من وقت لإنجاز مشروعه الثقافيّ وهو في قمّة عطائه. الحديث يطول حين نستذكر هذا الفارس الذي

كافح على أكثر من جبهة، لقد عملتُ الى جانبه في مركز "إنتلجنسيا"، وعملنا معًا في مشاريع المجتمع المدنيّ، وفي التجمُّع الديمقراطيّ وفي المركز الثقافيّ، وكان دومًا صاحب الفكرة الرّاشدة، والعقل النيّر، والكلمة الصادقة، وكان منسجمًا مع ذاته؛ وهذا ما أضاء ليله حين ينكبّ ليكتب أعماله الروائيّة مستوحيًا الفكرة، حتى في عمله المصرفيّ عَكَسَ الأزمات الاقتصاديّة والسياسيّة في "الحياة على ذمّة الموت" و"ليلة الرّيش".

إنّ المتتبِّع يلحظ قدرته على التّفريق بين أسلوبه الرّوائيّ والقصصيّ بشكل واضح بما يناسب كلّ نوع، وقد أخذ عليه بعضهم بأنه يخاطب النّخبة، ولا يمزج أعماله باللّون الشعبيّ، فالرمزيّة والتنقُّل بين المراحل والأمكنة والشخوص سمة لأعماله، أذكر منها روايته "عندما تشيخ الذئاب" حيث يتوقّف عند إفلاس اليسار العربيّ، وانفصال العديد من أتباعه عن مبادئهم، وهيمنة الفساد السياسيّ، وموجة التطرُّف التي تضرب جذورها أبعد في بنية المجتمع. نعم هو أدب يحمل جانبًا رمزيًّا، لكنّني أجزم أنّ الفكرة تصل إلى القارئ بسلاسة ■

جمال ناجي، الجامِع المُشْتَرَك

حسام عايش/الأردن

عاصَرتُ جمال ناجي صديقًا وزميلًا مصرفيًّا جَمَعَ القناعة بموقعه المصرفيّ، والإبداع في صناعته الرّوائيّة، والمهنيّة في صياغة مطالب زملائه من



أجل تحسين دخلهم من الوظيفة المصرفيّة في تلك المؤسّسة المصرفيّة العربيّة الكبيرة؛ التي لم يكن لديها تراث من المُطالبة بحقوق العاملين؛ لاعتقاد إدارتها أنّهم يملكون فائضًا منها بمجرّد العمل فيها.

فعايشتُه وهو يحاور زميلًا هنا، أو يناقش آخر هناك، أو يستمع لغاضبٍ يستعجل النّتائج لعدم تحقيق تقدُّم في جولات التّفاوض الأولى، فيُطَمْئِن، ويهدِّئ، مدوِّرًا الزّوايا بين المَطالب المتناقضة؛ ليصوغ منها فكرةً جامعةً يفاوض بها؛ وكأنّه قد أمسك بخيوط رواية تُبهج عقله وقلبه، وقد أضاف إليها هدوء نفسِه، وجمال لغتِه، وتصميمه على إنجاز المهمّة التي كانت بمقاييس ذلك الزّمن خطيرة بحدِّ ذاتها، فكيف بالتجرُّؤ على المطالبة بتغيير سياسات استقرّ عليها وجدان المؤسّسة وأضحت من أعرافها الرّاسخة، لكنّه تصرّف دائمًا كفارس نذر نفسه

للمهمّة؛ دون أن يساوره الشكّ بالنّجاح حتى في أحلك ساعات الشّعور بالضّعف المكبوت في مقارعة مؤسّسة هي الأكبر والأضخم، ومدجّجة بدعم السّلطة والمحامين والخبراء.

جمال ناجي، كان كمن يضع وظيفته على كفّه، أو "الحياة على ذمّة الموت"، وهو يتنقّل بين الإدارة العامة ونقابة المصارف في رحلة مكوكيّة بين طرفين هو جزء منهما، بحُكم الوظيفة وبحُكم الزّمالة، ليُنجز رواية نجاح لم تُكتب من قبل؛ مستذكرًا مهاتفته لي معلنًا الانتصار في ليلة – نتف- الرّيش..

رحم الله جمال ناجي، الذي كان رقيقًا لأنّ فيه الفنّان، وقويًّا لأنّ فيه الشجاعة، ومهذّبًا لأنّ فيه الثقافة، وعبقريًّا لأنّ فيه البساطة، وصديقًا لأنّ فيه الإنسان، ومُحبًّا لأنّ فيه الوفاء، فامتلَكَ تقدير كلّ مَن تزامَل وتعامَل معه، أو استمتع بقراءة إبداعه.

فله الرّحمة الأبديّة، وللثقافة من بعده بعامّة؛ والرّواية بخاصّة؛ خالص العزاء بترجُّل أحد أجمل مبدعيها ■

إلى الصّديق الكاتب والقاص جمال ناجي

د. حنان جميل هلسه/الأردن

فوجِئْتُ بخبر رحيلِكَ يا فارس الكلمة والقلم، ولكنّكَ لم ترحل، فكلماتكَ ما زالت موجودة معنا، وشخصكَ ما زال في الذاكرة مختزن، وكأنّني اليوم أقف إلى جانبكَ في "المركز الثقافي العربي" للتّحضير للنّدوات والمؤتمرات في القضيّة التي تبنّيناها معًا؛ نشر ثقافة المجتمع المدنيّ، وتعريف المجتمع بمعنى وماهيّة السّلوك المدنيّ، وقد ترسّخَتْ في مدوّنةٍ نُشِرَت ووُزِّعَت على هيئات وأفراد في المجتمع.

كُنتَ صديقًا يُعطي الدّعم النّفسي والفكري لزملائه وأصدقائه، أتذكّر كيف كنتَ تحثّني على البحث ونشر الفكر، وقد حمّلتَني هذه الرّسالة التي أعتزُّ بها، جَمَعَنا العمل العامّ، ولكنّني عرفتُكَ أكثر من خلال رواياتكَ الّتي عشتُ فيها، وحلّقتُ بكلماتها حفّزتني كي أحاول في الكتابة القصصيّة، وشجّعتَني عليها، ولكنّكَ تخلّيتَ عنّي ورحلت، فلا أحد سيستمع مثلكَ لأحاديثي عن تجربتي الشخصيّة الّتي عشتُها أثناء الدّراسة، وعن ثرائها وغناها بالأحداث الّتي رغبتُ بتوثيقها... أشعرُ أنّني بدأتُ أثرثر؛ لأنّني ما زالتُ غير مصدّقه لذهابِكَ السّريع الذي آلمني كثيرًا.



كَم كنتَ صادقًا في التّعامل مع الباحثين، فأنتَ أوّل مَن أعطاني مكافأة عن بحثٍ قدّمتُه في مؤتمر، وقد فوجئتُ بهذا السّلوك، لكنّه ليس بجديد عليكَ، فتاريخكَ في رئاسة رابطة الكُتّاب الأردنيين، وما قدّمتَ من إنجازات للكُتّاب تشهد عليك.

ليس لديّ ما أقوله فقد هرَبَت كلمات الرّثاء من الذاكرة، رافضةً واقع غيابك، لكن أعاهدك على إكمال المسيرة في ترسيخ أسس المجتمع المدنيّ والسّلوك المدنيّ في مجتمعي الأردنيّ، وحتى آخر لحظة في حياتي، وتلك رسالةٌ نبيلةٌ في مسعاها ومرماها؛ فهي كفيلة بصَوْن وحماية والوطن، وصناعة التّغيير في المجتمع نحو الحضارة والتمدُّن ■

جمال ناجي.. الأجمل في إنسانيّته

ذكريات حرب/ الأردن

يحدُثُ أن نُنقّش في الذّاكرة بتجاربنا الإنسانيّة اليوميّة ظلالٌ، ملامحٌ ما، كانت في ذاك اليوم بيننا، فنحاول استرجاعها بين حين وآخر.. فيجزُّ الحزن أرواحنا، عندما ندرك أنّ هذه الملامح لم تعُد هنا.. فقد أمسَت هناك، فارقتنا رغمًا عنّا وعنها، أو ربّما أحبّت أن تستريحَ بعيدًا عن موطنها في قلوبنا، لتزداد حرقتنا برحيلها.

جمال ناجي، بظلاله ما زال هنا، ورحيله ليس أكثر من استراحة لجسده وروحه المثقلة بالهموم السياسيّة والاجتماعيّة التي تلقي بتداعياتها على السّاحة الثقافيّة.



كانت لقاءاتُنا واتّصالاتنا المعدودة مليئة بأحاديث شتّى، ونقاشات كثيرة، ومحاولات لقراءة ما يحدث على جميع الأصعدة، وربّما أجملها عندما انتهيتُ من قراءة روايته "عندما تشيخ الذئاب" في أقلّ من ثمانٍ وأربعين ساعة، إذ سارعتُ في الاتّصال به، والتقينا بعد يومين في "المركز الثقافي العربي" لأكثر من ساعتين، مستمتعة بتجربته الروائيّة، مُستذكرًا تفاصيل شخصيّاته، وبناءها وفق تصاعد دراميّ ملموس في لغة حسيّة مشوّقة مكتنزة بحوارات عالية التقنيات، باختلاف رؤاها، وتعرية دواخلها، لتخرج أمامنا بتفاصيلها، بعيدة عن كلّ هالاتها وسطوتها، لتغدو كما هي حقيقيّة، بسيطة، ضعيفة، مُشكّلة انقلابات جذريّة بعيدة في ما هو مكرّس، أو مقدّس.

وما يميّز هذا العمل الرّوائيّ تبايُن مستوى ثقافة الأصوات التي لا نجدها في كثير من الأعمال التي اتّخذت هذه التقنية ركيزةً لأحداثها. ولا أخفي أنّ الحزن اعتراني لعدم فوزها بجائزة البوكر، على الرّغم من ترشُّحها في قائمة الرّوايات الستّ،

ممّا دفعني لأقرأ الرّواية التي حصدت الجائزة في 2009، لمقارنة لا بدّ منها، والتي كانت لصالح ناجي. وعندما أردتُ التّخفيف عنه، تبدّلت الأدوار بيننا.

في مجموعتي القصصيّة الأولى "سفر بلا غبار" التي اطّلع عليها قبل طباعتها، لم يبخل عليّ بوقته، ورؤيته النقديّة التي صدقًا كان لها الأثر الأكبر في إعادة النّظر ببعض القصص.

على الرّغم من قامته الروائيّة، إلّا أنّ إنسانيّته وأخلاقه كانت المحرّك الأوّل في تعامله مع الجميع ■

جمال ناجي

سحر ملص/ الأردن

موجعٌ هذ الفقد المفاجئ الذي يخطف مِنّا الأصدقاء تاركًا في قلوبنا لوعةً وحسرة، لأنّنا لم نتمكّن من وداعهم.. وآخر الرّاحلين جمال الذي فتح بوّابة الأرض ومضى لتحلّق روحه في السّماء.

كنتُ ألمحُ دائمًا في عينيه غربةً وقهرًا يحدّثان عن زمنٍ بعيد، يمتدُّ من وعورة الطّريق إلى بلحارث، وحتى آخر دمعة سقطَت على عتبة بوّابة القدس.. إذ أنّهُ الفنّان الذي صهرت روحه الحياة، فأطلق صرخةً تناثرت أصداؤها على رصيف الغربة، ليأخذ وعيه للحياة منحى آخر عبّر عنه في رواياته وقصصه التي غاصت في أعماق النّفس البشريّة، بكلّ خوابيها الخيّرة والشرّيرة وصراعاتها، ليعرّي الإنسان؛ يتحدّث عن فرحه وقهره، وكان مواكبًا لإيقاع الحياة يستقي أحداث رواياته ممّا يدور حوله؛ بدءًا بروايته "الطريق إلى بلحارث" ومكابدة العيش في الصحراء بحثًا عن لقمة العيش، وانتهاء بـ"موسم الحوريات" التي عكست صورة الواقع العربيّ بفوضاه السياسيّة وما جرى من أحداث.

في أواخر العام 2010 ترافقنا إلى مهرجان الرّواية العربيّة في "الرقّة"، فعرفتُه عن قرب أكثر، وعرفتُ أيّ روح عميقة يحملها، يومها وقف أمام قلعة جعبر متأمّلًا، كان الفرات يثرثر بحديثٍ يشبه هواجس "غريب النّهر".

يومها لم يخمّن أحد مِنّا كم ستنزف المدينة في ما بعد، وكيف ستغرق في الفتن والأحداث.

رحل جمال.. ميمّمًا وجهه شطر الضفّة الأخرى للحياة.. قارئًا مفرداتها،عارفًا للحقيقة قبلنا.. وكاشفًا كلّ الأسرار، حلّقت روحه في رحاب الأبديّة، لكنه ترك لنا إرثًا وبصمةً لا تُنسى.

وداعًا جمال ولتغفو روحكَ بسلام في كنف الله ■



جمال... نَجَا مِن الحياة

سهام أبو عواد/ فلسطين

الاسمُ، ملمحٌ آخر يُفضي إلى فَضْح المطمور، يشدُّكَ صوتُ فكرة افتعال الأسماء التي غالبًا ما تحمل صفات حامليها، فعن أيِّ جمالٍ يختبأُ هذا النّاجي الذي نَجا مِن كلِّ شيء.. إلّا الموت!



جمال ناجي، حيّرنا عند غيابِه، كما فعل في حياته الّتي بدأها في عقبة جبر في فلسطين، وانتهَت به بين براثن الإسعاف في العاصمة المطمئنّة عمّان! درَس الفنون الجميلة، ولم يشأ أن يكون أسيرًا لها، فتنقّل بين عديد المراكز الإداريّة، ولم يغفل عن ريِّ بذرة العشق الأولى للكتابة، لذا حين استلَّ قلمه مِن جراب الضّوضاء؛ راح يؤنِّث للرّواية/ روايته بنَفَسٍ احتراقٍ، وكأنَّه يخشى خسارة حريه أمام الحياة. تسلّح برصيد أدبيٍّ كافٍ ليبلغ ما بلغ حتى بعد رحيله، وتعيدني عتبة روايته "عندما تشيخ الذئاب" نحو القول: إنَّ جمال ناجي أدرَكَ معنى أن تترك إرثًا لا ينضب، لينوبَ عنكَ في غيابك.

لا يكفي أن تكونَ مبدعًا لتسكن بيت الخالدين، إنّما عليكَ أن تُجيدَ الحياة بقدر ما فعل جمال ناجي الذي غادرنا وهو يجمع مِن الصفات ما يفوق فكرة الرّاوي والمُبدع ■

ورحل...غريب النّهر

عمر أبو الهيجاء/ الأردن

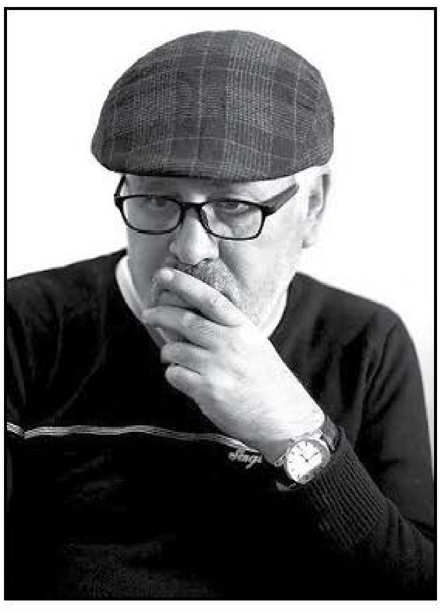
مساء الأحد 6-5-2018 كانت أصابع الموت تتسلّل إلى جسدكَ الذي ما زال يسكنه غبار الرّحيل.. رحيلكَ الأوّل عن بيتكَ في "عقبة جبر".. أصابع الموت أخذتكَ ولم تترك لنا غير "مخلّفات زوابعكَ الأخيرة"، لم تكن "رجلًا خالي الذهن"، كنتَ بكامل أناقة روحك.. تفرد ذراعيكَ مستقبلًا هذا الزّائر الذي فرد أجنحته على روحكَ، ليرحل بكَ بعيدًا إلى برزخكَ العالي.

ها أنا الآن أمرِّرُ يدي على أغلفة كتبكَ التي لم تشِخ بعدُ.. كما تشيخ الذئاب، قلتَ لي ذات رحلة: "نحن نمرُّ سريعًا على هذا الكوكب، نتجادل مع الحياة وأحلامنا التي ما زالت معلّقة في أرواحنا.."، قلتَ: "لا تترك القلم يجفّ بين أصابعك.. ودَع روحكَ تبلّله لتخطّ قصائدكَ على جدران مخيّمك الإربديّ.. قصائد محبّرة بالدم الأرجوانيّ".

وكعادتكَ أيقنتَ بأنّكَ الشاعر الذي أخذه السّرد الرّوائيّ والقصصيّ.. إلى فضاءاته الأرحب، فعزفتَ على جراحنا، فكانت طريقكَ طويلة إلى بلحارث، وكانت "وقت"، التي رسَمَت معاناة شعبكَ الفلسطينيّ وشتاته.. شتات الأرواح على حلبة هذا الكون الذي تسكنه الذئاب الكثيرة.

لم يبقَ لنا بعد رحيلك غير محطّات الذكريات.. أتذكَّر يا صديقي في أحد اجتماعات الهيئة الإداريّة حين كنتَ رئيسًا للرّابطة، وكنتُ أعملُ سكرتيرًا تنفيذيًّا في الفترة الصباحيّة، قلتَ لي: "إنَّ الزّميل محمد المشايخ لن يحضر الاجتماع، وأنتَ تنوب عنه لكتابة محضر الاجتماع". كم كنتَ شفّافًا وأنيقًا وديمقراطيًّا مع زملائك في الهيئة الإداريّة، كنتَ نقابيًّا مهمًّا في تسيير أمور الرّابطة التي يشهد عليها معظم الأعضاء.. حينها اقترحتَ بأنَّ الرابطة سوف تقوم بدفع مكافآت لأعضائها المشاركين في ندواتها.. ولو مبلغًا بسيطًا، وكذلك دفْع مبلغ لأعضاء لجنة تحكيم طلبات الانتساب للرّابطة.. ونُفِّذ القرار. كانت لكَ رؤية ثاقبة يا "غريب النهر"، في مثل هذه القرارات الصائبة لتحدَّ من إشكاليّة العضويّة، وكان شعوركَ إنسانيًّا بدفع المكافآت للمشاركين بالنَّدوات.. كنتَ على يقين تمامًا بأنَّ بعض أعضاء الرابطة لا يملكون بدل المُواصلات للحضور أو المُشاركة.. كنتَ أخًا وصديقًا حميمًا للجميع..

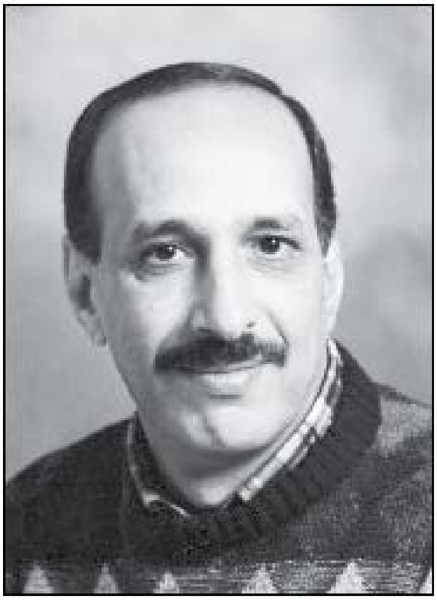
جمال ناجي أيُّها الباقي فينا.. أيُّها الصَّديق الأقرب إلى الرُّوح والقلب نَم الآن ودَعْنا نقلِّب ثلوجكَ في ليلتها الأخيرة، نَم الآن يا صديقي.. نَم الآن بملء حروفكَ المضيئة في ترابك/ ترابنا المبلَّل بماء الخلود ■



رحيل جمال ناجي خسارة كبيرة

عواد علي/ العراق

رَحيلُ الصَّديق الرِّوائي جمال ناجي لم يكُن خسارةً كبيرةً للأسرة الثقافيّة الأردنيّة وحدها، بل للأسرة الثقافيّة العربيّة برمّتها، وقد أعادت هذه الخسارة إلى ذهني خسارتنا المماثلة برحيل الرِّوائي مؤنس الرزّاز، لا سيّما أنّ جمال ناجي كان في ذروة عطائه الإبداعيّ، ومثقفًا مهمومًا إلى حدٍّ بعيدٍ بقضايا أمّته، المصيريّة منها والمرحليّة، وفي مقدّمتها القضيّة الفلسطينيّة، وبالتحوُّلات السياسيّة والفكريّة والاجتماعيّة التي تشهدها الجغرافيا العربيّة، والتحدِّيات التي تواجهها هذه الجغرافية من أطماع استعماريّة، واستراتيجيّات عولميّة ذات طابع اقتصاديّ وثقافيّ تستهدف



الهيمنة عليها، ومحو هويّتها.
وقد جسّد ذلك في العديد من أعماله الروائية ومقالاته، ففي روايته "وقت"(1984) سَرَدَ معاناة أبناء المخيّمات الفلسطينيّة، واستنطق أحلامهم في العودة إلى بلداتهم وقراهم التي احتلّها الصّهاينة وهجّروهم منها عامي 1948 و1967.
وعاد إلى القضيّة الفلسطينيّة مرّة أخرى بعد ربع قرن في روايته "غريب النهر"(2011) ليكتب عن مراحل نضال الشعب الفلسطيني، برؤية أكثر نضجًا، وبأسلوب سردي أعمق. وشكّلت روايته "الحياة على ذمة الموت"(1993) مقدمةً للدُّخول إلى موضوعة العولمة من خلال الاقتصاد، ثم استكملها في روايته "ليلة الريش"(2004)، التي أدار أحداثها في الأوساط الماليّة والاقتصاديّة من منظور نقد سلبيّات العولمة، وقرَعَ فيها جرس الإنذار لينبّه إلى خطورة العولمة المتوحشة.

ولعلّ أخطر رواياته هي "عندما تشيخ الذئاب"(2008)، فقد سَرَدَ فيها كارثة الانهيارات الكبرى التي أصابت بلداننا، ووظّف، على نحو مبدع، تقنية "البوليفونية" (تعدُّد الأصوات). وأتذكّر أنّ الرّاحل أرسل لي مخطوطتها بالبريد الإلكتروني، قبل نشرها بشهرين أو ثلاثة، لأبدي رأيًا فيها، فقرأتُها بحرص شديد، وشدّتني إليها براعته في فضح هيمنة الفساد السياسي، وموجة التطرّف التي تضرب البنية المجتمعيّة، ونبش العالم السفليّ المعتم لمدينة عمّان. ودوّنتُ في حينها ملاحظاتي عن الرّواية، ولمّا التقينا في بيتي جرى بيننا نقاش مثمر، خاصةً أنّني كنتُ قد انتهيتُ قبله من كتابة روايتي "حليب المارينز" الّتي وظّفتُ فيها التقنية نفسها. وقد أخبرني في ما بعد أنه أفاد من ذلك النّقاش عندما أعاد كتابة بعض فصول الرّواية ■

جمال ناجي... ابتسامة تملأ المكان طمأنينة

غسان تهتمون / الأردن

رُبّما لسوء حظّي، لم تسعفني الأيام ومحاسن الصُّدف أن ألتقي بالرّاحل كما يجب..
في الذاكرة القريبة- البعيدة وأعمارنا تدبّ على الأرض رويدًا رويدًا التقيتُ به في الفترة التي سبقت انتخابات رابطة الكُتّاب الأردنيّين (دورة 2001).. كان هو ومجموعة من الأصدقاء قاب وقت أو أقلّ لوضع الأحرف الأولى لـ"التجمُّع الديمقراطيّ الثقافيّ"، حينذاك رأيتُ فيه الإنسان



الوفيّ المُثابر الأمين على فكرته..
ابتسامة خفيفة وإطراقة للرَّأس تكفي ليملأ المكان طمأنينةً وهدوءًا.. كان هذا دأبه وهو يعالج الاختلاف كلّما عَلا هنا أو هناك..
الحق يُقال: كان بارعًا في استدراج القلوب نحو فخاخِه وهو على مقربة مِنّا يرتِّب الجُمَل والكلمات دون فيضٍ أو نقصان...
الحقُّ يُقال.
ليس مِن السُّهولة بمكان العثور على شخص يتَّسم بهذه الصفات جميعها..حظٌّ باذخٌ من الأدب، وروعته، إلى جانب علوّ كعبِه في العمل النقابيّ والاجتماعيّ بمختلف مسمّياته..
إنْ كان من المحال استعادة كلّ شيء، فإنَّهُ من المحال أيضًا أن لا نتذكَّر أيّ شيء.. وقالوا في ما مضى إنّ حَدَثًا عابرًا أو ورقةً صغيرةً أو خطًّا مائلًا تحت سطر موغل في القِدَم يكون سببًا لجعل الذّاكرة ناصعة كالمطر...
في أكثر من التفاتة طيِّبة لمستُ في شخصه الوحدة العضويّة بين كونه كاتبًا وإنسانًا له طقوسه الاجتماعيّة الأخرى... وعلى ذلك شواهد كثيرة، أذكر منها يوم اصطحبنا ومجموعة من الأعزّاء لزيارة الصديق الرّاحل محمد أبوزبيد.
وأخيرًا وليس آخرًا، هل تصدُق فينا صرخة الشاعر الراحل محمود درويش: "يحبّونني ميتًا" ■

جمال ناجي: أحلام بلا نهاية

محمد العامري/الأردن

أن تكتُبَ عن راحلٍ، يعني عليكَ أن تكون أصدق ممّا ينبغي؛ كوننا نخونه في السَّرد عن أحداث معه ربّما لم تحدث، لكنّني كعادتي لا أحبُّ التَّمظهر في مرآة صديقي الرّاحل سوى أنّني أحاول أن أذكر ما يمكن الحديث عنه في سياق الأدب بعيدًا عن العلاقات الخاصة، وأقصد هنا بـ"الأدب" ما يخصّ انشغالات المثقَّف تجاه وجوده الإنسانيّ.
لقد حلم جمال ناجي في كلِّ أيّامه بمجتمع مدنيٍّ يحقِّق ارتفاع سويّة السُّلوك الإنسانيّ الذي يقودنا إلى الانتظام في ما يخصّ الأنظمة والقوانين بعيدًا عن غبن المحسوبيّات الفاسدة، لكنّنا إبان تأسيس "التيّار الديمقراطي الثقافي" كُنّا نناقش إمكانيّات ذلك في مجتمعات لم تزل ترزح تحت وطاة العشائريّة والجهويّات غير الفاعلة في مستقبل الأردن، كنتُ متشائمًا وكان جمال أكثر تفاؤلًا منّي في هذا الجانب، وقال لي: "سنحاول



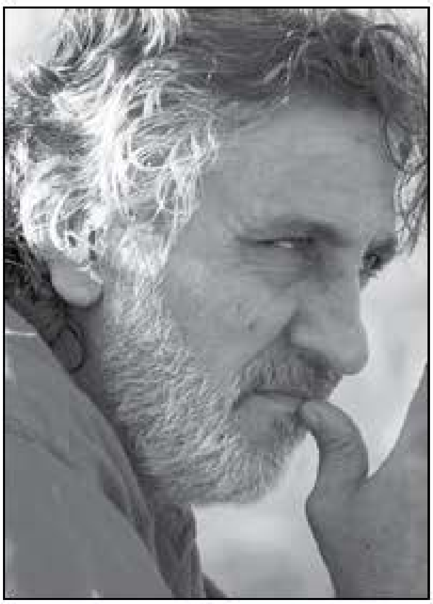
قدر المستطاع كمثقفين نحمل رسالة خلّاقة".
مضينا في ذلك وقد خضنا أكثر من دوْرة انتخابيّة تحت الشعار الديمقراطيّ الثقافيّ، ونجحنا لأكثر من دوْرة في انتخابات رابطة الكُتّاب الأردنيّين، وبقينا نحلم بذلك عبْر مواقعنا في المجلّات والمؤسّسات الثقافيّة.
رحل جمال ناجي وفي يده وردة الحلم، ربّما تتحقّق تلك الأحلام التي تجمعنا على الاستحقاقات التي تخدم الفعل المدنيّ ■

"باص" جمال ناجي

محمد جميل خضر/الأردن

واثقٌ أنّ أصدقاء جمال ناجي، وكذا النقّاد والدّارسين، لن يتركوا زاوية من الزّوايا المتعلّقة بمكانته الرّوائيّة، ومنجزه الإبداعيّ، إلّا وتناولوها بالبحث والتّقليب والتّنقيب.

بالنّسبة لي فإنّ المساحة التي سأنفذ من خلالها إلى صديقي هي صوته، نعم بالتّمام والكمال صوته الـ"باص" العميق المؤثّر. فمفردة "باص" في مستهلّ عنواني ليس المقصود منها حافلة الركّاب، بل هو تعريف غير علميّ (تقريبًا) للصّوت العميق المرتكز إلى أدنى أجزاء الهارموني، أو ما يسمّونه، إلى ذلك، القرار (القرار، وجواب القرار، متوالية موسيقيّة).
وعلى الرّغم من أنّ طبقة الـ"باص" هي أخفض طبقة صوتيّة على الإطلاق، وهي تتراوح بين E2 إلى E4 (علامة مي من الأوكتاف الثاني إلى علامة مي من الأوكتاف الرّابع)، إلّا أنّ تأثيرها، بحسب معظم الدّراسات، حاسمًا وبليغًا وعميقًا بعمق الصّوت نفسه.
في مطلع ثمانينيّات القرن الماضي، كانت المرّة الأولى التي أسمع فيها صوت جمال، التقينا في نقابة العاملين في المصارف على هامش توقيعه روايته الأولى "الطريق إلى بلحارث".



سرقني الصّوت من محيطنا معًا (رفاق وأصدقاء وبعض المعنيّين بالإبداع والأدب)، شدّني إليه وأنا في أوّل العشرين، تمامًا كما شدّني إليه وأنا عند أبواب العقد الخامس، أسمع الصّوت وأستمتع به في لقاءاتنا الأسريّة الخاصّة. بهدوء أخّاذ يسرق بريق صوت مطربين مشهود لهم في تلك السّهرات، ويجمعنا كلّنا حول صوته الآسر.

واليوم، لا ينفصل حنيني إليكَ يا صديقي، عن صدى صوتك يلمُّ شتات حيرتي حول أحجية الحياة ولغز الموت. أستعيدكَ كُلّك بإشراقكَ وحضوركَ ونحن نردِّد بعدكَ في مسرّات الزّمان البعيد: "شو ما قلّك سنفرلو... شو ما جبلّك سنفرله." ■

وتخلّى الغصنُ عن حبّةِ اللّوزِ الطّريّة

مخلد بركات/ الأردن

في بداية الثمانينيّات، على ما أذكر، كنتُ أتابع الشّاشة الصّغيرة، بالأبيض والأسود، فتى ريفيًّا في الثالث الإعداديّ، في قريةٍ تحاصرها الأودية وصراخ بنات آوى قبيل الفجر، فإذا برجلٍ حليق بهيّ الطلّة، يناقشه المُذيع في إصدارٍ روائيّ له: "الطريق إلى بلحارث"، وشدّني الحوار إلى حدّ أنّني بدأتُ وقتها أعشق الإبداع، وأتمنّى أن أكونَ روائيًا.

وعندما دلفتُ مكتبة الجامعة الأردنيّة طالبًا مستجدًا، استيقظَت بداخلي "الطريق إلى بلحارث"، التي دار حولها نقاش قديم، في برنامج تلفزيونيّ لا أذكر اسمه، أو اسم مقدّمه، وبحثتُ عنها بين رفوف المكتبة، وعندما عدتُ إلى قرية تحاصرها الأودية، قرأتُها على مهل، حرفًا حرفًا، فاكتشفتُ نكهة الحريّة مبكرًا، والتمرُّد على قسوة المكان، وتفسُّخ جثّة الغريب في الصّحراء الطّاردة.



وظلّ جمال -رحمه الله- منذ تلك الفترة صديقًا غير مرئيّ، كأنّما أجالسه في مخيّلتي، عندما كنتُ أقرأ روايته "مخلفات الزّوابع الأخيرة"، ثم "الحياة على ذمّة الموت" تحت سرو الجامعة الأردنيّة.

وفي مطلع الألفيّة الثالثة كانت دهشتي بالغة حينما التقيتُ به لأوّل مرّة في رابطة الكُتّاب الأردنيّين، في مبناها القديم، على سفح جبل اللويبدة، الوجه الحليق ذاته، والعينان الجميلتان، وكاريزما الأدباء الكبار... ومن يومها صار صديقًا مرئيًا وقريبًا من نبض الحكاية.

جمال ناجي متنوِّع الدّلالة، والإبهار، بحسِّه

الإنسانيّ العالي، في داخله مصفوفات من السرديّات، كان ينحت فيها كلّ حين، ليُخرِجَ تماثيله الأنيقة، ورقيّةً، لاذعةً، كأنّما هو فسيفساء غير مرئيّة، من المدن، المخيّم الفلسطيني، الشّتات، الخبرة المصرفيّة، وعبقريّة الوعي التي مكّنته من تفكيك العولمة وموجات التطرُّف، والتحوُّلات السياسيّة والاقتصاديّة المُربكة للإنسان، رصَدَها في "ليلة الرّيش"، و"عندما تشيخ الذئاب"، و"موسم الحوريات".

لكنّها حبّة اللّوز الطريّة، تخلّى عنها الغصن، فسقَطَت إلى ملوحة الأرض، مبشّرة بميلاد حقلٍ ممتدٍّ مِن اللّون، ربّما نراه من بعيد ■

جمال ناجي.. حضورٌ يزيدُ الجمالَ، جمالًا!

مفلح العدوان/ الأردن

لا تَحْتَمِلُ الذّاكرة هذا الزّخم الذي ينثال من خلالها حين يكون العنوان صديقًا مبدعًا مثل جمال ناجي، وتكون الكتابةُ جمْرَ عاطفةٍ وصُوَرًا متداخلةً لمواقف وأحاديث ونقاشات وآراء وكتابات، كلّها تتمحور حول الغائب الحاضر، خاصّة وأنّ هذا الاشتباك الإيجابيّ الذي كان يمثّله جمال ناجي بين الإبداعيّ والثّقافيّ، بين الثّقافيّ والسّياسيّ، بين الموقف المبدئيّ والحسّ الإنسانيّ، هُنا، وهُنا فقط، يكون لاستعادةِ كلّ ما كان مذاقٌ آخر، ليس حزنًا، ليس فقدًا، ليس شجنًا، هو مزيجٌ بينها، وعليها يُضاف هذا الإكبار والتّقدير والاستحضار لتفاصيل بعضها مرصودة



في أروقة رابطة الكُتّاب الأردنيّين، وزاملتُه في هيئة إدارتها في مرحلةٍ ما، والجانب الأهمّ كان في مواقف لها علاقة بكُتّاب آخرين، بملفّات مجتمعيّة، بمحاولة رسْم واقع نحلم به، بإصرار على نبْش حتى المواضيع الحسّاسة والمُربكة ليكون نقاشها على أرضيّة موضوعيّة بصدقيّة عالية، وبإصرار على أنّ ما لدينا جميل، وعلينا أن نجمّله أكثر بصدق توصيف الحالات أنّى كانت ليزداد الجمال جمالًا... آه يا جمال!

وداعًا أيها البهيّ...

يمُرّ روحكَ نحو سدرة منتهاك، كأنّكَ تكتشف عوالم أخرى، لرواية توشك أن تكتبها.

وداعًا وأنا أقلّب القلب مع صفحاتٍ من "غريب النّهر"، وأنتَ تدرك حين كتبتَ تلك الرّواية، ما لا يعيه الكثيرون.

موجع غيابكَ أيُّها الجمال الجميل الأنيق المبدع الإنسان.



وداعًا جمال...
أنتَ بغيابك تترك فراغًا كبيرًا، والكثير من الأسئلة، والحزن، والفقد... سنفتقدكَ، وتفتقدكَ عمّان، والأصدقاء، وكلّ مَن عرفكَ وقرأ حرفًا من كتاباتك.
وداعًا أيها الكبير بإبداعك ووعيك وإنسانيّتك... تغيب، فجأةً، وبهدوء، كأنّكَ تريد مغامرة أخرى، في عالم آخر، لعملٍ قادمٍ تتمثّله...
ها نحن نرقب روحكَ في معراجها نحو حياة أخرى لعلّ فيها الأجمل والأنقى، كما نقاء قلبكَ.. ونحن هنا على ذكراكَ الطيّبة نبقى يا أجمل الأصدقاء ■

جمال ناجي
هاشم غرايبة/ الأردن

لا أذكر بالضّبط كيف ومتى تمّ لقاؤنا. لا شكّ أنّه بدأ في رابطة الكُتّاب أيام "الطريق إلى بلحارث" و"هموم صغيرة"..
في إطار رابطة الكُتّاب، كُنّا نتحالف أحيانًا، ونتنافس في أغلب الأحيان. لكنّ الودّ الشخصيّ والاحترام المُتبادل لم ينقطعا أبدًا.
آخر حديث مع جمال كان حول إصدارات دار "بلومزبري"- مؤسسة قطر للنشر التي يديرها الصديق فخري صالح.. تشعّب بنا الحديث في الاتّجاهات كافّة، واستقرّ بنا المطاف عند رواية "موسم الحوريات".
قال: "سيبنا من السياسة. شو رأيك بالرّواية؟".
قلتُ: "طافت بنا الرّواية في أماكن متباعدة كعمّان وأفغانستان وسوريا، ولعمّان دائمًا مساحة في ذاكرة المكان الرّوائي عندك يا جمال. كما تزيد هذه الرّواية نقطة إضافيّة لصالح عمّان في تشكيل هويّة ثقافيّة، وإضفاء معنى للأماكن التي نعيش فيها بشكل يومي دون أن نلتفت إليها ربّما.
وتمتاز رواية موسم الحوريات بسلاسة اللغة والحوار، اللغة سهلة ومتينة، ولن تتعثّر بكلمات أو مصطلحات غريبة أو غير مستخدمة، والأحداث سريعة ومتلاحقة؛ ممّا يجعل الرّواية أشبه بعرض سريع بدلاً من التعمُّق بإضاءة قضيّة حقيقيّة".
قال: "كلام جميل. لم لا تكتب ذلك؟".
قلتُ مُناكفاً: "ولمَ أكتب عنك؟ هل قرأتَ روايتي الأخيرة مثلًا؟".
ضحك وقال: " القط الذي علّمني الطيران".. أنوي قراءتها قريبًا.
قلتُ: "روايتي الأخيرة عن الجنّة كما رآها الشّهبندر".

وضحكنا، كان مفعمًا بالحيويّة والآمال، ولم أتوقّع أبدًا أن أتلقّى خبر وفاته بهذه السرعة! نعيشُ الحياة كأنّها أبدٌ حتى نفقد عزيزًا، فنفطن للموت يتحرّك بيننا بنفس قوّة اندفاع الحياة.
ما كَتَبْتَه يا صديقي لا يمحوه الموت.
بعد زمن طويل، سيزهر في البلاد جيل بريء، وسيجد أحدهم اسم (جمال ناجي) يطفو على غير هدى في رفوف المكتبات الإلكترونيّة، اسمٌ معلّقٌ في فضاء الأبد كتب عن قدرة الإنسان على الحياة.. ولم يكن يتوقّع رحيله المفاجئ ■



جمال ناجي.. الموت على ذمّة الحياة

هزاع البراري/ الأردن

لَمْ يكُن الموت يومًا نهايةً للحياة أو حدثًا منفصلًا عنها، بل هو جزءٌ أساسيٌ من كينونة الحياة، لذا فإنّ غياب الرّوائي جمال ناجي القسريّ هو جزءٌ أساسيٌ من حياتِه وإبداعِه الرّافض لكلِّ أشكال الغياب والفناء، وهذا ما يجعله حاضرًا بحجم قسوة هذا الغياب، إنّه جمال ناجي الصّديق والمُبدع والمثقّف الإنسان، الذي أحبَّ الحياة حبّه للكتابة، وأخلص للكتابة بقدر عشقه للحياة، فقد أدرك منذ بواكير العمر أنّ الإبداعَ سرُّ الكون، ونبتة الخلود السريّة الّتي تقف كالصّخرة العالية في وجه الفناء.
جمال ناجي أسّس لحالةٍ من الوعْيِ المدنيّ الشّامل، ومزَجَ في مشروعه الثّقافي بين نتاجه الإبداعيّ في الرّواية والقصّة، وبين مشروعه الفكريّ والثّقافي، الذي سعى من خلاله لبناء منظومة متكاملة لإقامة مجتمعٍ مدنيّ السّيادة فيه للقانون والعقل، وإعادة الاعتبار لمكانة المثقّف في قيادة حركة التّنوير، التي عانت الدُّول العربيّة من غيابها في الفترات الأخيرة، وهذا ما جعل من جمال ناجي أحد الكُتّاب الأكثر تأثيرًا في محيطه ومجتمعه، وهذا نفسه ما جعل من غيابِه خسارةً قاسية.
كان جمال ناجي كاتبًا متميّزًا صاحب أعمال فرضت حضورها محليًّا وعربيًّا، وكان قريبًا في إبداعه من هواجس النّاس وأسئلتهم، ممّا جعله يحظى بمكانة الحميميّة مع القرّاء والنُّقّاد، وكصديق وفيّ تميّز بالدِّفء والاهتمام، وعُرف عنه تواصله مع الجميع، كما ترك بصمته كنقابي محترف، جعل من قضايا الكُتّاب ومطالبهم منهجًا عمليًّا سعى من خلاله إلى تحسين واقعهم، والارتقاء برابطة الكُتّاب التي تُعدُّ أهمّ الهيئات الثقافيّة في الأردن.

سيبقى جمال ناجي حاضرًا من خلال إرثه الثقافيّ الكبير، وتبقى حكاياه النّابضة بالحُبّ وما ترَكَ من محبّة صافية حاضرًا في الذّاكرة مثل زيتونة طيّبة ■

جمال صديق صاحبه

د. هيفاء حيدر/الأردن

غَريبةٌ هذه الدُّنيا التي لا تعطي الإنسان منّا حتى برهة صغيرة من الزّمن كي يستعيد بعض الكلام الذي لم يقُله بعد لصديقٍ أو صديقةٍ، على قلّة ما نجمع من رفقاء حياتنا، إلا أنّ مغادرة بعضهم منها تشكّل محطّة، وربّما مرحلة، تبقيكَ لفترة من الزّمن واهن الذّاكرة والحال معًا، هكذا كان خبر وفاة الصديق العزيز جمال.

حاولتُ أن أسترجع من ذاكرتي بعض الاجتماعات التي كانت تُعقد في المركز العربي لديه، فلم يستحضرني سوى شخص مليء بالفكر ومشغول بالمعرفة، صديق يستفقدكَ بين الحين والآخر بسؤال: (هيفا كيف حالك؟ هل قرأتِ "موسم الحوريات"؟ اقرئيها واكتبيلي رأيك، بعرفك تقرئين بصمت). يا الله كيف كان يشعرك بسموّ الخلق وهو يطلب رأيًا أو كتابة ورقة عمل، يباغتك بالقول: "هذا هو العنوان، ولكَ ما تشاء من حريّة الكتابة"، ويستكمل: "نريدُ أن نتحدّث عن الثقافة المدنيّة والسُّلوك المدنيّ وعن الحريّة والأديان".

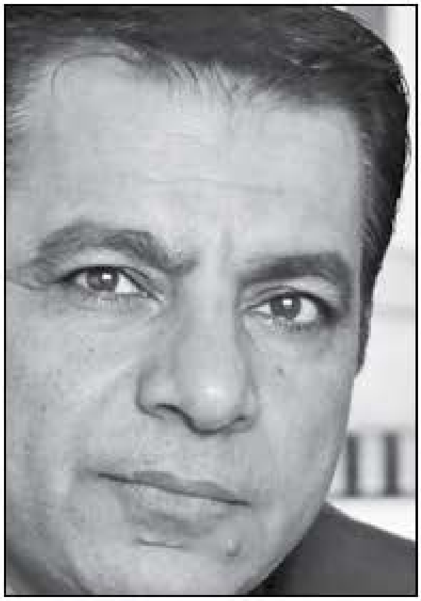
لا أعرف إن كانت هذه السطور تفي جمال ناجي بعضًا من الحقّ له ومن الحقّ علينا، على صعوبة أن تستودع أحدهم ببضعة أسطر، وخاصّة هو: صاحب قضيّة واكَبَت جلَّ حياته، فكتب "غريب النهر" علَّ عقبة جبر مسقط رأسه تُبحر ولو قليلاً في خياله نحو هُنا حيث أقام. ولجمال الرّوائي القاصّ نصيبٌ من كتاباته، مِن أحداث نكبتنا ونكستنا، نصيبٌ من الحدث والأحداث معًا؛ كما في روايته "الحياة على ذمّة الموت"، لقد كان عارفًا أنّ ثمّة ما يتربّص بالحياة منذ لحظة الميلاد وحتى رعشة الموت ■



جمال ناجي:
حالةٌ شاملةٌ تحتاج إلى تأمُّلٍ متواصل

يحيى القيسي/الأردن

كُتب الكثير عن تجربة الصّديق الرّاحل جمال ناجي الروائيّة والقصصيّة، وستظلّ دومًا نبعًا لا ينضب للمقاربات النقديّة، والدِّراسات



الأكاديميّة، وثمّة مَن كان على قُربٍ يوميٍّ من الرّجل يمكن له أن يصف لنا جوانبه الاجتماعيّة، ونشاطه النقابيّ، ووهجه الإنسانيّ، لكنّني أرى بأنّ الكتابة عن ناجي لا يمكن تقسيمها، فهو حالة شاملة، تحتاج إلى تأمُّل في شخصيّة هذا المبدع الإنسان، الذي كانت تربطه بالجميع، علاقة محبّة واحترام.

كان نبيلًا بكلّ ما تحمله هذه الصّفة من علوّ همّةٍ، ولطْف معشرٍ، ونقاء سريرةٍ، ومُبالغة في التّهذيب، إضافة إلى ثقافة نوعيّةٍ، وخبرات عميقة.

ربّما كانت سرديّاته الشائقة، المصاغة باحتراف وإتقان، حلقة ذهبيّة، استفدنا منها جميعًا، أقصد الأجيال التي جاءت بعده من القصّاصين والرّوائيّين الأردنيّين، ومن المؤكّد أنّها ستكون كذلك للأجيال اللاحقة علينا، لكن كما أشرت من قبل، لا يمكن فصل وهجه الإبداعيّ، عن مسيرته النقابيّة الحافلة في رابطة الكُتّاب، ولا في مشروعه نحو التّنوير والدولة المدنيّة في المركز العربيّ، ولا في تلك الحالة البهيجة من التّواصل الإنسانيّ معه، والمحبّة الصّافية، التي تُشعر مَن يقابله أنه رجل لا يجيد التّمثيل، ولا شيء يُخفيه عنكَ ويُظهِر غيره، وأنّه حالة خاصّة تحتفي بالحياة والأصدقاء، وتتأمّل الأسئلة الكبرى للوجود، وتتعمّق في الإبداع والفكر، وتمارس نشاطها بكلّ غبطة.!

لهذا كلّه ربّما، كانت صدمتنا برحيله كبيرة، ومُباغتة، لا شفاء لها ■



قراءة راصدة لـ «ببليوجرافيا»
الكاتب الرّاحل جمال ناجي

إعداد: شوقي بدر يوسف/ مصر

"الرّواية تقتات على كاتبها، وتمتصّ من عقله وروحه،
ووجدانه وبدنه ما يلزمها كي تكتمل وتصبح مؤهّلة للخروج
إلى النّور، وبخلاف ذلك فإنّها تولد مشوّهة".

جمال ناجي

تُمثّل الـ"ببليوجرافيا" التوثيقيّة لأيّ كاتب مرآة لواقعه الإبداعيّ وملامح موثّقة ومسجّلة لهذا العالم الخاص، ومن خلالها تبرز محدّدات عالمه وضوابط منجزه وإشارات وعلامات تحدّد مراحل تطوُّر هذا العالم، كيف تشكّل، وإلى أيّ مدى صار وأصبح علامة مهمّة في منبعه ومصبّه الأدبيّ أو العلميّ أيًّا كان.
وبرحيل الكاتب الرّوائيّ جمال ناجي؛ هذا الكاتب المتفرّد في المشهد السرديّ الأردنيّ ترصد هذه الـ"ببليوجرافيا" التحليليّة طرحًا توثيقيًّا كاشفًا لملامح عالمه الإبداعيّ الذي كانت فيه "الحياة على ذمّة الموت" هي الثيمة المخيّمة على عالمه منذ بدايات وبواكير أعماله الأولى التي بدأت بهذه الطريق الطويلة التي سار فيها وبدأها بالاغتراب الذاتي في بلحارث السعودية، وحتى رحيله مساء السادس من أيار/ مايو 2018، تاركًا وراءه عددًا من الأعمال الرّوائية والقصصيّة بدأها في منتصف السبعينيّات من القرن الماضي بصدور روايته "الطريق إلى بلحارث" التي شكّلت نوعًا جديدًا من الغربة والاغتراب بعد سفره للعمل بالسعودية، وتجذّر في نفسه بيئة الصحراء من خلال أوّل شخصيّة يقتاتها وهي شخصية "عماد" المحاصَر بالغربة والاغتراب عبْر الذكريات، خاصّة المتعلقة بالوطن السّليب والأم الحكائيّة عن هذا الوطن التي مثّلت له النّبع الحكائيّ لكلّ ما تداعت به خواطره من خلال حوارات الشخصيّة وما يتلقّاه من

رسائل من الأهل والأقارب. وقد صدر من هذه الرِّواية حتى الآن أكثر من سبع طبعات وما زالت تمارس حضورها الفنّي والإشكالي على الرَّغم من مرور أكثر من أربعة عقود على كتابتها، وصدورها.

كما تدور أحداث روايته الثانية "وقت" في المخيَّم الفلسطيني خلال مرحلة الخمسينيّات والستينيّات من القرن الماضي، حيث يبرز زمن مأساة النَّكبة في هذا الوقت الذي حدثت فيه المأساة، عبْر علاقات متشابكة ومتداخلة تبدأ من هذا الوقت وحتى نكسة 67، ليقف الكاتب عند بعض المحطّات التي أعادت إلى الأذهان أجواء "رجال تحت الشمس" لغسان كنفاني وغيرها من الأعمال الفلسطينيّة التي عبَّرت عن هذا الوقت المقاوم والمناوئ الذي يبحث عنه العرب الآن.

وفى روايته الثالثة "مخلفات الزّوابع الأخيرة" تحتفى الرِّواية بثيمة الغجر حياتهم وترحالهم وتعايشهم مع المجتمعات الأخرى على تخوم القرى والمدن، وقد اقترب الكاتب من حياة تلك الفئة، واستطاع من خلال مجتمعاتهم المهمّشة وشخصيّاتهم وطبائعهم الملتَبَسة في ممارساتها وطريق معيشتها أن يجسِّد من هذه المجتمعات عالمًا استطاع بحرفيّة الكاتب، وأن يحدِّد ملامحه ومشاكله وقضايا وجوده وتطوُّر معالمه، حيث يحقِّق في هذا المجال بانوراما اجتماعيّة لفئة على هامش الحياة، حيث الأنثروبولوجيا الخاصة بهذه الفئة لها طابعها الغجريّ المعروف في كلّ مكان من العالم.

وتجيء روايته الرابعة "الحياة على ذمّة الموت" كمقدِّمة للولوج إلى عالم العولمة في صورته الاقتصاديّة، فهذه الحياة التي تتواتر بحلوها ومرِّها سرعان ما تَّخذ المسار التقليديّ نفسه إلى النِّهاية، حيث الحياة ما هي إلا تناقُص لنفس هذه الحياة، وهكذا الاقتصاد حين يبلغ ذروته فإنه يبدأ في التَّناقُص والضُّمور وربّما العكس، وهي ثيمة ربّما خبرها جمال ناجي أثناء فترة عمله بالمصارف والبورصات وغيرها من الأعمال التي تجعل صاحبها دائمًا يعيش الحياة وهو على ذمّة الموت.

وفى روايته "عندما تشيخ الذئاب" يستخدم الكاتب الزَّمن استخدامًا خاصًا في رصد الأحداث القائمة على القهر والعهر وتأزُّمات الواقع من خلال راوٍ ضمنيّ يحكي من عدة مناظير ضابطة وكاشفة لمتخيّل النص القائم في مجمله على الأقانيم الثلاثة التي حدَّدها الكاتب وتحدَّث عنها كثيرًا في حواراته الصحفيّة، كذلك من خلال انعكاس ذلك على الشخوص المستخدمة في نسيج النص والمتداخلة في تابوهاته الثلاث: الدين والجنس والسياسة، فالعلاقة والمنظور الديني الذي يمثله "قطب"، والمنظور الجنسي الذي تمثله "سندس"، والمنظور السياسي الذي يمثله "جبران" وانعكاس ذلك على الحياة الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة داخل المجتمع، وانعكاس ذلك أيضًا على مدلول الحياة وتأويلاتها في شتى المناحي، وهو ما تمّ استكماله في روايته الخامسة "ليلة الريش" القائمة على العالم نفسه؛ عالم المال والاقتصاد والسلبيّات الكامنة في ممارسات ما يحدث فيه من أحوال وتأزُّمات، والعلاقات الماليّة والصّفقات المشروعة والمشبوهة وغيرها من الموضوعات التي استمدَّ مضامينها من عالم المال والمجال المصرفيّ الذي كان

يعمل به آنذاك.
كما نجده لا ينسى وطنه فلسطين وأحداث النّكبة وما حدث في مأساة الشتات وصوت "النَّفير الفلسطيني" الذي انطلق منذ الحرب العالميّة الأولى وما زال يدوّي حتى الآن عبْر سلسلة من الأحداث التي تقوم على استجواب التاريخ واستعراض الكثير من مساحاته المليئة بما يعانيه الإنسان الفلسطيني، وهو ما عبَّر عنه في رواية "غريب النهر"، وفي هذا النص المليء بزخم المقاومة والبحث عن الحريّة والخلاص نجد أبطال الرِّواية هم أفراد من عائلة تعود أصولها إلى قرية فلسطينية، يعايشون مراحل فقد الوطن واستلابه، وشتات المنفى واغترابه في الأصقاع البعيدة، وتتنوّع انتماءات هذه العائلة وولاءاتها بطرق مختلفة، ومن ثمّ هم يحاكمون زمنهم وعصرهم بكلّ ما أوتوا من قوّة. الرِّواية تحكي قصة الإنسان الفلسطيني بجذوره العميقة الضاربة في الأرض الفلسطينيّة السليبة، انتهاءً بتمسُّكه بحق الحياة والعودة إلى أرضِه. لقد كانت هناك قوى كونيّة تحيك لهذا الفلسطيني المغلوب على أمره كلّ هذه النكبات التي طالته، وأصبح هذا النهر الأصيل، وهذه المياه التي تجرى فيه، أصبح غريبًا عنها، وأصبح بفعل هذا الشيطان الوافد إلى هذا المكان دون وجه حق، أصبح هو "غريب النّهر".
نمط آخر من أنماط القهر والعنف يبدو في روايته الأخيرة "موسم الحوريّات" حيث تكشف الرِّواية عن خبايا الفقراء مع الذين يمتلكون الجنّات والحوريّات، ويتحكّمون في مقدرات البشر بجبروتهم وجاههم وأموالهم، الشخصيات أصحاب السُّلطة والقوّة وحكم السّيطرة؛ الباشا الكبير، والباشا الصغير، هذا هو ما تناولته رواية "موسم الحوريّات"، حين يُقبل الفقراء على الموت في مواسم الظلم والقهر والحرمان. تجسِّد الرِّواية سيرة عائلة أردنية ثريّة على خلفيّة أحداث الربيع العربيّ، وما نتج عنه من قهر وعنف، وظهور تيارات دينيّة متطرِّفة استغلّت ظروف هذه الثورات لمحاولة الوصول إلى مآربها وأهدافها المعروفة. وتقوم الرِّواية على تقنية تعدُّد الأصوات، وهو الأسلوب نفسه الذي استخدمه الكاتب في رواية "عندما تشيخ الذئاب".
وحول الرِّواية وقاعدة ارتباطها بالسيرة الذاتيّة يقول جمال ناجي: "شيء واحد فقط هو الذي يمكننا فعله لتفسير العلاقة بين السيرة الذاتيّة والإبداع. وهو أن نعيد تفكيك العناصر المكوِّنة للرِّواية مثلًا، وإعادتها إلى أصولها التي حدثت في الواقع المعيش، لكن هذا يبدو أشبه بمحاولة تجريد أوراق الشَّجر من صفة الإبداع عبْر إرجاعها إلى عناصرها الأولية: التربة، الماء، ثاني أكسيد الكربون، الطاقة والضوء.. بمعنى أن نقوم بتحليل عملية التمثيل الكلوروفيلي وإعادتها إلى عناصرها ومكوِّناتها الأصليّة.
هذه العناصر تمثِّل واقعًا أرضيًّا قائمًا وملموسًا، إنَّها أصول محسوسة، وهي جزء من السيرة الذاتيّة لكوكبنا، لكنّها بتفاعلها تنتِج شيئًا مختلفًا تمامًا، لا يشبه أيًّا من تلك العناصر المكوِّنة لها، إنَّها النَّموذج الإبداعيّ: الورقة الخضراء التي يمكنكَ أن ترى فيها شيئًا من التُّربة أو الكربون أو الطاقة أو أشعة

الشمس"(الرِّواية وأسرار الشَّجر، جمال ناجي، طريق الشَّعب العراقيّة، 11/5/2016).

وفي مجال القصة القصيرة كان جمال ناجي هو القاص صاحب القدرات المتفرِّدة لهذا الفنّ الماكر المراوغ، وهو ما نجده في مجموعاته جميعها "رجل خالي الذهن"، و"رجل بلا تفاصيل"، "ما جرى يوم الخميس"، ثم "المستهدَف" وهي أعمال نصيّة كان يشتغل على مادّتها من حوليّات يومه المتواتر في أحداثه وممارساته، وفي شهاداته التي أطلقها ليحدِّد من خلالها رؤيته الفنيّة للعمل السرديّ المشحون بقضايا الواقع المأزوم في كلّ مكان، خاصة في مدينته الأثيرة عمّان. ولعلّ الحوارات التي أجريت معه والشهادات التي ألقاها في المنتديات واللقاءات الأدبيّة كانت جميعها تكشف عن رؤية نقديّة وإبداعيّة عالية وواعية، وكان عالمه القصصيّ يسير موازيًا لعالمه الرِّوائيّ، ليجسِّد كلّ منهما هذا العالم الإبداعيّ الذي شكّل حالة وظاهرة في المشهد السرديّ الأردنيّ له تفرُّده وحضوره الدائم.

وفي حوار حول القصة القصيرة عند جمال ناجي سأله المحاوِر (نضال القاسم): "...هل نتاجكَ القصصيّ يندرج تحت مفهوم (الواقعيّة السحريّة)؟"، وحول هذا السؤال المتعدِّد المنافذ والأنماط يجيب جمال ناجي: "قصصي القصيرة تقترب من الواقعيّة السحريّة، لكنّها لا تنتمي إليها بقدر ما تنتمي إلى ما يمكن أن نسمّيه قصص الكشف والمُفارقة، أكثر ما يعنيني عند كتابة القصة هو التَّكثيف الشديد، والتخلُّص من كلّ الزَّوائد اللفظيّة والتعبيريّة... ودون الوقوع في فخاخ الذاكرة التي عادةً ما تمارس ضغوطها على الكاتب في محاولة لتحقيق حضورٍ ما في القصّة. "(جمال ناجي وحوار، نضال القاسم، القدس العربي، 9/10 ت2/ نوفمبر 2013).

لا شكَّ أنَّ هذا العرض التحليليّ لمحاولة وضع "ببليوجرافيا" الكاتب الراحل جمال ناجي قد أوضح إلى حدّ ما رؤية ذاتيّة لما يحتويه هذا العالَم من قضايا شائكة ومعقّدة، وأعمال سوف تضع هذا الكاتب في خريطة السَّرد العربيّ كعلامة وأيقونة مهمّة للغاية.

مؤلفاته

- "الطريق إلى بلحارث" (رواية)، منشورات رابطة الكتاب الأردنيين، عمّان، 1982.
- "وقت" (رواية)، دار ابن رشد، عمّان، 1985.
- "مخلفات الزوابع الأخيرة" (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1988.
- "رجل خالي الذهن" (قصص)، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمّان، 1989.
- "الحياة على ذمة الموت" (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.
- "رجل بلا تفاصيل" (قصص)، مؤسسة عبد الجميد شومان بالتعاون مع رابطة الكتّاب الأردنيين، عمّان، 1994.
- "مخلفات الزوابع الأخيرة"، "وقت"، "الطريق إلى بلحارث"، "الحياة على ذمة الموت" (روايات)، وزارة الثقافة، عمّان، 2003.
- "ليلة الريش" (رواية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.
- "ما جرى يوم الخميس" (قصص)، الدار العربية للعلوم/ ناشرون، بيروت، 2009.

• "المستهدف" (قصص) دار فضاءات للنشر والتوزيع، عمّان، 2011.
• "غريب النهر" (رواية)، الدار العربية للعلوم/ ناشرون، بيروت، 2012.
• "موسم الحوريات" (رواية)، دار بلومزبري، مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، 2015.

القصص القصيرة التي نُشرت في الدوريّات

• "حب"، المدى، ع6، شباط/ فبراير 1994.
• "رسم قلب"، الكاتب العربي، 57/58، ك1/ديسمبر 2002.
• "ما جرى يوم الخميس"، الحياة اللندنية، 15559، 7/11/2005.
• "أحياء سبق أن ماتوا" القدس العربي، 5139، 3/12/2005.
• "مقاومة بيضاء" القدس العربي 5191، 6/2/2006.
• "المستهدف"، القدس العربي، 5783، 8/1/2008.
• "الديك الآخر"، القدس العربي، 5830، 20/2/2008.
• "طموح محلي"، أفكار، ع238، آب/ أغسطس 2008.
• "الصديق الذي صار قديمًا"، الدستور، 30/1/2009.
• "تكبير"، القدس العربي، 6158، 24/3/2009.
• "نباح"، تاتو/ ملحق المدى، ع2، نيسان/ إبريل 2009.
• "أبي الذي لا يبرد"، أفكار، ع247، أيار/ مايو 2009.
• "الحلاق"، الرأي، 29/5/2009.
• "زيارة متأخرة"، نرجس العراقية، ع14، تموز/ يوليو 2009.
• "السترة السوداء"، الأنوار اللبنانية، ع989، 20/2/2010.
• "حوار"، القدس العربي، 6504، 7/5/2010.
• "ساحة جري"، الاتحاد الإماراتية، 7/10/2010.
• "صديقي الأحمر"، الأنوار اللبنانية، 970، 10/10/2010.
• "لهاث ليلة العيد"، القدس العربي، 6480، 9/4/2010.

الدراسات التي نُشرت عن إبداعه الرِّوائي في فصول من الكتب

• ("الطريق إلى بلحارث"- "وقت ": جمال ناجي)، الرِّواية في الأردن.. مقدمة، د.خالد الكركي، نشر بدعم من الجامعة الأردنيّة، عمّان، 1986.
• (من فؤاد القسوس إلى جمال ناجي)، وهم البدايات.. الخطاب الرِّوائي في الأردن، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.
• (رواية الثمانينيّات والواقعيّة "جمال ناجي")، نزيه أبو نضال، الرِّواية الأردنيّة وموقعها من خريطة الرِّواية العربيّة، د.إبراهيم السعافين وآخرون، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1994، ص87.
• (حول الواقعي والغرائبي في القصة القصيرة في الأردن "قصة المنذور لجمال ناجي"، فاضل ثامر، ص113)، (بنية النص ولعبة التأويل "رجل خالي الذهن نموذجًا لجمال ناجي" ص127)، القصة القصيرة في الأردن وموقعها من القصة القصيرة العربية، د.حسن عليان وآخرون، أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، 1994.
• (حول رواية "وقت"، "مخلفات الزوابع الأخيرة")، تحوُّلات المجتمع في الرِّواية الفلسطينية، رئيفة شبلاق، مطبعة الهيئة

المصريّة العامة للكتاب، القاهرة، 1994.

• (جمال ناجي في "رجل خالي الذهن")، البنى السرديّة.. دراسات تطبيقيّة في القصة القصيرة الأردنيّة، عبدالله رضوان، رابطة الكتاب الأردنيين، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمّان، 1995.

• (الرّواية الواقعية "جمال ناجي" ص38)، (الرّواية الواقعية "جمال ناجي.. الحياة على ذمة الموت" ص143)، علامات على طريق الرّواية في الأردن، نزيه أبو نضال، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1996.

• (تعرية الواقع في رواية "الحياة على ذمة الموت" لجمال ناجي، في النقد التطبيقي مع روايات فلسطينية، د.عبدالرحمن ياغي، دار الشروق للطباعة والنشر بالتعاون مع وزارة الثقافة الفلسطينيّة، عمّان، الأردن، 1999.

• (المضامين الرّوائيّة والدراسة الفنيّة في روايات "الطريق إلى بلحارث"، "وقت"، "مخلفات الزوابع الأخيرة")، أثر السياسة في الرّواية الأردنية، د.عوني صبحي الفاعوري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999.

• (حول روايات جمال ناجي)، مكوّنات السرد في الرّواية الفلسطينية، يوسف حطيني، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

• (قراءات في الرّواية الواقعيّة الحديثة في الأردن.. "الحياة على ذمة الموت")، الغاية والأسلوب.. دراسات وقراءات نقدية في السرد العربي الحديث في الأردن، د.غسان عبدالخالق، أمانة عمّان، عمّان، 2000.

• (جمال ناجي "رجل خالي الذهن")، لعنة المدينة.. دراسات في القصة الأردنية، د.سليمان الأزرعي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.

• (مفارقات جمال ناجي في مجموعة "رجل بلا تفاصيل" ص-125 أصوات قصصية من الأردن جمال ناجي وقاسم توفيق، ص133)، القوس والوتر.. دراسات، حسين جمعه، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 2001.

• (جمال ناجي في روايته: الطريق إلى بلحارث/ رواية الخسارات) ، الرواية الفلسطينية والمنفى- الجزيرة العربية مكانًا، د.صالح أبوأصبع، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، 2001.

• ("وقت" دراسة في البيئة الرّوائية، ص-23 "الطريق إلى بلحارث" ص-51 نماذج مجتمع الأعمال في رواية "الحياة على ذمة الموت"، ص119)، الرّواية في الأردن.. فضاءات ومرتكزات، د.نبيل حداد، وزارة الثقافة، عمّان، 2003.

• (اقرؤوا هذه الخيانات "شهادة")، عروش الروح.. شهادات إبداعية، رابطة الكتاب الأردنيين، وزارة الثقافة، عمّان، 2003، ص5.

• (جمال ناجي وحوار)، ذاكرة الينابيع.. حوارات في الثقافة والأدب، عزيزة علي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، 2005، ص31.

• (حول رواية "عندما تشيخ الذئاب" للروائي جمال ناجي)، عمّان في الرّواية العربية في الأردن، شفيق طه النوباني، دار ورد للنشر بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 2013.

• (المنظور الروائي في " عندما تشيخ الذئاب" ص 131)، حدَّثني قال- مقابسات في الرواية، محمد سلام جميعان، دار فضاءات بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 2013.

• (إشكالية الهوية في" غريب النهر" ص 139) حدَّثني قال- مقابسات في الرواية، محمد سلام جميعان، دار فضاءات بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 2013.

الدراسات والمقالات التي نشرت عن إبداعه في الدوريات

• جمال ناجي وقراءة في رواية "وقت"، سمير أحمد الشريف، آفاق عربية، بغداد، ع5، س10، أيار/ مايو 1985.

• إضاءة على رواية وقت، محمد سلام جميعان، صوت الشعب، 7 تشرين الثاني 1984.

• "مخلفات الزوابع الأخيرة " لجمال ناجي.. الكاتب والبيئة، المحرر، الموقف العربي، نيقوسيا، ع 480، 7|7|1991.

• رؤية مختلفة لروايات جمال ناجي.. خيط رفيع بين الواقعي والمتخيل، غسان عبدالخالق، بيادر، تونس، ع9، 1992.

• ليلة أصابني الأرق (فصل من رواية)، بيادر، تونس، ع9 س3، 1992 ص65.
• "الحياة على ذمة الموت" رواية ما قبل الرّواية، غسان عبدالخالق، الرأي، عمّان، 8/10/1993.
• أدب الحياة بهوامشها وتفاصيلها (حول رواية "الحياة على ذمة الموت")، المحرر، الشروق، الشارقة، ع80، 14|10|1993.
• "مخلفات الزوابع الأخيرة" لجمال ناجي، د.نبيل يوسف حداد، مجلة جامعة دمشق في العلوم الإنسانيّة، دمشق، ع37/38، م10، حزيران 1994.
• جمال ناجي وشهادة حول الرّوائيين الشركاء في نفي المكان (شهادة)، المدى، بغداد، ع10، تموز/ يوليو 1995.
• "الحياة على ذمة الموت" (رواية) جمال ناجي، حسب الله يحيى، الجيل، بيروت، ع12، م18، ك1/ ديسمبر 1997.
• جمال ناجي وشهادة روائيّة.. دفاعًا عن الكذب الرَّصين (شهادة)، جمال ناجي، القدس العربي، لندن، ع3482، 2000-7-22.
• الرّوائي جمال ناجي: لسنا مجلس حرب.. وسلاحنا هو الثقافة، (حوار) حكمية جرار، الصدى، الشارقة، ع119، 2001-7-8.
• الرّوائي جمال ناجي رئيس رابطة الكتّاب الأردنيين: حققنا ستين في المائة ممّا كنّا نطمح إليه خلال هذه الدورة، وفشلنا في توفير التأمين الصحي والإسكان للأعضاء (لقاء) يحيى القيسي، القدس العربي، ع4334، 2003-4-28.
• رواية "ليلة الريش" لجمال ناجي تشريح سطوة رأس المال في عمّان، صلاح حزين، الحياة اللندنية، لندن، ع14944، 26-2-2004.
• الرّوائي الأردني جمال ناجي بعد صدور روايته "ليلة الريش": وزارات الثقافة العربية مسؤولة عن مهازل التمثيل الوظيفي (حوار)، محمود الورداني، أخبار الأدب، القاهرة، ع558، 2004-3-21.
• جمال ناجي.. الوقائع تبدِّد نعمة المخيال، إبراهيم جابر إبراهيم، عمّان، عمّان، ع106، نيسان 2004.
• جمال ناجي وشهادة روائية: كل السلطة للحساب (شهادة عن روايتي "ليلة الريش"، القدس العربي، لندن، ع4662، 20-5-2004.
• جمال ناجي وحوار، عزيزة علي، الغد، عمّان، 2005-2-4.
• "ليلة الريش" رواية جمال ناجي مساهمة نوعيّة في الرّواية الأردنيّة، د.سليمان الأزرعي، الموقف الأدبي، دمشق، ع 407، آذار 2005.
• الرّوائي الأردني جمال ناجي: الرّواية بذرة تستنبطها الظروف المناسبة وأصدق ما في الإنسان عقله الباطن(حوار)، لنا عبد الرحمن، العرب اللندنية، لندن، 2006-3-10.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب".. صراع الأمكنة وصراع اللغويّات، د.إبراهيم خليل، أفكار، عمّان، ع248، حزيران/ يونيو 2006.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" قراءة في نماذج الشخصيات، إياد نصار، الدستور، عمّان، 2006-6-19.
• "ما جرى يوم الخميس" لجمال ناجي وأسلوب الكتابة الرّوائية، سعدالدين شاهين، الدستور الثقافي، عمّان، ع14033، 2006-8-11.
• جمال ناجي يرصد ما جرى يوم الخميس عبْر الزَّمن الجميل، خليل قنديل، الرياض، الرياض/ السعودية، ع14031، 23 ت2/ نوفمبر 2006.
• جمال ناجي يوقع مجموعة "ما جرى يوم الخميس" بمقر رابطة الكتّاب، أحمد الطراونة، الرأي، عمّان، 2007-1-15.
• بعد ربع قرن على صدورها.. مناقشة رواية "الطريق إلى بلحارث" لجمال ناجي في مدينة جدة، الدستور، عمّان، 2007-1-30.
• جمال ناجي ومجموعة "ما جرى يوم الخميس" نماذج مكتملة لفن القصة القصيرة، منيرة صالح، الدستور، عمّان، 3-22-2007.
• "الطريق إلى بلحارث" ومعاناة الإنسان، طاهر الزهراني، الراوي، الرّياض، ع 19، أيلول/ سبتمبر 2008.
• اللاعودة إلى بلحارث.. قراءة لرواية الطريق إلى بلحارث لِجمال ناجي، هند رضا جمل الليل، الراوي، الرّياض، ع 19، أيلول/ سبتمبر 2008.

• رواية "عندما تشيخ الذئاب" لجمال ناجي جولة في مناطق محظورة، ماجدة كريم، العربي/ العدد الأسبوعي، لندن، 17-1-2009.
• "عندما تشيخ الذئاب" بانوراما الفوضى الممنهج (شهادة) بقلم جمال ناجي، العرب الدولية، لندن، 2009-1-29.
• طبعة سادسة لرواية جمال ناجي "الطريق إلى بلحارث"، المحرر، الغد، عمّان، 2009-2-3.
• "عندما تشيخ الذئاب" رواية الأصوات الخمسة، عبد الستار ناصر، الدستور، عمّان، 2009-2-6.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" تدور حول شرائح ورموز اجتماعية محددة، د. سليمان الأزرعي، الدستور، عمّان، 20 شباط/ فبراير 2009.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" وعريّ الجسد واستثمار الدين وتهافت السياسة، يوسف الحوراني، العرب، لندن، 2009-5-4.
• (رواية "عندما تشيخ الذئاب" هل أوقفت الثقافة توزيعها؟)، نضال برقان، السجل، عمّان، 2009-4-9.
• الزمن السردي في رواية "عندما تشيخ الذئاب" لجمال ناجي، د.زياد أبو لبن، الدستور، عمّان، 2009-5-29.
• (جمال ناجي وملف خاص برواية "عندما تشيخ الذئاب" الرأي/الملحق الثقافي، 2009-6-19).
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" لجمال ناجي، نبش سوسيولوجي في ظاهرة التديُّن، مجدي ممدوح، القدس العربي، لندن، ع 6259، 2009-7-20.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" وتعدُّد الأصوات، سمير أحمد الشريف، الدستور، عمّان، 2009-8-14.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" لجمال ناجي بين سرّ القلادة وحقيقة الانتساب، د.مصطفى الكيلاني، القدس العربي، لندن، ع6382، 2009-9-8.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" والمتخيّل الأنثوي، د.رفقة دودين، الرأي/الملحق الثقافي، عمّان، 2009-11-9.
• رواية جمال ناجي "مخلفات الزوابع الأخيرة" في طبعة ثالثة، المحرر، أخبار الخليج، المنامة، ع11565، 2009-11-21.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" وفتنة السرد وألق الكتابة، هشام بن الشاوي، الرأى/الملحق الثقافي، عمان، 2009-12-19.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" وفتنة السرد وألق الكتابة، هشام بنشاوى، المدى/ملحق ورق، ع1717، 2010-2-7.
• متى تتكشف الذئاب؟ عرض لرواية "عندما تشيخ الذئاب"، أحمد المعيني، عمان/ملحق شرفات، مسقط، 2010-2-17.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" وشهادة عن الكتب، د.إبراهيم خليل، القدس العربي، لندن، ع6434، 2010-12-15.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" لجمال ناجي، وتحوُّلات السياسة والمجتمع، فخرى صالح، الدستور، عمّان، 2010-2-19.
• أمسية أدبية حول رواية "عندما تشيخ الذئاب" لجمال ناجي، المحرر، القدس العربي، لندن، ع6441، 2010-2-23.
• الطريق إلى بلحارث رواية جمال ناجي وبرارى نصر الله، رواية المكان وحديث الذاكرة، المجلة العربية، الرّياض/السعودية، ع 398، آذار/ مارس 2010.
• "عندما تشيخ الذئاب" تبرز السياسات الاجتماعيّة في طمس الذات، إلياس محمد سعيد، الدستور/ الملحق الثقافي، عمّان، 2010-3-8.
• الرّوائي جمال ناجي يتحدَّث عن الرّواية والزّمن النفسي والبيولوجي، منال الشملة، القدس العربي، لندن، ع6493، 24-25/4/2010.
• جمال ناجي في مجموعته "ما جرى يوم الخميس" بقي مغلقًا، المحرر، الجريدة، الكويت، 2010-7-26.
• المحظورات الرّوائية (شهادة) بقلم جمال ناجي، القدس العربي، لندن، ع6712، 2011-1-11.
• جمال ناجي: الأحداث تتوالد أثناء الكتابة والشخصيات تتحرك وفقًا لمنطقها وتركيبها، المحرر، عمان/ملحق شرفات، مسقط، 2011-2-7.
• تجربتى مع الأقانيم الثلاثة.. بقلم جمال ناجي، ملحق الرأي الثقافي، عمّان، 2011-2-18.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" واختراق التابو السائد، عبدالله رضوان، أفكار، عمّان، ع 268، حزيران/ يونيو 2011.

• مجموعة "المستهدف" لجمال ناجي وبانوراما واقعيّة في زماننا المعاصر، إياد نصار، الرأي، عمّان، 2011-7-1.
• رواية "عندما تشيخ الذئاب" ومن أتلف سيرة البراءة وأطفأ عينها، مهند السبتي، الدستور/ ملحق شرفات الثقافي، عمّان، 2011-7-1.
• جمال ناجي في مجموعة "المستهدف" يوثّق لموت السرديّات الكبرى، مجدي ممدوح، الدستور، عمّان، 2011-8-19.
• رواية "غريب النهر" خلال ندوة نقديّة في المكتبة الوطنيّة، الناقدان خليل وأبو لبن: سرد حديث وأداء متطوّر، المحرر، الدستور، عمّان، 2012-1-19.
• "غريب النهر" رواية جديدة لجمال ناجي، المحرر، الصباح، بغداد، ع2556، 2012-6-6.
• رواية "غريب النهر" تؤرّخ لجوانب إنسانيّة في القضيّة الفلسطينيّة لجمال ناجي.. والرّواية منحازة لجمال الفنّ، خالد سامح، الدستور، عمّان، 2012-7-12.
• جمال ناجي ورواية "غريب النهر" وفانتازيا النَّفير الفلسطيني، وفاء عواد، البيان الإماراتية، 2012-8-20.
• معادلة الأدب والأيديولوجيا في رواية "غريب النهر"، مجدي ممدوح، الدستور/ ملحق شرفات الثقافي، عمّان، 2012-8-24.
• نقّاد يعاينون "غريب النهر" في المكتبة الوطنيّة، أحمد الطراونة، الرأي، عمّان، 2012-9-18.
• رواية "غريب النهر" لجمال ناجي والتشويق في خطاب سردي محكم، د.إبراهيم خليل، القدس العربي، لندن، ع7236، 2012-9-20.
• قراءة في رواية "غريب النهر"، زياد أبو لبن، الدستور/ الملحق الثقافي شرفات، عمّان، 2012-10-5.
• جمال ناجي في رواية "غريب النهر"، جمال القيسي، القدس العربي، لندن، ع7258، 2012-10-16.
• قراءة في رواية "عندما تشيخ الذئاب" للروائي جمال ناجي.. بين سرّ الغلابة وحقيقة الانتساب، د.مصطفى الكيلاني، الطريق الثقافي، بغداد، ع 60، 2012-11-17.
• محتوى الشكل في رواية "عندما تشيخ الذئاب" للروائي جمال ناجي، أنور الشعر، أفكار، عمّان، ع 292، أيار/ مايو 2013.
• رواية "غريب النهر" لجمال ناجي في كُتّاب عجلون، المحرر، الرأي، عمّان، 2013-5-8.
• كُتّاب عجلون يحتفي برواية "غريب النهر" لجمال ناجي.. رواية تنفرد بسمة بنائيّة خاصة، المحرر، الدستور، عمّان، 8-5-2013.
• "غريب النهر" رواية جديدة لجمال ناجي، المحرر، الدستور، عمّان، 2013-5-28.
• مجموعة "المستهدف" لجمال ناجي وأقنعة الراوي، د.إبراهيم خليل، القدس العربي، لندن، ع7487، 2013-7-15.
• الرّوائي جمال ناجي لـِ"الشرق" الرّواية السعودية حاضرة بقوة ويشدّني الحنين إلى بلحارث.. (حوار)، علي الرباعي، الشرق، الرياض، 2013-7-30.
• "ما جرى يوم الخميس" قصص تحتفي بالشخوص، د.إبراهيم خليل، القدس العربي، لندن، ع7515، 2013-8-17/18.
• المكوّن النفسي في شخصيات مجموعة "ما جرى يوم الخميس" لجمال ناجي، المراقب العراقي، بغداد، ع 818، 2013-8-19.
• رواية "غريب النهر" لجمال ناجي والشتات الفلسطيني، شفيق طه النوباني، القدس العربي، لندن، ع7569، 2013-10-21.
• الرّوائي العربي جمال ناجي: نحن نعيش في عصر التعدديّة الثقافيّة (حوار)، نضال القاسم، القدس العربي، لندن، ع7586، 2013-11-9/10.
• رواية "غريب النهر" سفر الشتات الفلسطيني، محمود شاهين، أفكار، عمّان، ع301، شباط/ فبراير 2014.
• جمال ناجي في شهادة حول المكان في الفن الرّوائي، معًا في مؤامرة نفي المكان (شهادة)، جمال ناجي، القدس العربي، لندن، ع7891، 2014-10-9.
• الرّواية والزّمن وفوضى ترويج الرّداءة، بقلم جمال ناجي، القدس العربي، لندن، ع7910، 2014-10-28.
• جمال ناجي ورواية "عندما تشيخ الذئاب" وسؤال المكان والهوية والتلقي، عادل الأسطة، الأيام، رام الله/ فلسطين،

.24-11-2014
• تشابه الكتابة في أدب الوطن والمنفى: جمال ناجي في رواية "غريب النهر"، د.عادل الأسطة، الأيام الفلسطينية/رام الله، 7-12-2014.
• (جمال ناجي.. ملف خاص، الرأي، عمّان، ع16108، 2014-12-19)
• حديث في التجربة الرّوائية وانتهاء صلاحية الخيال (شهادة) جمال ناجي، الإمارات الثقافية، الشارقة، ع33، نيسان/ أبريل 2015.
• "موسم الحوريات" رواية جديدة لجمال ناجي، المحرر، الدستور، عمّان، 2015-4-21.
• جمال ناجي في خضم الثورات العربية.. القدر يرسم جنبات "موسم الحوريات"، أحمد زين الدين، الحياة اللندنية، لندن، ع19025، 2015-5-7.
• الرّوائي الأردني جمال ناجي: التكثيف في الرّواية كفيل بإبقائها في المشهد الأدبي.. والراديكالية تفقد ديننا حيويته وقابليته للتعايش مع العصر (حوار)، آية الخوالدة، القدس العربي، لندن، ع8116، 2015-5-21.
• رواية جمال نادجى "موسم الحوريات" سرود تكرّس الحبكة الفنية والتوتر الدرامي، هاشم شفيق، القدس العربي، لندن، ع8163، 2015-7-12.
• جمال ناجي: ليس المطلوب مزاحمة الثقافي للسياسي إنَّما تثقيفه وضبط ميوله.. دردشة ثقافية، إعداد نضال برقان، الدستور، عمّان، 2015-12-4.
• لعبة الأقدار والمفارقات في رواية "موسم الحوريات" لجمال ناجي، منى حمزة، الدستور، عمّان، 2015-12-25.
• رواية "موسم الحوريات" للفلسطيني جمال ناجي: الظاهرة أو التفسير بوعي آخر، المحرر، المقام، الجزائر، ع905، 13-3-2016.
• رواية "موسم الحوريات" الظاهرة أو التفسير الآخر، رامى أبو شهاب، القدس العربي، لندن، ع8399، 2016-3-19.
• الرّواية وأسرار الشَّجر بقلم جمال ناجي، القدس العربي، لندن، ع8445، 2016-4-25، طريق الشعب، بغداد، ع183 س83، 2016-5-11.
• "موسم الحوريات" لجمال ناجي صرخة ضد الإرهاب والتطرُّف، الأيام/ ملحق أيام الثقافة، رام الله، ع7385، 2016-8-2.
• قراءة بلغارية في قصص الكاتب الأردني جمال ناجي، جليكا ديونيسييفا، ترجمة خيري حمدان، القدس العربي، لندن، ع8552، 2016-8-11.
• سردية الشتات الفلسطيني في ضوء الخطاب ما بعد الكولونيالي.. رواية "غريب النهر" لجمال ناجي، د.رامى أبو شهاب، مشارف مقدسية، رام الله/ فلسطين، ع4، شتاء 2016.
• ندوة تحتفى برواية "غريب النهر" لجمال ناجي في شومان، المحرر، الدستور، عمّان، 2016-12-6.
• شخصيات روايات جمال ناجي موجودة على الأرصفة (حوار حول مجموعة "ما جرى يوم الخميس"، المحرر، البيان الإماراتية، 2007-5-13.
• ترجمة جديدة لرواية "عندما تشيخ الذئاب" إلى اللهجة المليالمية إحدى اللغات الهندية الرسمية، المحرر، ملحق عمان/ شرفات، مسقط، ع591، 2017-5-16.
• جمال ناجي ورؤيته حول الإصدار الأول وكيفيّة تحقيق الجوائز.. ماذا قال جمال ناجي لـِ"عكاظ "(حوار) قبل الرَّحيل، عكاظ، الرياض/ السعودية، 2018-5-8.
• جمال ناجي والرَّحيل عن حياة على ذمة الموت، نضال برقان- عمر أبو الهيجاء، الدستور، عمّان، ع18244، 2018-5-8.
• جمال ناجي الكاتب المتفرِّد في الكتابة الرّوائيّة والقصصيّة في الأردن، فخري صالح، الحياة اللندنية، لندن، ع20124، 10-5-2018.
• (جمال ناجي والرَّحيل.. صفحة خاصة، الدستور، 18246، 2018-5-10). ■